وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر -02- الدكتور أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث:

عرقلة العثمانيين للأطماع البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية(1497م-1554م).

لجنة المناقشة:

-د/ أولاد سيدي الشيخ رئيسا.

-د/ سعيود إبراهيم عضوا.

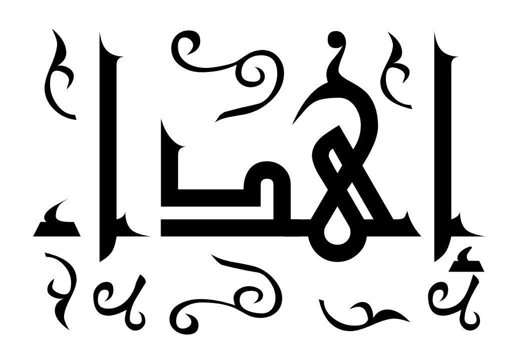
-د/ ليلى خيراني عضوا.

إعداد الطالب: إشراف:

عمر جبري. أ.د/ فلة موساوي القشاعي" مقررا".

السنة الجامعية: 1434هـ-1435هـ/2013م-2014م.

عرقلة العثمانيين للأطماع البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية(1497م-1554م).

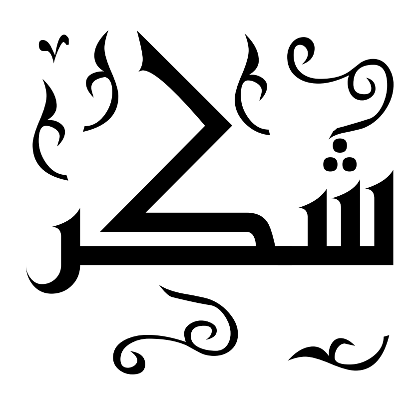


بسم الله الرحمان الرحيم: << ن والقلم وما يسطرون >>(سورة القلم، الآية01)

صدق الله العظيم.

كم هو جميل أن يرى المرء حلمه يتحقق بعد سنوات طويلة من الانتظار والترقب، يقضيها متقلبا بين الخوف من الفشل والأمل يحدوه في أن يرى بريق النجاح يلوح في الأفق ...

أما بعد: أهدي هذا البحث إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما وجزاهما الله عني كل خير، إلى زوجتي الغالية التي أشكرها كل الشكر على ما قدمته لي من دعم ومساعدة في انجاز هذا البحث من خلال ترجمة النصوص التاريخية ترجمة وفية من اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية، إلى فلذة كبدي ابني غيث، إلى كل أساتذتي الكرام بقسم التاريخ بجامعة بوزريعة وعلى رأسهم أستاذي الدكتور:" **أبو القاسم سعد الله**" رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه إلى روحه الطاهرة والعفيفة، إلى كل زملائي في دفعة الماجستير، إلى زملائي الأساتذة بثانوية الحمادية الجديدة أهدي هذا العمل المتواضع.



جدير بي أن أسجل في الصفحات الأولى من هذا العمل شكري الخالص إلى الله عز وجل، الذي سهل لي طريقي لانجاز هذا البحث كما أشكر أستاذتي الدكتورة فلة موساوي القشاعي جدا على كامل نصائحها وتوجيهاتها السديدة لي من أجل انجاز هذا البحث من أوله إلى أخره، حيث استفدت منها كثيرا في الجانبين العلمي والأكاديمي فكل الشكر لكي يا أستاذتي المبجلة والمحترمة.

كذلك أتقدم بشكري إلى كامل أساتذة قسم التاريخ بجامعة الجزائر 02 ببوزريعة، إلى كامل أساتذة قسم التاريخ أيضا بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

Introduction



1/المقدمة:

لقد كانت العبار ات الأولى التي تكتب على أكياس التوابل والبهارات والحرير والأقمشة ومختلف قارورات العطور كالمسك والعنبر وماء الورد وغيرها من المنتجات الشرقية، التي تلهب حماس التجار والمغامرين الأوروبيين، الباحثين عن الثراء الفاحش في جزر التوابل والحرير <<**مصنوع في بلاد الهند، أو قادم من بلاد العرب** >>، ان كل هذه العبارات تدفع الكثير من التجار والمغامرين الأوروبيين إلى التساؤل عن كيفية السفر والإبحار للوصول إلى مصدر تلك الثروة القادمة من أقصى بحار الشرق وبلاد الهند؟.

من هنا كانت تجارة التوابل والحرير هي همزة الوصل التي تجمع بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، بداية من العصور الوسطى إلى عصر التنوير والنهضة في أوروبا حيث كانت الطرق التجارية التي تسلكها القوافل البرية المحملة بمختلف السلع الشرقية، هي شريان الاتصال بين قارة آسيا وإفريقيا ثم أوروبا برا، أما بحرا عبر الطرق البحرية المختلفة من موانئ مصر بالقاهرة والإسكندرية ودمياط إلى موانئ بلاد الشام ثم إلى مدن الجمهوريات الايطالية، المطلة على البحر الأبيض المتوسط مثل جمهوريتي جنوة والبندقية التي قامتا باحتكار هذه التجارة مع الشرق الإسلامي لقرون من الزمن.

لهذا صار تجار جمهوريتي البندقية وجنوة عبارة عن وسطاء لتجارة المسلمين في أسواق مدينة القاهرة والإسكندرية بمصر وبلاد الشام في عهد المماليك ثم العثمانيين من بعدهم ، يدفعون لمماليك مصر وبلاد الشام ضرائب كانت تصل إلى ثلاثة أضعاف السعر الأصلي لتك السلع القادمة من البحار الشرقية والخليجية، لتباع بعد ذلك بأثمان باهظة كذلك عن الثمن الذي اشتريت به من مكانها الأصلي في مختلف أسواق دول أوروبا، لذلك أصبح هدف حكام أوروبا وملوكها مع مطلع القرن الخامس عشر الميلادي هو الوصول إلى مصدر تجارة بلاد الهند موطن تلك التوابل والبهارات، من أجل إنهاء وساطة واحتكار التجار المسلمين والبنادقة لتلك السلع الأسيوية.

مع حلول مطلع القرن السادس عشر الميلادي أصيب الأوروبيون بحمى البحث عن مصدر تلك التوابل والبهارات، كأنها الجنة التي كان الأوروبيون يريدونها فكان البرتغاليون من أشد الأوروبيين رغبة في ذلك، إذ كانت بلاد الهند بمحاصيلها الثمينة وتجارتها الرابحة وتوابلها الشهية والوفيرة هي الهدف الأول للبرتغاليين ومحط أمالهم في مشروع الكشف الجغرافي، لكن لن يتاح لهم ذلك بسهولة إلا بالقضاء على وساطة التجار المسلمين والبنادقة معا في خليج عدن وعمان والبحر الأحمر والخليج العربي.

باعتبار أن شبه الجزيرة الأيبيرية قد استفادت كثيرا من هجرة علماء المدن الايطالية إليها خصوصا في الفترة التي اتسمت برفع كل من اسبانيا والبرتغال لشعارهما المعروف باسم "**حروب الاسترداد**"، سقوط آخر معقل للمسلمين ببلاد الأندلس وهي مدينة غرناطة في عام 1492م وطرد المسلمين منها ، فساهم انخراط هؤلاء العلماء في دفع حركة الكشوفات الجغرافية للبرتغاليين قدما بشبه الجزيرة الأيبيرية، بفضل ما نقله هؤلاء العلماء من اختراعات علمية وحربية وأفكار جغرافية وفلكية، مما أدى إلى تكوين فكر جغرافي مستنير بأحوال البر والبحر وكروية الأرض، من خلال ظهور آلة الطباعة والبارود والبوصلة والإسطرلاب والدفة المتحركة وغيرها من الاختراعات التي كانت نتيجة ثمار النهضة الأوروبية الحديثة ، التي أحيت التراث القديم للحضارات اليونانية والرومانية والإسلامية، كل هذا وسع مفهوم الملاحة وسهل الطريق للبدء في ارتياد المجهول ونبذ الأفكار والخرافات القديمة وبداية حركة الكشوفات الجغرافية التي كانت بوصول البرتغاليين إلى بلاد الهند ثم إلى أقصى البحار الشرقية والخليجية.

كما كان للمسلمين الأثر البالغ والكبير في حركة النهضة الأوروبية والكشوف الجغرافية خلال العصر الحديث، لما ألفوه من كتب ومصنفات في العلوم الجغرافية الوصفية منها والفلكية حيث ترجمت أغلبها إلى مختلف اللغات واللهجات كاللاتينية وغيرها من اللغات، التي أصبحت مرجعا أساسيا للعديد من الرحالة الأوروبيين، فالبرتغاليون أنفسهم استعانوا بخرائط عربية عن الملاحة من أجل الوصول إلى بلاد الهند، لا يزال فضل ابن ماجد على فاسكوا دي غاما موجودا عند تبيينه له لخطوط الطول والعرض ومعلومات عن رصد النجوم للوصول إلى بلاد الهند.

كذلك يعتبر تأسيس مملكة البرتغال خلال القرن الحادي عشر الميلادي والقيام السريع لها في غرب شبه الجزيرة الأيبيرية، حدثا هاما بعد استفادتها من عوامل جيوسياسية متفاعلة فيما بينها وفي مقدمتها الوضع السياسي المتردي في بلاد الأندلس، خلال فترة حكم ملوك الطوائف لها مما كان حافزا لهذه القوى المسيحية في بداية حركة جديدة لطرد المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية ولقد ترتب عن هذه الأوضاع والمتغيرات السياسية توغل العديد من القادة البرتغاليين في شبه القارة الهندية وإنشائهم لمراكز تجارية مسلحة في شرق قارة إفريقيا وغربها، على الساحل الغربي للهند وفي جزر المحيط الهندي والخليج العربي، بتوجيهات من ملوك هم إلى مندوبيهم في تلك المناطق حيث شجعوهم على محاربة الإسلام ونشر الديانة المسيحية، قطع طرق التجارة على المسلمين لإضعافهم اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ودينيا.

لقد اجتمعت عدة عوامل طبيعية وسياسية وعسكرية واقتصادية ودينية وعلمية تحكمت في قيام حركة الكشف الجغرافي للبرتغال، قبل غيرها من ممالیك ودول العالم ب هذا توجه البرتغاليون إلى مياه البحر الأحمر و الخليج العربي طمعا في ثروة مسقط ولؤلؤ البحرين ومحاولة منهم للاستحواذ على خيرات بلاد الرافدين، ثم بلاد فارس وصولا إلى الهند وجزرها الغنية بالتوابل والحرير، فكان لهم ذلك من خلال وصول القائد البرتغالي ألفونسو دي ألبوكيرك(1453م-1515م)إلى بلاد الهند بعد سيطرته على طرقها التقليدية القديمة، في مياه البحر الأحمر والخليج العربي وتأسيسه لمستعمرات برتغالية ومراكز عسكرية وتجارية في شبه القارة الهندية كجوا وملقا ووضعه لخطة عسكرية من أجل ا حتلال جميع الموانئ التجارية على طول الطريق البحري بين الهند ورأس الرجاء الصالح، الذي اكتشفه المستكشف البرتغالي بارثلميو دياز في عام 1488م وتمكن من عبوره البحار فاسكوا دي غاما ما بين عام(1497م-1498م) للوصول إلى بلاد الهند.

أمام تلك الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية الغير مستقرة في منطقة الخليج العربي وجنوبه، سعت مملكة البرتغال إلى تحقيق أهدافها الدينية والاقتصادية والسياسية من خلال كشوفاتها الجغرافية، للتخلص من هيمنة دولة المماليك وجمهورية البندقية على التجارة الأسيوية واحتكارهم لها ونشر الديانة المسيحية على حساب الدين الإسلامي، عكس ما كان يروج إليه في

الأول على أساس أن منطلق هذه الكشوفات الجغرافية هو حب المغامرة واكتشاف المجهول، مع استمرار التهديد البرتغالي على البلاد الإسلامية خاصة في الأماكن المقدسة لها كالحجاز ومكة وقطع طرق التجارة على المسلمين في مياه البحر الأحمر والخليج العربي، ل ضرب عصب اقتصاد العالم الإسلامي خصوصا بعد فشل المماليك ومسلمي الهند والقوى المحلية في اليمن عن وقف هذا الزحف البرتغالي، الذي ينخر تجارتهم ويهدد الأماكن المقدسة في العالم الإسلامي بالحرمين الشريفين.

في خضم كل تلك المتغيرات قررت الدولة العثمانية التغيير من إستراتيجيتها العسكرية التي كانت تهدف إلى التوسع نحو شرق أوروبا، التوجه إلى الدفاع عن جبهتها الجنوبية بالبحر الأحمر والخليج العربي، خصوصا بعد فشل سياسة الدعم العسكري والاقتصادي من طرف الدولة العثمانية لدولة المماليك في المنطقة، من أجل مواجهة الخطر البرتغالي المتمركز بقوة لاسيما بعد أن أخذت الأحداث في المشرق العربي ، تأخذ منحنا خطيرا ومتسارعا بعدما اقتربت القوة البرتغالية من القوة الصفوية المهزومة ضد العثمانيين في معركة جالديران عام 1514م، بتوقيعهم لاتفاقية برتغالية صفوية عسكرية وسياسية عرفت باتفاقية هرمز عام 1515م، تعهد فيها البرتغاليون بمساعدة الشاه إسماعيل الصفوي ضد الدولة العثمانية سياسيا وعسكريا واقتصاديا، غزو كل من سواحل البحرين والقطيف للوقوف معا ضد الدولة العثمانية حتى دينيا بمحاربة المسلمين السنة وقتلهم.

فعندما ندقق في سياسة الدولة العثمانية الجديدة في المنطقة نجدها تبحث عن وحدة إسلامية سنية بقيادة عثمانية، ناهيك عن سعيها إلى تحقيق مصالحها الاقتصادية بدرجة ثانية كذلك، لكون المنطقة تعد الممول الأول والرئيسي تجاريا واقتصاديا للعالم الإسلامي والمسيحي معا خلال تلك الفترة التاريخية من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

-أهمية الموضوع:

من هنا تبرز لنا الأهمية العلمية والتاريخية لهذا ا لموضوع الذي خصصناه حول :

<<عرقلة العثمانيين لأطماع البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية (1497م-1554م)>>

كموضوع للبحث والدراسة لما لذلك الوجود البرتغالي من تأثيرات سياسية واقتصادية و اجتماعية ودينية جد هامة، على الوحدة السياسية والاقتصادية لمنطقة الخليج العربي والبحر الأحمر والعالم الإسلامي ككل، باعتبار أن العالم الإسلامي هو كتلة جغرافي ة وسياسيةٍ ولغويةٍ ودينيةٍ واحدة فقد رغبنا في تسليط الضوء على حلقة جد هامة من تاريخه الحديث والمتعلقة بالجذور الأولى للاستعمار الأوروبي فيه، مع مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

أردنا كذلك من خلال هذا البحث أن نعيد الاعتبار حول بعض المفاهيم الشائعة عند العديد من الدارسين والقارئين للتاريخ الحديث، على اعتبار أن الدافع العلمي وحب المغامرة هما الأساس الأول في بداية الكشوفات الجغرافية، متناسين في ذلك الكره والحقد الصليبي على الدين الإسلامي من خلال نشر الديانة المسيحية على حساب الدين الإسلامي.

كذلك سوف نبرز من خلال هذا البحث كيفية نشأة مملكة البرتغال في القرن الحادي عشر الميلادي، العوامل التي ساعدت على تحقيقها لهذا الانجاز الجغرافي قبل غيرها من شعوب وممالك أوروبا، الأسباب والدوافع الحقيقية للكشوفات البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية والعوامل المتحكمة في سير حركة هذه الكشوفات البرتغالية، مع تحديدنا كذلك للأهداف الحقيقية لهذه الكشوفات بداية من انطلاق حملة البحار والمستكشف البرتغالي فاسكوا دي غاما ووصوله إلى بلاد الهند في عام 1497م-1498م.

-الإطار الجيوسياسي للموضوع:

سنكشف كذلك للقارئ الأسباب والدوافع الحقيقية سياسيا وعسكريا واقتصاديا ودينيا، التي كانت عاملا مهما في تغيير الدولة العثمانية لإستراتيجيتها التوسعية نحو شرق أوروبا، لتتوجه فيما بعد إلى منطقة المشرق العربي، بعد فشل مجهودات الدولة المملوكية في وقف هذا المد البرتغالي في مياه البحر الأحمر والخليج العربي، ظروف تغلغل البرتغاليين في العالم الإسلامي واستغلالهم للأوضاع السياسية المتردية في المنطقة من صراع وتناحر بين المماليك والعثمانيين والصفويين على زعامة العالم الإسلامي، التي انتهت بعد مواجهات عسكرية بين العثمانيين والصفويين

والعثمانيين والمماليك ببسط الدولة العثمانية لسيطرتها السياسية والعسكرية على منطقة المشرق العربي في النصف الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

-الإطار الاقتصادي والاستراتيجي للموضوع:

كما أولينا اهتماما كبيرا في هذا البحث لإ ظهار الأهمية الاقتصادية والإستراتيجية التي تزخر بها الطرق التجارية البرية والبحرية، في منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر وخليج عدن عبر مر العصور والأزمنة التاريخية انطلاقا من الفترة التي سبقت اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وصولا إلى فترة اكتشافه عام 1498م، ما تبع هذا الاكتشاف البحري من تحولات تجارية واقتصادية وسياسية على هذه المعابر لتصبح تجارة الشرق الإسلامي تصب في الأراضي البرتغالية ثم الأوروبية منها، تحول هذا الصراع الديني بين المسيحية والإسلام إلى صراع اقتصادي بحت خلال هذه الفترة من موضوع الدراسة التاريخية رغبة من البرتغاليين في إضعاف العالم الإسلامي اقتصاديا وعسكريا ودينيا وغزوه بعد ذلك، ثم بينا أثر هذا التحول التجاري من جوانبه الاقتصادية والتجارية والاجتماعية وانعكاساته المختلفة على دولة المماليك والبنادقة معا.

-الإطار الحربي والعسكري للموضوع:

أنهينا بحثنا هذا بذكرنا لأهم جهود البحرية العثمانية وكيفية صدها للأطماع البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية والحد من خطورتها، في مياه البحر الأحمر والخليج العربي من خلال مجموعة من الحملات البحرية التي قادها عدد هام من القادة العثمانيين، التي انتهت كلها في الأخير بعرقلة العثمانيين فقط للبحرية البرتغالية، دون القضاء على سيطرتها التجارية والعسكرية في المنطقة نهائيا ولعل من بين أبرز هذه الحملات العثمانية وأهمها هي حملة البحار والجغرافي والقائد العسكري:"**Piri-Reis**"(بيري ريس)، الذي يعد من بين خيرة البحارة العثمانيين من خلال خبرته الكبيرة برسم الخرائط الجغرافية ودرايته الفائقة بأحوال البحر وأسراره، حيث يعتبر كتابه "البحرية" وخريطة العالم الجغرافية التي رسمها في عام1513م خير دليل على ذلك.

-دوافع اختيار الموضوع:

قد يكون منطلق هذه الدراسة نابعا من اهتماماتي العلمية قصد التعرّف على الدّور الذي لعبته الدولة العثمانية، في صد ها للأطماع البحرية البرتغالية بالبحار الشرقية والخليجية، لكن هذه الرّغبة الشخصية قد توفرت لها الأسس العلمية، التي جعلتها ترسخ أكثر ما جعل هذا الموضوع محل تساؤل علمي ومنهجي في نفس الوقت.

-الإطار الزمني لموضوع الدراسة:

باعتبار أن البحث في كامل تفاصيل هياكل المؤسسات التوسعية للدولة العثمانية يتطلب وقتا طويلا وجهدا كبيرا وتفصيلا دقيقا ، فقد حصرنا فترة بحثنا هذا بداية من نهاية النصف الثاني من القرن الخامس عشر للميلاد إلى بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد ، أي ما يعدل سبعا وخمسين عاما منها فقد اخترنا بداية بحثنا هذا منذ عام 1497م وهي الفترة التي انطلق فيها البحار والمستكشف البرتغالي فاسكوا دي غاما من ميناء ريستلوا بلشبونة، ليعبر طريق رأس الرجاء الصالح بجنوب القارة الإفريقية و يصل بعدها إلى ميناء كاليكوتا بالهند في عام 1498م لكون هذا الالتفاف البحري للبرتغاليين حول العالم الإسلامي من جبهته الجنوبية والوصول إلى بلاد الهند عبر طريق بحري جديد، يعتبر حدثا تاريخيا وجغرافيا جد هام غير مسار العلاقات التاريخية والاقتصادية والدينية والسياسية والعسكرية بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي.

أما نهاية بحثنا هذا فكانت في عام 1554م وهو العام الذي أصدر فيه السلطان العثماني سليمان القانوني(1520م-1566م)، أمرا بإعدام القائد العثماني بيري ريس في مدينة القاهرة بمصر بعد فشل حملته في تحرير جزيرة هرمز بالخليج العربي، اتهامه له بالخيانة والهروب من المسؤولية وتلقي أموال ورشاوي من قبل البرتغاليين مقابل رفعه للحصار البحري عن هذه الجزيرة حسب ما أشار إليه بعض من المؤرخين ، من أمثال "إبراهيم بجوي" والمؤرخ الألماني النمساوي "جوزيف فون هامر"، كذلك كما استفدنا كثيرا من الدراسة الحديثة التي قدمها لنا الدكتور" فيصل عبد الله الكندري" من جامعة الكويت الحبيبة في مجلة قسم التاريخ بعنوان: "رسائل الجغرافية" عن شخصية الملاح والجغرافي بيري ريس، لقد حاولنا من خلال ذلك كله أن نفك لغز قرار الإعدام الذي صدر في حق هذه الشخصية التاريخية، التي لم تتح لها الفرصة حتى للدفاع عن نفسها في

ظل تواطأ كل من حاكم مدينة البصرة "قباد باشا" ووالي مصر" داوود باشا"، إرسالهما لتقرير يدين بيري ريس بكل هذه التهم السابق ذكرها من قبل.

أما بعد حادثة إعدام بيري ريس فقد هدأت الأوضاع السياسية والعسكرية نسبيا إلى حد ما في البحار الشرقية والخليجية، مقارنة بالسابق كما أن حملات البحرية العثمانية التي أتت بعد هذه الحملة لم تكن مؤثرة وفعالة مقارنة بسابقاتها من الحملات الأخرى، كذلك يعتبر هذا الإطار الزماني للدراسة التاريخية بمثابة الحقل الذي نمت فيه اهتمامات البحريّة البرتغالية والعثمانية معا بالمنطقة وتطوّرت معهما العلاقات السياسية والاقتصادية والدينية والعسكرية فيه ، حسب الوضع السياسي والاقتصادي لكل منهما في مياه البحار الشرقية والخليجية، على حد سواء في النصف الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

-أهمية موضوع الدراسة:

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى كونها تتناول موضوع جديرا بالدراسة والاهتمام في باب التاريخ الحديث، حيث لا زالت أصداؤه تتراء إلى اليوم وانعكاساته واضحة وجلية على المنطقة والعالم الإسلامي ككل، فمثل هذه الموضوعات التي لا تزال متفاعلة ومؤثرة هي بحاجة إلى البحث الأكاديمي والمقاربة الموضوعية التي تخلص بالعبر والنتائج ، ان المذكرة هي مقاربة لموضوع تاريخي له أبعاده المتعددة والمختلفة كذلك، حيث نحاول من خلالها الإجابة عن التساؤلات المطروحة في الإشكالية.

فإنّ المتأمل في تاريخ الدولة العثمانية من خلال هذا الإطار الزماني لا يلبث أن يلاحظ ملاحظة فريدة ومتميزة من نوعها ، تتمثل في القوة القاهرة التي أبدتها البحرية العثمانية بفرض سيطرتها على مناطق جد هامة وإستراتيجية من بحار العالم، لكنها لم تبد في بداية الأمر أهميتها بالبحار الشرقية والخليجية ، فكان التوسع البرتغالي على حساب البلاد الإسلامية من الناحية الاقتصادية والسياسية والدينية، سببا أساسيا في توجه العثمانيين إلى مياه الخليج العربي و البحر

الأحمر، التي نحن بصدد الكشف عنها من خلال هذا البحث و إنّ هذه الظاهرة لتدعونا لطرح الإشكالية التالية:

-الإشكالية الرئيسية:

باعتبار أن البرتغاليين هم أول الوافدين من الأوروبيين إلى مياه البحار الشرقية والخليجية بأساطيلهم ومدافعهم، فهم رأس السيف في الاستعمار الأوروبي الحديث فما كانت لولاهم أن تعرف بلاد الشرق الإسلامي وبحارها هذا الصراع العسكري والسياسي والاقتصادي والديني، خلال هذه الفترة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، لكون أن التعامل التجاري قبل مجيئهم كان سلميا وحضاريا، تتبادل فيه مختلف المدن والمراكز التجارية سلعها دون أي نزاع يذكر فان البرتغاليين قد حددوا هدفهم من هذا الاستعمار وهو :<< **ضرب عصب الاقتصاد الإسلامي ونشر الديانة المسيحية**>>، معتمدين في ذلك على تأييد الكنيسة البابوية معنويا وروحيا أما ماديا فقد اعتمدوا على الحركة العلمية من تطور في وسائل الملاحة وتقنياتها واختراع للبارود والبوصلة والدفة المتحركة والإسطرلاب كذلك، **ترى ما هو أثر الوجود البرتغالي والعثماني في مياه البحار الشرقية والخليجية خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي؟**

ان هذه الدراسة التاريخية تتمحور حول إشكالية رئيسية وجوهرية والتي بدورها تتمخض عنها كذلك عدة إشكاليات فرعية هي:

-الإشكاليات الفرعية:

ماهي الدوافع الحقيقية للكشوفات البرتغالية في مياه البحار الشرقية والخليجية ؟ وما هي أهدافها؟ هل يعتبر الوجود البرتغالي في البحار الشرقية والخليجية غزوا أم استكشافا؟ وكيف استطاعت مملكة البرتغال أن تتغلغل في قلب العالم الإسلامي وتتحكم في طرقه التجارية بحرا ؟ كيف عجز المماليك عن صدهم لهذا الغزو البرتغالي في مياه البحر الأحمر والخليج العربي ؟ لماذا توسعت الدولة العثمانية في المشرق العربي وتخلت عن توسعاتها في شرق قارة أوروبا؟ ماهي نتائج صراعها العسكري مع الصفويين والمماليك في مصر و بلاد الشام؟ ترى ماهي الأهمية الإستراتيجية لهذه الطرق البحرية والموانئ التجارية في البحار الشرقية والخليجية؟ ما هو أثر تحول محور التجارة العالمية إلى طريق رأس

الرجاء الصالح على دولة المماليك وجمهورية البندقية تجاريا واقتصاديا واجتماعيا؟ كيف وسعت البرتغال من قواعدها العسكرية والتجارية في مياه الخليج العربي والبحر الأحمر ؟ ما هي جهود ال بحرية العثمانية المبذولة من أجل الحد من هذه الأطماع البرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي ؟ لماذا أمر السلطان سليمان القانوني والي مصر داوود باشا بإعدام البحار والجغرافي وقائد أسطول السويس بمصر بيري ريس في عام 1554م بعد فشل حملته على جزيرة هرمز بالخليج العربي؟.

كل هذه الإشكاليات وغيرها من التساؤلات سيتم الإجابة عنها من خلال معالجة موضوع هذهالدراسة التاريخية.

-الدراسات السابقة حول الموضوع:

حسب إطلاعي المحدود فلن هذا الموضوع لم يلق العناية الكافية من قبل الباحثين لتاريخ الوجود العثماني والبرتغالي في مياه البحر الأحمر والخليج العربي في الجزائر، رغم كونه من بين العوامل المهمة لاستكشاف خبايا الأحداث السياسية وا لاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والدينية التي مرتّ بها منطقة الخليج العربي و البحر الأحمر معا ، في هذه الفترة من تاريخها الحديث والمرتبط بسبع وخمسين سنة كاملة(1497م-1554م)، أردنا نحن أن نسلط الضوء على جزء هام منها متعلق بالصراع الإسلامي والمسيحي في المنطقة ممثلين في الدولة العثمانية والإمبراطورية البرتغالية لنحاول مقاربة هذا الموضوع وفقا للإشكالية أكاديمية، إن الإجابة على هذه الإشكالية دفعتنا إلى البحث من خلال هيكلة الخطة التالية:

-هيكلة خطة المذكرة:

-**أولا: محتوى المذكرة** : ألحقنا محتواها بأربعة فصول كل فصل منها يحتوي على عدد من المباحث عالجنا فيها موضوع الدراسة، في المقدمة عرفنا كذلك بالموضوع وبينا أسباب ودوافع اختياره وأسس هيكلته وطرحنا فيه كذلك إشكالية هذه الدراسة التاريخية في هذا الموضوع المناقش، المنهج المتبع في كتابة هذا البحث كذلك إضافة إلى أهم العراقيل والصعوبات التي صادفتنا في إنجاز هذا البحث.

-**ثانيا: الفصل الأول :** جاء بعنوان" **الدوافع الحقيقية للكشوفات البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية**"، فيه عرفنا بمملكة البرتغال وكيفية ظهورها ونشأتها ثم تطرقنا إلى الظروف التي مهدت للبرتغال ببداية حركة الكشف الجغرافي قبل غيرها من دول أوروبا والعالم، كما بينا كذلك الأسباب الحقيقية والدوافع والأهداف التي سعت البرتغال إلى تحقيقها بعد خوضها لغمار هذه البحار الشرقية من جوانبها المختلفة الدينية والاقتصادية والسياسية وال عسكرية، وقسمنا هذا الفصل إلى المباحث التالية:

-**المبحث الأول:** جاء بعنوان" **مملكة البرتغال ونشأتها**"، فيه بينا ظروف نشأة وتطور هذه المملكة من عهد الملك فرديناند الأول ملك قشتالة عام(1035م-1065م) إلى غاية سقوط غرناطة في يد الأسبان عام1492م بإيجاز واختصار.

-**المبحث الثاني :** جاء بعنوان:" **الدوافع الم تحكمة في قيام حركة الكشف الجغرافي للبرتغال** ". تحدثنا في هذا المبحث عن العوامل الطبيعية والسياسية والاقتصادية والدينية والع سكرية التي مهدت لحركة الكشف الجغرافي للبرتغال، بينا دور الجواسيس اليهود والبعثات التجسسية في دفع حركة الكشوف البرتغالية كذلك، ثم تطرقنا إلى مساهمة الدور التنافسي الكشفي بين اسبانيا والبرتغال والذي زاد من حدت هذا الكشف الجغرافي بين الطرفين ، ليتهي في الأخير بتوقيع الطرفين لمعاهدة torديسيلاس عام1494م.

-**المبحث الثالث:** جاء بعنوان:" **أهداف الكشوفات البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية**"، في هذا المبحث بينا الأهداف الحقيقية للكشوفات الجغرافية للبرتغال من أجل تصحيح بعض المفاهيم الشائعة لدى العديد من القارئين، على أساس أن الدافع العلمي والفضول الجغرافي هو من كان سببا في انطلاق حركة الكشوف الجغرافية متناسين بذلك الحقد الصليبي على الدين الإسلامي.

-**المبحث الرابع:** جاء بعنوان:" **حملة Vasco De Gama (فاسكوا دي غاما) على بلاد الهند والبحار الشرقية** "، بينا خلال هذا المبحث أطوار حملة فاسكوا دي غاما على بلاد الهند منذ عام1497م في عهد الملك امانويل الأول الملقب بالمحظوظ والسعيد، كيفية انطلاق هذه الحملة

من ميناء لشبونة بالبرتغال إلى غاية وصولها إلى ميناء كاليكوتا بالهند في عام 1498م، لتبدأ بعدها مملكة البرتغال في تطبيق مشروعها الاقتصادي والديني والسياسي والعسكري في البحار الشرقية والخليجية، مستغلة في ذلك عدة ظروف سياسية وداخلية متردية في المشرق العربي وشبه الجزيرة العربية.

-**ثالثا: الفصل الثاني :** جاء بعنوان" **ظروف التغلغل البرتغالي في العالم الإسلامي في القرن السادس عشر الميلادي** "، تطرقنا في هذا الفصل إلى الجهود التي بذلتها الدولة المملوكية من أجل صدها للتغلغل البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي، رغم انتصارها في حملتها الأولى عام(1505م-1509م) وفشلها في حملتها الثانية(1509م-1515م)، بقيادة الأمير حسين الكردي ثم أبرزنا كذلك كيفية مساهمة الصراع السياسي والعسكري بين العثمانيين والصفويين وبين العثمانيين والمماليك في ترسيخ الوجود البرتغالي بالبحار الشرقية والخليجية لقرن من الزمن، مبينين في ذلك توسعات الدولة العثمانية في مصر وبلاد الشام واليمن والعراق، قسمنا هذا الفصل إلى المباحث التالية:

-**المبحث الأول:** جاء بعنوان" **فشل المماليك في محاولة التصدي للوجود البرتغالي في البحار الشرقية والخليجية**"، تحدثنا فيه عن عجز الدولة المملوكية في التصدي للتوسعات البرتغالية في البحر الحمر والمحيط الهندي، مبينين ظروف وأسباب ذلك من خلال حملة الأمير حسين الكردي الأولى(1505م-1509م) وانتصاره على البرتغاليين ثم فشل حملته الثانية ضد البحرية البرتغالية في عام(1509م-1515م)، كما أظهرنا كذلك أطوار التعاون السياسي والعسكري بين المماليك ومسلمي الهند والعثمانيين مع بعضهم البعض لمواجهة الخطر البرتغالي المشترك.

-**المبحث الثاني:** جاء بعنوان:" **الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية على زعامة العالم الإسلامي**"، فيه تطرقنا إلى الأوضاع السياسية المتردية في المشرق العربي مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي، بداية من أطوار المواجهة العسكرية والمذهبية بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية في معركة جال ديران 1514م، التي انتهت بهزيمة الصفويين ثم بينا ظروف قيام التحالف السياسي والعسكري بين الصفويين والبرتغاليين ضد العثمانيين في معاهدة هرمز

عام1515م، لنعرج بعدها على أطوار المواجهة العسكرية الأولى والثانية بين المماليك والعثمانيين في معركتي مرج دابق عام 1516م و الريدانية عام 1517م، التي انتهتا بضم الدولة العثمانية لبلاد الشام ومصر ثم الحجاز تحت حكمها ، مبينين أسباب هذا الضم وأهمية من الناحية الإستراتيجية والاقتصادية والدينية والسياسية على الدولة العثمانية والمشرق العربي كذلك.

-**رابعا: الفصل الثالث:** جاء بعنوان :" **خريطة الطرق البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية**" تحدثنا فيه عن أهمية الموقع الجيوسياسي والاستراتيجي للعالم الإسلامي من خلال امتلاكه لأهم الممرات المائية والطرق التجارية البرية والبحرية الجد هامة، التي تربط الشرق الإسلامي مع الغرب المسيحي عبر مر الأزمنة التاريخية المتعاقبة والتي تحدث عنها مجموعة من الرحالة العرب، حيث تمكن البرتغاليون من السيطرة والتحكم فيها ما خلق بعدها انعكاسات اقتصادية وتجارية ومخلفات اجتماعية مختلفة على دولة المماليك والبنادقة معا، محددين بذلك أطوار سيطرة البرتغاليين على طريق البحر الأحمر والخليج العربي منذ عام 1507م إلى غاية عام 1538م، قسمناه إلى المباحث التالية:

-**المبحث الأول:** جاء بعنوان" **الأهمية الإستراتيجية للطرق البحرية والموانئ التجارية في البحار الشرقية والخليجية**"، فيه تحدثنا عن أهمية هذه الطرق البحرية والموانئ التجارية في التجارة الإسلامية لكونها مصدرا لثراء دولة المماليك ومنطقة المشرق العربي، هذه الطرق والموانئ هي:

أ- طريق الخليج العربي.

ب- طريق البحر الأحمر.

ج- ميناء عدن.

-**المبحث الثاني:** جاء بعنوان:" **تحول محور التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح وأثر ذلك على دولة المماليك وجمهورية البندقية** "، تحدثنا فيه عن أهم التحولات والانعكاسات الاقتصادية والتجارية والمخلفات الاجتماعية، ما حدث من خراب وإفلاس مس دولة المماليك

والبنادقة معا بعد اكتشاف البرتغاليين لطريقهم الجديد من رأس الرجاء الصالح بجنوب القارة الإفريقية.

-**المبحث الثالث:** جاء بعنوان:" **البحرية البرتغالية ومهمة السيطرة على طريق الخليج العربي والبحر الأحمر**"، تحدثنا فيه عن كيفية سيطرة البرتغاليين على جزيرة هرمز ومسقط وساحل عمان بداية من عام 1507م إلى غاية عام 1515م، كما تطرقنا إلى الدور التفكك السياسي بين إمارة هرمز والبحرين واستغلال البرتغاليين لهذه الظروف من أجل تنفيذ مخططهم التوسعي واحتلال هذه المناطق عام 1520م، ثم غزو البرتغاليين لمنطقة القطيف بساحل الخليج العربي منذ عام 1521م إلى غاية عام 1537م، لنتطرق بعدها إلى مجهودات البحرية البرتغالية في السيطرة على طريق البحر الأحمر منذ عام 1513م إلى غاية عام 1538م.

-**خامسا: الفصل الرابع:** جاء بعنوان:" **جهود البحرية ا لعثمانية للحد من الأطماع البرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي(1523م-1554م)**"، فيه تحدثنا عن مختلف الجهود المبذولة من طرف البحرية العثمانية لعرقلة وصد توسعات البرتغاليين في البحر الأحمر والخليج العربي، قسمنا هذا الفصل إلى المباحث التالية:

-**المبحث الأول :** جاء بعنوان:" **الصراع العثماني البرتغالي في مياه البحر الأحمر(1523م-1554م)**" تحدثنا فيه عن تقدم النفوذ العثماني نحو البحر الأحمر وعن أطوار المعارك البحرية التي قامت بين العثمانيين والبرتغاليين ونتائجها العسكرية من خلال الحملات التالية:

-حملة القائد سلمان رئيس ومصطفى بك عام(1523م-1527م).

-حملة القائد بهرام بك ومصطفى بك عام(1530م-1531م).

-حملة القائد سليمان باشا الخادم ومعركة ديو البحرية عام(1538م).

-حملة القائد أزدمر باشا على بلاد السودان والحبشة عام 1547م.

-حملة القائد بيري ريس على عدن أطوارها ونتائجها عام1549م:

-نبذة عن شخصية بيري ريس.

-استرجاع بيري ريس لعدن.

-**المبحث الثاني:** جاء بعنوان:" **الصراع العثماني البرتغالي في مياه الخليج العربي(1534م-1554م)**"، خصصناه للتحدث عن أطوار حملة بيري ريس على جزيرة هرمز وأسباب فشل هذه الحملة وانعكاساتها في عام 1552م، ثم الظروف التي دفعت بـالسلطان سليمان القانوني إلى إصدار فرمان ينص فيه على قرار إعدام بيري ريس بمدينة القاهرة بمصر في عام 1554م.

-**سادسا: الخاتمة(تقييم واستنتاج):** أنهينا دراستنا بخاتمة ضمنّاها أهم المقاربات التاريخية المتوصّل إليها في معالجة موضوع الدراسة .

-الملاحق.

-الفهرس.

-البيبليوغرافيا.

-فهرس المذكرة.

-**سابعا: مناهج البحث :**اتبعنا في دراسة موضوع هذا البحث في مختلف فصوله وأجزائه على مجموعة من المناهج العلمية المعروفة في مجال الدراسات التاريخية وهي:

-المنهج الوصفي: استخدم نا هذا المنهج لسرد الإحداث التاريخية ووصفها وتصنيفها حسب تسلسلها الزمني في غالب الأحيان، كما راعينا في ذلك كل ما له علاقة بالموضوع الموصوف وإن هذا المنهج يمثل مجموعة الطرق التي يتبعها الباحث للوصول إلى الحقيقية التاريخية، ذلك من خلال سردهلمختلف التطورات المتلاحقة للوجود العثماني والبرتغالي في البحار الشرقية والخليجية خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

-المنهج التحليلي: وقد استعملناه في دراسة الوقائع التاريخية ومناقشتها وربطها مع بعضها البعض بهدف الوصول إلى استنتاجات لأحكام جزئية أو عامة.

-المنهج التحليلي الوصفي: استخدمنا هذين المنهجين معا في العديد من المواضع التاريخية وهما منهجان يهدفان إلى تتبع الحقيقة التاريخية والنظر إلى ما وراء الحدث التاريخي، لفحص وتمحيص مختلف الحقائق التاريخية والوقوف عند غثها وسمينها مرجحين بعض الحقائق التاريخية على بعضها الأخر انطلاقا من الحجج القوية والعلل الدامغة، التي تحتوي عليها مختلف المصادر والمراجع التاريخية التي توفرت لدينا في موضوع الدراسة، عن طريق استخدام أسلوب المقابلة في أقوال وأراء العديد من المؤرخين مع بعضها البعض للوصول إلى مقاربة تاريخية.

-التعريف بالرصيد الأرشيفي والبيبليوغرافي الموظف لمعالجة موضوع الدراسة:

ان الإجابة على مضمون هذا البحث و غيرها من الإشكاليات التي طرحت فيه اقتضت منا الاعتماد على بيبليوغرافيا متنوعة، كالدراسات المتخصصة لتغطية موضوعنا والتي ساعدتنا كلها في إماطة اللثام عن العديد من القضايا التاريخية ويمكن لنا أن نذكر منها ما يلي:

1/المصادر والمراجع:

أولا/ ا لمصادر:

-أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840.

-ابن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، مطبعة السعادة، القاهرة، 1953.

-ابن إياس محمد ابن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق وتقديم محمد مصطفى زيادة، ج3 و4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.

-ابن بطوطة محمد ابن إبراهيم اللواتي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991.

–ابن جبير أبو الحسين محمد بن أحمد ، رحلة ابن جبير، دار بيروت لطباعة والنشر، بيروت، 1909.

–ابن ماجد شهاب الدين أحمد السعدي النجدي ، ثلاثة أزهار في معرفة البحار، تحقيق تيودور شوموفسكي، ترجمة محمد منير مرسي، القاهرة، 1977.

–الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، لبنان، 2002.

–الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 1، ط2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1983.

–فريد بك محمد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط 1، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981.

–قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي: البرق اليماني في الفتح العثماني، أشرف على طبعه أحمد الجاسر، منشورات اليمامة للبحث والترجمة والنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1967م.

ثانيا/المراجع:

–أباظة فاروق عثمان ، أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر، دار المعارف، القاهرة، 1986.

–أوزتونا يلماز ، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري، المجلد1، ط1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، 1988.

–أحمد ياغي إسماعيل ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط 2، الرياض، 1995.

–الجوهري يسرى ، دراسة لتاريخ الكشوفات الجغرافية و تطور الفكر الجغرافي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984.

-المسري حسين ، تاريخ العلاقات السياسية بين العراق والخليج العربي، دار الحداثة، بيروت، 1982.

-السلمان محمد حميد: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج 1507م-1525م، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2000.

-زكريا قاسم جمال ، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول(1507م-1840م)، القاهرة، 1980.

-كلوزيه رنيه، تطور الفكر الجغرافي، ترجمة عبد الرحمان حميدة، دمشق، 1982.

-محمد الشناوي عبد العزيز ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1983.

-مصطفى سالم سيد ، الفتح العثماني الأول لليمن (1538م-1635م)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1969.

-سرهنك إسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج 2، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002.

-عبد العزيز عمر عمر: دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1990.

-عطا الله الجمل شوقي، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية، المطبعة الفنية الحديثة، 1971.

-علي طرخان إبراهيم ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة 1382م-1517م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960.

-فاضل حوراني جورج، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، القاهرة، 1980.

-خليل ضومك أنطوان ، الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، دار الحداثة، بيروت، 1982.

كما اعتمدنا في بحثنا هذا كذلك على مجموعة جد هامة من المراجع المكتوبة بالغ ات الأجنبية نذكر منها ما يلي:

-A. H. De. Oliveira Marques, History Of Portugal, vol3, U.S.A, 1972.

−Anderw Hess, The Evolution of Ottoman Empire in The 18Age of The Oceanic Discoveries(1453-1525), American Historical Review, vol Ixxv, America, 1970.

-A. Toynbee, a study of history , oxford University, vol3, London, 1945.

-FERNAND BRAUDEL, La méditerranée et le monde méditerranéen à l'Epoque de Phillip2, Tome 1, vol2, Paris, 1966.

-François Charles Roux, Au Tour d'une route L'Angleterre L'isthme et Le canal de suez, Tome1, Paris, 1901.

-J. Hammer, Histoire de l'empire ottoman depuis son origine jusqu' à nos jours, trad J.J.Hellert, Tome5, Paris, 1836.

-Piri Reis, Kitabi Bahriye, Ministry of Culture and Tourisme, Ankara, 1988.

-Ricard .R, Les Portugais et le Sahara Atlantique, Tome10, Paris, 1930.

-Serjeant R.B, The Portugese Off The South Arabian Coast, London, 1963.

-Stephenes Mores, The History of Portogal, London, 1908.

-Wilson. A, The Presain Gulf, London, 1959.

أما المجلات الأجنبية فقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجلتين هما:

-FERNAND BRAUDEL, <<Les Espagnols et L'Afrique du nord de 1492 à 1577 in revue Africaine>>, Paris, 1928.

-Paul Kahle, <<Piri Reis The Turkish Sailor and Geographer>>, The Magazine of Pakistan Historical Society, Pakistan , vol1, 1965.

ثالثا/ المقالات:

كما أولينا كذلك اهتماما كبيرا في توظيف المجلات التاريخية ومقالاتها المتعلقة بموضوع الدراسة، باعتبارها تمثل مادة علمية جديدة في الدراسة الأكاديمية نذكر منها ما يلي:

-أبا حسين علي عبد الله ، <<الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق >>، الوثيقة، السنة 1984، العدد3، السلسلة01.

-اينالجيك خليل، <<العثمانيون النشأة والازدهار >>، مقال منشور في كتاب دراسات في التاريخ العثماني، محمد، سيد، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996.

-أندرادي روي فيريرا، <<يوم سقطت هرمز >>، مذكرات القائد البحري روي فيريرا، الموسوعة البرتغالية، ترجمة الدكتور عيسى أمين، إصدارات مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، المنامة، البحرين، 1970، د .ع/1996.

-بوشرب أحمد ، <<مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي>>، الوثيقة، السنة1984، العدد4، السلسلة2.

-بطي أحمد محمد عبيد، <<الصراع العثماني البرتغالي في القرن السادس عشر الميلادي>>، ط1، ندوة الثقافة والعلوم الرابعة، دبي، السنة1991.

-الجمل شوقي، <<المراكز العربية على ساحل إفريقيا الشرقي والجزر القريبة منه >>، الوثيقة، السنة1996، العدد29، سلسلة 15.

-الحميدان عبد اللطيف ناصر، <<التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية(1417م-1521م)>>، مجلة كلية الآداب بجامعة البصرة، السنة 1980، العدد 16، السلسلة14.

-الصعوبات والعراقيل التي صادفتني في انجاز موضوع الدراسة:

لاشك بأن انجاز أي بحث لا يخلو من صعوبات وعراقيل مختلفة وفي بحثي هذا واجهتني عدة صعوبات أهمها:

-أن الوصول إلى مصادر المادة العلمية في هذا الموضوع المطروح يحتاج إلى ترجمة هذه المصادر المكتوبة باللغات الأجنبية خاصة بلانجليزية والفرنسية منها ، هذا ما فرض علي جهدا مضاعفا لانجاز ترجمة وفية للنص الأصلي.

-صعوبة هيكلة موضوع البحث وضبط أحداثه تسلسلا زمنيا مركزا في فترة الدراسة الممتدة على مدار سبع وخمسين سنة كاملة(1497م-1554م)، لكنني تمكنت إلى حد ما بفضل من الله وتوفيق منه من ضبط فترة هذه الدراسة لتكون متكاملة ومتناسقة ومعمقة في نفس الوقت، خصوصا بعد التوجيهات السديدة للأستاذة المشرفة علي في انجاز هذا البحث.

-لاحظت في انجاز هذا البحث قلة المادة العلمية الخاصة بمثل هذه الدراسات الخليجية من مصادر ومراجع في المكتبات الجامعية ببلادنا، ما تطلب مني بحثا مضاعفا وبذل المجهود للحصول عليها في مواقع المكتبات الالكترونية للجامعات الخليجية(مكتبة جامعة الملك فهد ومكتبة جامعة أم القرى ومكتبة جامعة قطر...) ثم تحميلها على شكل كتب مضغوطة(PDF).

-كذلك واجهني في انجاز هذا البحث قلة ان لم نقل انعدام الدراسات الخليجية الأكاديمية في أغلب مكتبات الجامعات الجزائرية التي زرتها، من مذكرات ماجستير أو أطروحات دكتوراه فمثل هذه الدراسات لا تزال حسب وجهة نظري جديدة عندنا.

تجدر بنا الإشارة كذلك أن البحث في المجال التاريخي يعد مساهمة في بناء كيان أمة بأكملها لكن بقدر الأهمية التي يحظى بها هذا البحث التاريخي، بقدر ما تعترضه صعوبات جمة فإذا كان بعض المسئولين عن المكتبات والقائمين على دور الأرشيف ذوا مبادرات تستحق الثناء والتقدير فان الكثيرين منهم لا يولون لوظيفتهم الحساسة أية أهمية، ما جعل الباحث عندنا يعاني دائما من عدة صعوبات وعقبات لانجاز بحثه.

لاشك بأن هذه المسائل المشار إليها سابقا والتي أعتبرها عقبات في طريقي لبلوغ الأهداف المرجوة في انجاز هذا البحث هي مشاكل قد تواجه أي باحث، فان وفقت فـي انجاز هذا البحث فهذا بتوفيق من الله وبعون منه، حسبي أنني بذلت جهدا كبيرا في كشف حقائق تاريخية جد هامة تتعلق بتاريخ الصراع العثماني والبرتغالي في مياه البحر الأحمر والخليج العربي، من جوانبه السياسية والاقتصادية والدينية والعسكرية آملا من أن تضيف هذه المذكرة لبنة جديدة في المكتبة الجامعية الجزائرية، لتكون بمثابة حجر أساس لي للدراسات العثمانية الخليجية في الجزائر مستقبلا، فاتحا المجال لغيري من الباحثين من أجل تعميق هذا البحث وإكمال النقائص الموجودة فيه.

-بعض الاستنتاجات المتوصل إليها في نهاية هذه الدراسة:

-لقد ساهم الوضع السياسي المتردي من تقاتل وتناحر بين القوى السياسية الكبرى على زعامة العالم الإسلامي، الممثلة في الدولة العثمانية والدولة الصفوية والمماليك في ترسيخ الوجود البرتغالي بالبحار الشرقية والخليجية لعقود طويلة من الزمن حيث استغل البرتغاليون هذا التشرذم والانقسام في توسيع مراكزهم الحربية والتجارية بصورة متزايدة.

-ان ما ساعد البرتغال على تنفيذ مشروعها السياسي والاقتصادي داخليا هو عدم اتحاد القوى المحلية بالخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، لمقاومة هذا الغزو والممثلة في عشائره القبلية ومشيخات الوراثية وإمارات العربية التي راحت تتقاتل فيما بينها من أجل الحكم والسلطة أو قضية الحدود الداخلية التي تفصل بينها، مثل ما وقع بين الطاهريين والزيديين في اليمن النبهانيين وبين إمارة الجبور ومملكة هرمز وبين الطاهريين والمماليك كذلك والإمامة الإباضيين والنبهانيين في عمان، مما زاد في تعميق الخلاف لكون ضعف العالم الإسلامي قد بدأ من الداخل ليستغله البرتغاليين من الخارج فكان الأجدر بهم هو مواجهة البرتغاليين وترك هذه المسائل جانبا.

-يعتبر الوجود العثماني في مياه البحار الشرقية والخليجية بمثابة الحجر الذي عرقل تغلغل البرتغاليين في هذه البحار وحد من أطماعهم، بعد تخريبهم لحركة التجارة في الموانئ الإسلامية وتهديدهم أيضا للأماكن المقدسة بالحجاز، ونشرهم للديانة المسيحية على حساب الدين الإسلامي

ما جعل هذه الكشوفات البرتغالية تعتبر غزوا حقيقيا على العالم الإسلامي بجميع وجوهه وأشكاله الاقتصادية والعسكرية والدينية والسياسية، ليكون الغزو البرتغالي بمثابة النواة الأولى لبداية التكالب الأوروبي على دول العالم الإسلامي مع مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

–ان قضية إعدام قابودان مصر والسويس بيري ريس تعتبر واحدة من بين أكبر الأخطاء التاريخية التي وقعت فيها السلطة العثمانية وسلطانها سليمان القانوني خلال فترة حكمه، هو إعدامه للعالم الجغرافي والملاح والقائد العسكري بيري ريس، الذي لم تتح له الفرصة للأسف الشديد للدفاع عن نفسه.

لا أنسى أن أذكر أن ما بذلته من جهد علمي قد تم أيضا بفضل التوجيهات والنصائح السديدة الأستاذة المشرفة علي في انجاز هذا البحث، الأستاذة الدكتورة فلة موساوي القشاعي التي لم تبخل علي من نصح وتوجيه علمي وأكاديمي، من بداية انجازي لهذا البحث إلى غاية إنهائه فعسى أن تشكل هذه المبادرة العلمية المتواضعة المنطلق حول دراسات مستقبلية متعمقة لهذا الموضوع الهام والشيق.

"قائمة المختصرات"

د ت: بدون تاريخ.

د ن: بدون دار النشر.

د ط: بدون طبعة.

د ع: بدون عدد.

ص: صفحة.

ج: الجزء.

ط: الطبعة.

م: التاريخ الميلادي.

T:tome.

VOL: volume.

P: Page.

S.D: Sans Date.

S.D.L.E: Sans Date et lieu d'Edition.

N°: Numéro.

"الفصل الأول"

الدوافع الحقيقية للكشوفات البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية.

-أولا:مملكة البرتغال ونشأتها .

-ثانيا:الدوافع المساعدة على قيام حركة الكشف الجغرافي للبرتغال.

-ثالثا:أهداف الكشوفات البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية

-رابعا:حملة Vasco De GAMA على بلاد الهند والبحار الشرقية.

-أولا/مملكة البرتغال ونشأتها:

عندما يتعرض الباحث إلى موضوع الكشوفات الجغرافية البرتغالية لابد أن يقف عند أهم عنصر وحافز فيها، ما جعل هذه الكشوفات تسير حثيثا للوصول إلى مبتغاها ألا وهو أن يطرح على نفسه تساؤلا وجيها وهو كيف نشأت مملكة البرتغال الصغيرة مساحة وسكانا؟ والمعزولة في غرب أوروبا والمطلة مباشرة على المحيط الأطلسي لتظهر بهذه السرعة وتحقق ما عجزت دول أوروبا ككل عن تحقيقه، ألا وهو الوصول إلى مصادر تجارة المسلمين في البحار الشرقية والخليجية بشكل أذهل أوروبا والعالم بأسره؟ فان كل من (Gênes) جنوة و (Venise) البندقية عجزتا عن كسر احتكار المسلمين لمصادر هذه التجارة لعقود طويلة من الزمن، باعتبار أن الأوربيين قد استفادوا كثيرا من خلال احتكاكهم مع المسلمين في المشرق العربي، عند تأسيسهم لمماليك في بلاد الشام بأنطاكية (Antioche) وحلب وإدراكهم لمدى اعتماد المسلمين على حركة التجارة في المنطقة وتحكمهم في مختلف المسالك التجارية البرية منها والبحرية، بفضل تطور علم رسم الخرائط الجغرافية عند العرب[1]، فرغم انهزام الأوروبيين في الحروب الصليبية ضد المسلمين إلا أنهم قد نهلوا كثيرا من علوم المسلمين واقتبسوا منها ما اقتبسوا بعد حركة الترجمة، عن طريق معابر الحضارة الإسلامية في جزيرة صقلية وبلاد الأندلس.

فقبل نهاية تلك الحروب الصليبية بالمشرق الإسلامي والتي دامت قرنين من الزمن بدأ تأسيس مملكة البرتغال (Royaume de Portugal) خلال تلك الفترة، حيث كانت البرتغال قبل ظهورها مساحة جغرافية تابعة إلى بلاد المسلمين بالأندلس حتى بداية القرن الحادي عشر الميلادي، فكان ميلاد البرتغال كولاية صغيرة في عهد الملك (Ferdinande1)فرديناند الاول(1035م-1065م)، ملك قشتالة (Castille) وليون(Léon) الذي نجح في استرداد أراضي

(1) لقد كان للمسلمين الأثر الكبير في حركة النهضة الأوروبية والكشوف الجغرافية خلال العصر الحديث، لما ألفوه من كتب ومصنفات في العلوم الجغرافية الوصفية منها والفلكية، حيث ترجم ت أغلبها إلى مختلف اللغات واللهجات كاللاتينية وغيرها من اللغات، التي أصبحت مرجعا أساسيا للرحالة الأوروبيين، فالبرتغاليون أنفسهم استعانوا بخرائط عربية عن الملاحة من أجل الوصول إلى الهند، ولا يزال فضل ابن ماجد على فاسكوا دي غاما موجودا عن تبيينه له لخطوط الطول والعرض ومعلومات عن رصد النجوم للوصول إلى الهند، أنظر: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، الإسلام والثقافة العربية في أوروبا، عالم الكتب، القاهرة، 1979، ص(234،235).

إقليم لوزيتانيا (Lusitania) التي تقع بين نهري دويرو ومنديجوا، عندما أطلق عليها خلال تلك الفترة اسم كونتيه البرتغال (Conté de Portugal)[1]، مما جعل الملك فرديناند الاول يؤسس من هذه المنطقة مقاطعة مستقلة إلا أنها ظلت تابعة لمملكة قشتالة سياسيا وعسكريا.

كما ساعدت عدة عوامل جيوسياسية متفاعلة فيما بينها على القيام السريع لمملكة البرتغال، التي في مقدمتها الوضع السياسي المتردي في بلاد الأندلس خلال حكم ملوك الطوائف لها[2]، من خلاف ونزاع وتنافس على عرش السلطة والذي بلغ ذروته خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد.

مما كان حافزا مهما للقوى المسيحية في بداية حركة جديد لطرد المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية وضمن حلقة هذا الصراع المسيحي الإسلامي، في بلاد الأندلس استطاع أحد الفرسان المسيحيين الذي يدعى (Henry Al Borgandhi)هنري البورجاندي عام 1095م، من استرجاع أحد المقاطعات بجنوب نهر المنديجوا في الشمال الغربي من شبه الجزيرة الأيبيرية (Péninsule ibérique)، ثم طرد المسلمين منها وضمها إلى الأراضي التي أطلق عليها اسم البرتغال سابقا وخلف الملك فرديناند الأول في حكمه بعد ذلك ابنه (Alfonso première Hercus)ألفونسو الأول هريكوس(1128م–1185م)، الذي واصل حروبه ضد مسلمي الأندلس وهو من يعتبر المؤسس الحقيقي لمملكة البرتغال، إذ حولها من مجرد إمارة إلى مملكة مستقلة بذاتها في شبه الجزيرة الأيبيرية، خاصة بعد تمكنه من احتلال مدينة لشبونة (Ville de Lisbonne) وانتزاعها من أيدي المسلمين وجعلها عاصمة لمملكته منذ عام 1147م[3].

فساعده في ذلك التوسع الصراع القائم بين ملوك الطوائف مع بعضهم البعض، مما زاد في سوء أوضاع مسلمي الأندلس هو تلك الموجة التي شنها المسيحيين ضد المسلمين بعد زواج الملك

---

(1) محمود محمود النشار ، تأسيس مملكة البرتغال، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1995، ص9.

(2) محمود محمود النشار، المرجع نفسه، ص ص09-34.

(3) A. H. De. Oliveira Marques, History Of Portugal, 3vols, U.S.A, 1972, p.p16-21.

فرديناند ملك قشتالة بالملكة إيزابيلا (La reine isabelle) ملكة أراغون(Aragon) عام1469م فقد شكل هذا الزواج السياسي ظهورا لمملكة اسبانيا(Royaume D'Espagne)وإنهاء للوجود الإسلامي من الأندلس والذي كان قد انحصر في عاصمة بني الأحمر بغرناطة، أخر معاقل المسلمين بعد سقوطها في عام 1492م[1].

لقد دخلت قوات الأراغون وقشتالة الموحدتين مدينة غرناطة في يوم 25نوفمبر 1491م (Ville de Grenade)لتبدأ بعد هذه الفترة عملية إنهاء المسلمين وملاحقتهم إلى شمال المغرب العربي بعد رفع كل من اسبانيا والبرتغال [*] لشعارهما المعروف باسم: **حروب الاسترداد** [*]، الذي نفذ على مدى قرن ونصف من الزمن، فقد تزعم البرتغاليون الحركة المسيحية المنتصرة على المسلمين في بلاد الأندلس، تعقبوا النازحين منهم إلى شمال المغرب العربي من أجل تأمين أنفسهم من عدم عودة المسلمين إليهم، لتتطور فيما بعد حركة المقاومة البرتغالية من مجرد طرد المسلمين وتعقبهم في شمال إفريقيا إلى محاولة محاصرة العالم الإسلامي من جبهته الجنوبية، بقطع طرق التجارة البرية والبحرية عليه وضرب الاقتصاد الإسلامي لأضعاف المسلمين اقتصاديا، ثم نشر الديانة المسيحية على حساب الدين الإسلامي الذي انتشر سريعا بفعل حركة التجارة والفتوح

---

(1) أمر الملك فرديناند جنوده بقتل مسلمي غرناطة بعد الزواج السياسي الذي جمعه مع الملكة إيزابيلا عام1469م، كما صرحت الملكة إيزابيلا في وصيتها للجيوش الأسبانية بأن تحرير اسبانيا من المسلمين لا يتم إلا بفتح شمال إفريقيا في سبيل العقيدة النصرانية، أنظر: عبد الملك عودة ، السياسة والحكم في إفريقيا، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1959، ص 60، وعن توحد مملكتي قشتالة و أراغون أنظر: شكيب أرسلان ، تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983، ص ص160- 162.

(*)البرتغال: يرجع اسم البرتغال إلى عاصمة إقليم لوزيتانيا، والتي كان يسميها المسلمون ببورتو" د" وتكون اسم البرتغال من "د"، وهو اسم المدينة التي تقع على مصب نهر دويرو ومن اسم القلعة الواقعة في إقليم لوزيتانيا "كايا"، ودمج الاسمان معا وأصبح يطلق على جميع الأراضي التي سيطر عليها البرتغاليون، أنظر: محمود محمود النشار، المرجع السابق، ص ص09-34.

(*) حروب الاسترداد: هي الحروب التي أعلنتها اسبانيا على المسلمين في بلاد الأندلس بهدف استرجاعها منهم ثم توسعت بعد ذلك لتشمل تنصير المسلمين في شمال إفريقيا ككل، أنظر: عبد الجليل التميمي ، الخلفية الدينية للصراع الاسباني العثماني على الايالات المغربية في القرن 16م، بحث ألقي في المؤتمر العالمي الثالث للدراسات العثمانية، زغوان، تونس، 1990، وأنظر: محمد دراج ، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الأخوة بربروس(1512م-1543)، أطروحة دكتوراه، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص26، و للمزيد من الإيضاح أنظر كذلك:

FERNAND BRAUDEL, <<Les Espagnols et L'Afrique du nord de 1492 à 1577 in revue Africaine>>, Paris, 1928, p.199.

الإسلامية في شمال إفريقيا، جنوب أوروبا ثم القضاء على الوجود الإسلامي عسكريا بعد ذلك وكأنها حرب صليبية ثانية!.

-ثانيا/الدوافع المتحكمة في قيام حركة الكشف الجغرافي للبرتغال

لقد تكاملت عدة عوامل من أجل فتح الطريق أمام البحارة والمغامرين البرتغاليين لخوض غمار البحار الشرقية والخليجية، ارتياد المجهول بحثا عن مصادر الثراء والربح السريع من منتجات أسيوية ورغبة في التخلص من احتكار المسلمين لهذه السلع عكس غيرهم من الأوروبيين، الذين لم تسعفهم الظروف الداخلية والخارجية على القيام بحركة الكشوفات الجغرافية مع مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، ترى ماهي العوامل المتحكمة في نجاح حركة الكشف الجغرافي لمملكة البرتغال؟.

1- الموقع الجغرافي والاستراتيجي للبرتغال والذي يطل على المحيط الأطلسي غربا ويحتل مكانة إستراتيجية جد هامة، إذ ساهم هذا الموقع في تسهيل حركة الكشف الجغرافي للبرتغال في البحار القريبة منها بعد تكوين مملكتها التي تقع في الطرف الجنوبي الغربي من القارة الأوروبية وتطل على قارة إفريقيا مباشرة، فهي تزخر بسواحلها الشاسعة والمطلة على المحيط الأطلسي [(1)] كما أن مدينة لشبونة التي أصبحت مركزا لتجارة الرقيق والذهب القادم من إفريقيا، منذ مطلع القرن الرابع عشر الميلادي أدركت قبل غيرها من الأوروبيين مصدر الثراء وطرقه برا وبحرا[(2)].

2- نتج عن قلة الذهب في البرتغال وتوقف صك العملة الذهبية منذ عام 1485م مع استمرار هذا الوضع ما يقارب الخمسين سنة تقريبا، مما أدى إلى خلق أزمة نقدية في الخزينة

---

(1) عبد الملك عودة، المرجع السابق، ص 64.

(2) عندما تمكن البرتغاليون من التوسع في قارة إفريقيا سهل لهم ذلك عملية التوجه نحو الشرق ، بعدما أقاموا قواعدهم العسكرية الخلفية في سواحل إفريقيا، فأنشئوا بذلك مركز أرجن التجاري عام 1445م، و قاعدة سانتياجوا في خليج غينيا عام 1440م وكاشو عام 1450م، ولامينا عام 1482م و تمكنوا من ا لإتصال بمصادر الذهب السوداني والعبيد، بعدها اتجهوا نحو أنغولا وصولا إلى موزنبيق ثم إلى سفالا وكلوة، أنظر:
Ricard(R), Les Portugais et le Sahara Atlantique, Tome 10, Paris, 1930. p.343, et FERNAND BRAUDEL, La méditerranée et le monde méditerranéen à l'Epoque de Phillip2, Tome 1, vol2, Paris, 1966, p.424.

البرتغالية وحدوث أزمات مالية واجتماعية مختلفة، وصفت على أنها "مجاعة نقدية"، عرفتها القارة الأوربية خلال تلك الفترة من القرن الرابع عشر الميلادي، الأمر الذي جعل العديد من فئات المجتمع تتسابق من أجل ركوب البحار بحثا عن سند لعملة البلاد المتدهورة، لقد نجحت البرتغال في تحويل الذهب والعبيد إليها منذ عام 1444م إلى غاية عام 1550م [1]، رغم ذلك إلا أن هذا التحويل البرتغالي لتجارة بلاد السودان لم يكن تاما وهذا ما يبينه الذهب الذي استمر في الوصول إلى شمال الصحراء الإفريقية وإلى تلمسان مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي[2].

3- باعتبار أن البرتغال قد ورثت الحقد الصليبي على الدين الإسلامي بداية من حروب الاسترداد، التي شنها المسيحيون على مسلمي الأندلس بعد نجاح محاكم التفتيش كذلك خلال بداية القرن الخامس عشر الميلادي، في طرد المسلمين إلى شمال المغرب العربي فقد ترعرع هذا الحقد الدفين في نفوس المسيحيين وأصبح حافزا للبرتغاليين من أجل استكمال مسيرة الاسبانيين خارج القارة الأوروبية، بداية من المغرب العربي ثم وصولا إلى المشرق الإسلامي من منطلق الخلفية الدينية التي تهدف إلى ضرب الاقتصاد الإسلامي وبلوغ مصادره في أقصى الشرق الأسيوي[3].

---

(1) عمار بن خروف ، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ميلة، 2008، ص ص(22،23).
(2) الحسن بن محمد الوزان ، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1983، ص336، وأنظر أيضا:
Marmol de caravaj (L), Description Générale de L'Afrique, trad Perrot d'Albancourt, T3, Paris, 1667, p.332.
(3) دفعت البرتغال شعبها على الغزو والتوسع وتحمل جزء من تكاليفه في هذه الحملات العسكرية الاستكشافية، فاحتلال البرتغاليين لمدينة سبتة بالمغرب الأقصى عام 1415م، ثم احتلالها بعدها لباقي السواحل المغربية في المحيط الأطلسي كأسفي وأزمور ودوكالة وأغادير القصر وطنجة واتجاههم بمحاذاة الجنوب الغربي للقارة الإفريقية وبتحديد إلى أقصى نقطة في إفريقيا جنوبا، والتي اكتشفها البحار بارثلميو دياز عام 1487م، وهي المنطقة التي سماها برأس العواصف البحرية ثم أطلق عليها ملك البرتغال يوحنا الثاني (1481م-1495م)، اسم رأس الرجاء الصالح ليتجهوا منها إلى بلاد الهند، كما أن ملوك البرتغال قد دعموا هذه الحملات الاستكشافية مثل الأمير هنري الملاح (1394م-1460م) ابن جون الأول الذي ارتبط لقب الملاح به بسبب دفعه وتشجيعه للكشوفات الجغرافية في بداياتها الأولى، أنظر: محمد العروسي المطوي ، السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص 653، وعن اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح أنظر كذلك: فاروق عثمان أباظة ، دراسات في تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2003، ص128.

فقد تزعم البرتغاليون الموجة المسيحية المنتصرة على المسلمين في بلاد الأندلس وتعقبوا النازحين منهم إلى شمال إفريقيا لتأمين أنفسهم من عودة المسلمين إليهم، تطورت بعدها حركة المقاومة البرتغالية من مجرد طرد المسلمين وتعقبهم في شمال إفريقيا إلى محاصرة العالم الإسلامي من جهته الجنوبية، وسلب مصادر التجارة من أيدي التجار المسلمين، فصار من نصيب البرتغال قواعد تجارية ومراكز بحرية عسكرية في سواحل أفريقيا وبأقصى شرق أسيا[1].

4- احتاجت البرتغال في تجارتها إلى العديد من السفن البحرية ذات الحمولات الكبيرة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، لكون البرتغال قد عانت من أزمات مالية على مستوى خزينتها، فقد شكل وصول أسرة أفيز(1385م-1580م)إلى الحكم في البرتغال بداية للتنظيم والتخطيط والتأسيس لمرحلة الكشوفات البرتغالية [2]، لكونها الأسرة الغنية في ذلك الوقت لما تمتلكه من رأسمال كبير مولت به معظم مشاريع صناعة السفن البحرية، دفعت به مرتبات البحارة المغامرين من أجل الربح التجاري والمنافسة على خوض غمار البحار للسيطرة على طرق التجارة في حوض البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا أولا ثم في أقصى الشرق الأسيوي ثانيا.

كما أن ظهور المذهب الاقتصادي المسمى بالماركنتلية (Mercantilisme)[*]، في أوروبا قد جعل الكثير من الطامحين في الحكم والسلطة يسعون إلى تحقيق أهدافهم خارج مملكة البرتغال[4]، يرجع هذا إلى أسباب وعوامل أهمها كون الأراضي البرتغالية تقع على منطقة جبلية ضيقة ومحصورة بين ساحل المحيط الأطلسي غربا والحدود الاسبانية شرقا، التي لا يمكن التوسع

---

(1) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار الثقافة، الدوحة، 1987م، ص26.

(2) أحمد بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة أخلاء أسفي وأزمور، مطبعة الدار البيضاء، المغرب، 1984، ص102.

(*) الماركنتلية: هي مذهب اقتصادي يعبر عن ظهور طبقة البرجوازية التي تعتبر من بين مظاهر النهضة الأوروبية في مرحلة تراجع النظام الإقطاعي ونهايته وبداية ظهور الحركة القومية الأوربية الحديثة والمرتبطة بسلطة الملك والطبقة الوسطى البرجوازية، التي نمت رؤوس الأموال لديها وزادت ملكيتها في تمويل الحملات البحرية والجيش مقابل البحث عن مصادر الثروة والمال.

(4) موسى الزغبي، البداية والنهاية نشأة القوى العظمى وانحطاطها، دار النهضة العربية، بيروت، 1991، ص17.

من جهتها بسبب قوة الأسبان عسكريا وسياسيا خصوصا بعد الوحدة الجغرافية والسياسية التي عرفتها مملكتي قشتالة و أراغون[1].

5- ساهم المسلمون في تطوير حركة النهضة الأوربية(Renaissance européenne) والكشوف الجغرافية بعلومهم، التي ترجمة أغلبها إلى اللغة اللاتينية ثم إلى اللهجات الأوروبية الأخرى، فقد سعى البرتغاليون منذ أواخر القرن الخامس عشر للميلادي إلى التعرف على علوم المسلمين في أسرار الملاحة وآلات الرصد كالإسطرلاب [*]، لمعرفة قياس ارتفاع الشمس والنجوم وتحديد الوقت والاتجاهات وخطوط الطول والعرض، من خلال مصادرتهم للخرائط والمخطوطات والأدوات البحرية في أثناء حروبهم مع المسلمين سواء في بلاد المشرق أو المغرب العربي[2].

كما استفادت البرتغال كذلك من السفن ذات الأشرعة المثلثة من عند الملاحين العرب، مما كان له الأثر الكبير في السبق الجغرافي الذي حققه البحارة البرتغاليون في مجال الكشوفات الجغرافية، في الوقت ذاته كان العرب المسلمين قد طردوا من بلاد الأندلس وأتى من قشتالة إلى البرتغال حوالي مائة وعشرين ألف يهودي مزودين بعلوم العرب المسلمين، التي تعلموا منها فن الملاحة وحساب الجداول الفلكية والمرشدات الملاحية، بعدما ترجموها أولا من العربية إلى العبرية حيث كانت مدرسة قشتالة خصوصا متفوقة في تلقين تلك العلوم الجغرافية آنذاك[3].

6- اجتمعت مصالح البرتغال الكشفية مع مصالح الكنيسة الدينية من خلال القرارات الكنسية التي أصدرتها الكنيسة البابوية بروما (Roma)، التي تمنح للملوك البرتغاليين امتيازات مالية وجبائية قصد تشجيعهم على الاستمرار في محاربة الإسلام والمسلمين وغزو أراضيهم، حيث أرسل البابا نيقولا الخامس (Le papa Nicolas V)(1427م-1455م)، إلى مللك البرتغال ما يسمى وقتها "بخطة الهند" والتي تهدف إلى القضاء على المسلمين وذلك بالتعاون مع ملوك

---

(1) فاروق عثمان أباظة، المرجع السابق، ص122.
(*) الإسطرلاب: كلمة يونانية الأصل تعني مرآة النجوم ويعتبر"بطليموس القلوذي" الذي عاش بالإسكندرية حوالي عام 127ق م، هو أول من قدم وصفا دقيقا للإسطرلاب الكروي والمسطح، أنظر: لطف الله القادري ، الانجازات العالمية للعرب والمسلمين في القرون المتأخرة، دار الفيصل الثقافية، السعودية، 2006، ص1.
(2) فاروق عثمان أباظة، المرجع نفسه، ص123.
(3) إبراهيم أحمد العدوي، نهر التاريخ الإسلامي ومنابعه العليا وفروعه العظمى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1989، ص527.

النصارى في إفريقيا وأسيا [1]، قد بالغ بعض باباوات الكنيسة في حقدهم على الإسلام والمسلمين لدرجة أنهم وصفوا المسلمين بالطاعون (The Plague of Islam)[2]، طالبوا ببذل الجهود الكبيرة لتنصير سكان المناطق المكتشفة في قارتي إفريقيا وأسيا، الحيلولة بينهم وبين إصابتهم بطاعون الإسلام(Le Peste De L'islam) ولا أدل على هذا الحقد الصليبي للدين الإسلامي ومدى طغيان الروح الصليبية على حركة الكشوفات البرتغالية، ما صرحه الملك البرتغالي John I (يوحنا الأول) لجيوشه محفزا إياهم بقوله لهم: <<...**بأن الميدان الحقيقي الذي يكسب فيه أفراد البيت المالك الفخار هو ميدان الجهاد ضد المسلمين في المغرب، وأنه سيمنح أكبر وسام في بلاده وهو وسام السيد الأعظم لمن يجاهد في هذا الميدان...**>>[3].

فلاشك بأن فتح القسطنطينية (Constantinople)[*] عاصمة الإمبراطورية الرومانية البيزنطية على يد محمد الفاتح(1432م-1481م)عام1453م، قد زاد من شدة هذا الحقد الصليبي على الدين الإسلامي فقد دفع هذا الامتداد العثماني نحو أوروبا الشرقية، إلى أطلاق البابا بروما لنداءاته المتكررة لملوك أوروبا للقيام بحرب صليبية ثانية ضد المسلمين[4].

---

(1) لقد أرسل البابا نيقولا الخامس رسالة إلى الملك هنري الملاح، يشكره فيها على المجهودات التي قام بها في محاربته لأعداء الله والمسيح في بلاد العرب الكفرة، أنظر: عبد العزيز محمد الشناوي ، أوروبا مع مطلع العصور الحديثة، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1969، ص ص(90،91).

(2) لقد أصدر البابا مرسوما كنسيا ينص على تقسيم الكرة الأرضية إلى قسمين ما عدا قارة أوروبا، وهذا لصالح كل من اسبانيا والبرتغال على تأخذ البرتغال القسم الشرقي، وتأخذ اسبانيا القسم الغربي بموجب اتفاقية تورديسيلاس عام 1494م، على أن يكون ذلك مقابل نشر الديانة المسيحية، وبهذا أصبح التنصير من بين الأمور التي تقوم بها السلطة الملكية الحاكمة بشبه الجزيرة الأيبيرية في الأراضي التي يتم اكتشافها أو السيطرة عليها.

(3) شوقي الجمل، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971، ص104.

(*) القسطنطينية: سميت بكوستنتبول نسبة إلى قسطنطين الأكبر(306م-337م)الإمبراطور الروماني الذي أسس عاصمتها وأقام القواعد الأولى لها، وحول هذا الاسم عند العرب إلى القسطنطينية، وخصها العديد من القادة والحكام بأهمية كبيرة جدا مثل إمبراطور روسي ا "Pierre Le Grande"(بطرس الكبير)(1682م-1725م) الذي قال في وصيته التاسعة لخلفائه <<... **اقتربوا بقدر استطاعتكم من القسطنطينية والهند، لأنه من يتحكم في تلك البقاع يكون هو الحاكم الحقيقي للعالم** ...>>، ولقد ابتدع البابا كاليكستوس الثالث عند سقوطها صلاة جديدة وسماها صلاة التبشير وكان يطلب خلالها الدعاء بالنصر على الأتراك العثمانيين، أنظر: نوال حمزة الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرنين العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1983، ص70، وأنظر حول نص الوصية: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981، ص ص(330-334).

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990، ص989.

فقد ذهب العديد من المؤرخين على أن السبب الحقيقي وراء بداية حركة الكشوفات الجغرافية في العصر الحديث، هو تقدم العثمانيين في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وقطعهم لطرق التجارة القديمة مع بلاد الهند، فمن هنا ظهرت الحاجة الماسة للأوروبيين للبحث عن مصادر تلك التوابل والبهارات، التخلص من احتكار البنادقة والمسلمين لتجارتها ومن أصحاب هذا الطرح المؤرخ البلجيكي Henry Perrin(هنري بيرين)الذي يشيرا إلى ذلك بقوله:<<... **ان قبول أوروبا جميعها بعد فتح اسطنبول، لسلاح المدفعية ووضعه على السفن وأخذ الإسطرلاب من العرب، أجبر أوروبا التي اختنقت بالفتوحات التركية وقطع الطريق عليها أن ترمي بنفسها بكل قوة نحو البحار المفتوحة وأن تبحث عن إيجاد طرق جديدة لتعويض احتياط ذهبها الذي نفذ...**>>[1].

لكن المؤرخ الفرنسي Roland mucineux(رولان موسينيه)يدحض هذا الطرح بقوله:<<...**لاشك أن حروب الأتراك قد شوشت التجارة أحيانا، ولكن الأتراك أنفسهم لم يقفوا موقفا عدائيا من التجارة مع الغربيين، فقد جددوا تكرارا وبكامل رضاهم المعاهدات التجارية مع حكومتي البندقية و جنوة، وتقيدوا بما كانت تنص عليه وحافظوا على حرية طرق القوافل المارة في بلاد فارس، والطرق البحرية في الخليج العربي والبحر الأحمر وما أن فتح سليم الأول مصر عام 1517م، حتى بادر إلى تجديد المعاهدات التي كان المماليك قد عقدوها مع البندقية، وقام بتخفيض الرسوم التي فرضها المماليك على تجارة الآفاويه أيضا...**>>[2].

بهذا امتزجت وتفاعلت العوامل الطبيعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية والدينية لتشكل بداية لمملكة البرتغال من أجل تطويق العالم الإسلامي من جبهته الجنوبية، ضرب عصب الاقتصاد الإسلامي وقطع طرق التجارة على المسلمين، لتنتقل المعارك والحروب بعدها من البر إلى البحر فبقدر ما كانت الدوافع الاقتصادية والتجارية، سببا في اقتحام البرتغاليين للبحار الشرقية والسيطرة على سواحل شمال إفريقيا ثم جنوب أسيا، على مضائق التجارة وطرقها فان التبريرات

---

(1) الغالي غربي ، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288م-1916م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص46.

(2) رولان موسينيه ، تاريخ الحضارات العام القرنان 16م و17م، ترجمة يوسف أسعد داغر وفريد محمد داغر، ج4، ط2، منشورات عويدات، لبنان، 1987، ص422.

الدينية التي تغلفت بها وجدت أذانا صاغية لها لدى الرأي العام البرتغالي خاصة والأوروبي بشكل عام[1]، لذلك فان التغلغل الأوروبي الذي قام به البرتغاليون في المشرق الإسلامي قد شكل النواة الأولى للغزو الأوروبي في العالم الإسلامي، بمختلف وجوهه وأشكاله الاقتصادية والدينية والثقافية والعسكرية[2].

7- لقد سايرت حركة الكشوفات البرتغالية في السواحل الإفريقية الغربية حركة لا تقل أهمية عنها لكنها اتسمت بالسرية أطلق عليها اسم"بعثات التجسس البرتغالية"، التي كانت تهدف إلى جمع كافة المعلومات عن مصادر التوابل وطرقها، كان لليهود الدور الهام في جمع المعلومات الجغرافية عن المسالك والطرق البرية والبحرية لدرايتهم بالغة العربية، من بين أشهر الجواسيس الذين أرسلهم ملك البرتغالي Jean II(جون الثاني)(1481م-1495م)، يهوديان من لشبونة هما J. Pedro covilham(جون بيدرو داكوفيلهام) ومساعده Alfonso de Paiva (ألفونصوا دي بافيا) للقيام برحلة تجسسية واللذان دخلا قافلة الحج المتوجهة من المغرب إلى مصر ثم منها إلى مدينة جدة بواسطة تنكرهم بزي إسلامي عام 1487م[3]، ثم أبحروا بعدها إلى الهند وجمعوا العديد من المعلومات والحقائق الجغرافية عن أحوال التجارة ومراكزها في بلاد المسلمين، بعدها كتب الجاسوس بيدرو داكوفيلهام تقريره إلى الملك جون الثاني واصفا فيه طبيعة الأنشطة التجارية وحركتها وأهم الموانئ التجارية هناك[4]، قبل عودته اتجه إلى موانئ عدن وهرمز وجدة والقاهرة ثم زار موانئ شرق إفريقيا مستطلعا في ذلك أمر الطرق التجارية الرابطة بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي خلال رحلته التجسسية.

---

(1) كانت دوافع البرتغاليين من أجل الوصول إلى الشرق ممزوجة بالأهداف الاقتصادية، لا كن الهدف الديني والسياسي كان لابد من تحقيقهم، من خلال الوصول إلى المقدسات الإسلامية بالحجاز وتدميرها وإنهاء وساطة المماليك التجارية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي، ساهم في ذلك الاستقرار السياسي للبرتغاليين واستقلال حدودهم الجغرافية، مما دعاهم إلى توجيه اهتماماتهم للبحث عن طريق بحري بديل عن طريق البحر الأبيض المتوسط، أنظر: يسرى الجوهري، الكشوف الجغرافية دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص128.

(2) شوقي الجمل ، عبد الله إبراهيم، المرجع السابق، ص21.

(3) فاروق عثمان أباظة، المرجع السابق، ص128.

(4) مصطفى محمد رمضان ، العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر، ج 1، ط1، دن، القاهرة، 1985، ص(35،36).

يمكننا اعتبار رحلة الجاسوس بيدرو داكوفيلهام من بين أهم الرحلات التجسسية التي مهدت الطريق أمام المغامرين والبحارة البرتغاليين، الذين تعرفوا من خلال تقاريره على مختلف القدرات العسكرية والاقتصادية للدولة المملوكية في مصر وبلاد الشام، التي استعانت بها كذلك السلطة الحاكمة في لشبونة من أجل التوجه إلى جنوب شرق إفريقيا والوصول إلى بلاد الهند[1].

8- ساعد البرتغال على حركة الكشف الجغرافي ذلك الدور التنافسي الذي لعبته مع اسبانيا، الذي زاد من حدة التسابق نحو اكتشاف أكبر قدر ممكن من المناطق وإخضاعها تحت سيطرة البرتغال أو الاسبان، هذا ما سمي بالسباق نحو مناطق النفوذ فلولا تدخل البابا يوليوس الثاني(Le Papa Julius II) لقامت حرب بين الدولتين بسبب هذا التنافس والاختلاف حول المناطق المكتشفة بادعاء كل طرف أحقيته فيها، خصوصا عندما تمكن البحار البرتغالي بارثلميو دياز عام 1487م، من اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح [2]بجنوب القارة الإفريقية ثم اكتشاف البحار الاسبانيChristopher Colombus (كريستوف كولومبوس) للعالم الجديد عام 1492م.

فعقد الطرفان بعدها معاهدة غريبة جدا تخول لهما حق اقتسام العالم بينهما ماعدا القارة الأوروبية، التي سميت بمعاهدة Touredisselas(torديسيلاس)المنعقدة بتاريخ 07نوفمبر 1494م تحت تأييد الكنيسة البابوية بروما، تم من خلالها تحديد نقطة 1500ميل غربا من جزر الرأس الأخضر ورسم خط وهمي بها يمتد من الشمال إلى الجنوب، من خلاله يصبح كل ما هو غرب هذا الخط ملك لاسبانيا وما هو شرق هذا الخط ملك للبرتغال[3].

لقد تعمقت علاقة الكنيسة البابوية بروما مع القوى الأيبيرية (Les Forces Ibériques) في غرب أوروبا، التي أخذت على عاتقها مسؤولية شن هجمات عسكرية بحرية تشبه إلى حد بعيد بحرب صليبية ثانية ان صح التعبير، لإنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية والسيطرة

---

(1) عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص98.
(2) أطلق البحار بارثلميو دياز على هذا الممر المائي اسم رأس العواصف البحرية عندما اكتشفه، لوجود العديد من الدوامات المائية التي تحول دون عبور السفن البحرية (cabo Tormetoso) ، لكن الملك البرتغالي جون الثاني سماه باسم رأس الرجاء الصالح، تفاؤلا منه على أن يكون هذا الطريق ناجحا وصالحا على التجارة البرتغالية، هو الذي يعتبر من أهم الانجازات الجغرافية للبرتغال عالميا(cabo de buena Esperansa).
(3) جوزيف برجر، مكتشفو العالم الجديد، ترجمة يوسف، نصر الله، د ن، الإسكندرية، 1991، ص27.

على طرق تجارة المسلمين ونزع تجارة التوابل من بين أيديهم، للتخلص من الضرائب المفروضة عليهم ومن وساطة تجار المماليك والبنادقة كذلك، ثم ضرب المسلمين من جبهتهم الخلفية في حركة سموها باسم الكشوفات الجغرافية والتي هي في واقع الأمر عكس ذلك تماما.

بهذا امتزجت وتفاعلت الأهداف الاقتصادية مع الأهداف الدينية والسياسية والعلمية والجغرافية، لكن ترى ماهي الأهداف والدوافع الحقيقية التي دفعت بالبرتغاليين إلى خوض غمار هذه البحار الشرقية وتحمل أعباء كل هذه النفقات المالية والتجهيزات البحرية المادية منها والبشرية مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي، هل صحيح أن الفضول الجغرافي وحب المغامرة واكتشاف المجهول هو من قاد البرتغال وشعبها للبحث عن هذا العالم المجهول، أم أن للبرتغال أهداف أخرى تريد تحقيقها من وراء هذا الكشف الجغرافي؟.

-ثالثا/ أهداف الكشوفات البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية:

بحثا عن أهداف الكشوفات الجغرافية التي قامت بها مملكة البرتغال مع مطلع العصور الحديثة، فانه لا يمكن للباحث أن يفصل الدين عن السياسة خلال تلك الفترة التاريخية بالذات لكون الكنيسة هي من كانت مصدرا للقرار السياسي والديني والدافع الروحي والمعنوي للكشوفات الجغرافية في أوروبا، المسير لكل التوجهات الحياتية التي كانت تستمد قوتها من الدين وتحديدا من رجال الكنيسة، بداية من العصور الوسطى إلى غاية العصور الحديثة لذلك فقد قامت الكشوفات البرتغالية في عصر كان فيه الدين والسياسة وجهان لعملة واحدة، ترى ماهي الأهداف الحقيقية التي سعت البرتغال إلى تحقيقها من خلال حركة كشوفاتها الجغرافية بالبحار الشرقية والخليجية؟.

1- استكمال سلسلة الصراع الدائر بين المسلمين والمسيحيين منذ فترة الحروب الصليبية والتي وجدت فيها الكنيسة البابوية فرصة ذهبية لها، من أجل إخراج المسلمين أولا من شبه الجزيرة الأيبيرية فكان لها ذلك بعد سقوط غرناطة عام 1492م، ثم انتقلت بعدها إلى مطاردة المسلمين في شمال إفريقيا ثانيا[1]، باسم الحرب الدينية المقدسة التي راح الكثير من الباباوات بأوروبا يهللون

(1) عبد الملك عودة، المرجع السابق، ص60.

لها لتخليص أنفسهم من عيوب الكنيسة وفضائحها رافعين شعاراتهم المغرية كالفوز بالجنة ومغفرة الخطايا والذنوب دينيا ودنيويا، غيرها من المميزات الروحانية التي وعدت بها الكنيسة رعاياها المسيحيين، خصوصا عندما بدأت تلك الكشوف الجغرافية تصل إلى جنوب قارة أسيا والى العالم الجديد[1].

فلقد وصف لنا المؤرخ الفرنسي رولان موسينيه بأن دوافع الكشوفات الجغرافية للأوروبيين كانت دينية محضة في بداياتها الأولى قائلا:<<... **ان الحرب الصليبية قد عودت النصارى الأوروبيين على تصور نشر الدين النصراني عن طريق الحرب.** ..>>[2]، وهذا ما نلمسه في سياسات وخطابات العديد من القادة العسكريين للبرتغال أمثال Alfonso de Albuquerque (ألفونسو دي ألبوكيرك) الذي صرح لحاكم كاليكوت بالهند AL Zamorain (الزامورايين)، عندما سأله عن سبب مجيئه إلى هذه المنطقة البعيدة فأجابه ألبوكيرك باختصار:"**المسيحية والتوابل**"[3].

لذلك فقد سارت التجارة مع الدين منذ البدايات الأولى للحروب الصليبية ضد المسلمين في المشرق العربي منذ العصور الوسطى، لتتوسع بعدها في مرحلة الكشوفات الجغرافية خلال العصر الحديث، هذا ما يدعمه قول المؤرخ البريطاني Will Durant (ول ديورانت)عندما ربط لنا العلاقة الموجودة بين المسيحية والتجارة في أوروبا قائلا:<<... **لقد سارت التجارة وراء الصليب أو لعل التجارة هي التي قادت الصليب في الحروب الصليبية، التي امتدت حوالي قرنيين من الزمن ووسعت سبل التجارة مع بلاد الشرق...>>**[4].

---

(1) جوزيف نسيم يوسف، في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 1989، ص44.
(2) رولان موسينيه، المرجع السابق، ص424.
(3) طغت النزعة الدينية للبرتغاليين وأصبحت حركة التنصير المسيحية تحظى بأهمية كبرى لدى ملوك البرتغال ومندوبيهم في المناطق التي يكتشفونها، التي وكلت لها أمر متابعة البعثات التبشيرية خارج الأقاليم الأوروبية، فعينت البرتغال القساوسة والمبشرين في الهند وتكفلت بعمليات الإنفاق على هذه البعثات التبشيرية مع الكنيسة البابوية بموجب المرسوم الكنسي للبابا ليون العاشر الصادر عام 1514م والذي يخول لملك البرتغال حق الإشراف على كل البعثات التبشيرية في المناطق المكتشفة، مثل ما قام به الملك البرتغالي يوحنا الثالث(1521م-1577م) في قارة أفريقيا وبلاد الهند .
(4) وايريل ول ديورانت ، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران ، ج 4، مج4، دار الجيل، بيروت، 1988، ص67.

فان تابعنا حركة التنصير التي قام بها البرتغاليون منذ بداية كشوفاتهم الجغرافية إلى غاية نهايتها، لوجدنا أنها باءت بالفشل في تحقيق أهدافها لإتباع هؤلاء المبشرين البرتغاليين لأسلوب القوة والعنف والإكراه الاجباري مع السكان من جهة، مقابل البحث عن الثروة على حساب نشر الديانة المسيحية من جهة أخرى، فقد قل عدد هؤلاء القساوسة والمبشرين مع نهاية القرن السادس عشر الميلادي، قل اهتمام الحكومة البرتغالية بنفقات هذه البعثات التبشيرية كذلك كما أن تمسك السكان المحليين بعقيدتهم الدينية وقف كحاجز منيع أمام حركة التنصير التي فشلت في أفريقيا ثم في أسيا وبلاد الهند كذلك(1).

2- لم يكتفي البرتغاليون بكل هذا بل أرادوا محاولة إيجاد حليف استراتيجي لهم في المنطقة وبالتحديد في شرق إفريقيا ليساعدهم على حصار العالم الإسلامي من الشرق، بعدما تناوبت عندهم معلومات تأكد بأن هنالك مملكة مسيحية قوية في ساحل البحر الأحمر تم تأسيسها مع مطلع القرن الأول للميلاد، هي مملكة الحبشة(Uni d'Abyssinie) التي سبق للعديد من ملوكها الاستجابة لنداءات ملوك أوروبا لغلق طرق التجارة على التجار المسلمين في الشرق الأدنى بالرغم من الخلافات العقائدية والمذهبية بين المذهبين الكاثوليكي للبرتغاليين والأرثوذكسي للأحباش، إلا أن روح الانتصار الصليبية قد رجحت لدى رجال الدين والقساوسة ضرورة التحالف والتكتل من أجل محاربة المسلمين وتكسير شوكتهم، هذا خلال عقدهم لعدة تحالفات مع بعضهم البعض ضد المسلمين(2).

فكان الاتفاق البرتغالي الحبشي قد عرف طريقه إلى التنفيذ في عهد الملك البرتغالي جون الثاني، بعد وصول القائد البرتغالي بيدروا أفولها(Pedro avolha)إلى الحبشة عام 1494م وذلك لربط علاقات ثنائية بين الطرفين، فقد تدخل الأحباش مع البرتغاليين ضد العثمانيين بعد ظهورهم في مياه البحر الأحمر وخليج عدن، عند محاولة العثمانيين لغلق الطريق على البرتغاليين في

---

(1) ليلى الصباغ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر والعاشر والحادي عشر الهجريين، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989، ص ص771-774.
(2) محمد عمر الحبشي ، اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، 1986، ص6.

البحار الشرقية والخليجية[1]، فقد تمكن الأحباش والبرتغاليون بعد اتحادهم من إلحاق العديد من الأضرار والخسائر المادية بسفن التجار المسلمين والبشرية بقتل العديد منهم في البحر الأحمر[2].

3- لقد أثرت العديد من الأزمات الاقتصادية كثيرا على الأوضاع الاجتماعية في أوروبا مع مطلع القرن الرابع عشر للميلاد في القارة العجوز، مما دفع بأوروبا إلى محاولة البحث عن مصادر التجارة وطرقها برا وبحرا ولعل من بين أهم هذه الأزمات ما يلي:

أ- أزمة وباء الطاعون(1348م-1349): والذي أودى بحياة نصف سكان أوروبا خلال ثلاثة سنوات فقط، بسبب هذا الانقراض الديمغرافي الذي عانت منه القارة الأوروبية أصبح لزاما على ملوكها جلب العبيد السود من القارة الإفريقية، لتعويض النقص الحاصل في اليد العاملة الرخيصة وهذا ما قامت به مملكة البرتغال في بداية كشوفاتها الجغرافية في شمال القارة الإفريقية وجنوبها الشرقي بجلبها لعبيد بلاد السودان ثم بعدها لمعدن الذهب[3].

ب- الأزمة النقدية: لقد كانت القارة الأوروبية تتعامل تجاريا بنوعين من العملة منها الفضية في أوروبا الشمالية والوسطى والذهبية في جنوبها الغربي، حيث كانت تستمد هذا المعدن من بلاد السودان وسواحل المغرب العربي التي لعبت دور الوسيط التجاري في هذه العملية، إلا أن بلاد المغرب العربي قد صارت عاجزة عن تغطية كامل الطلب الأوروبي مع مطلع القرن الرابع عشر للميلاد وعرفت هذه الأزمة باسم"المجاعة النقدية"، التي دفعت بالأوروبيين ككل وخصوصا البرتغاليين منهم إلى البحث عن مناطق إنتاج الذهب، بعدما تناقلت الروايات البرتغالية للمستكشفين الأوائل عن إمكانية وجود نهر للذهب في غرب القارة الإفريقية، عندما وصل البرتغاليون إلى مناطق إنتاج الذهب وتصديره في سفالة وكلوة [*]الواقعتان في شرق القارة الإفريقية

---

(1) مصطفى محمد رمضان، المرجع السابق، ص18.
(2) شوقي الجمل، تاريخ السودان و وادي النيل، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1969، ص15.
(3) الحسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص336.
(*)مدينة كلوة: اشتهرت مدينة كلوة الواقعة في الجنوب الشرقي من إفريقيا بتجارة الذهب الذي كان يأتيها من مدينة سفالة وهذا خلال حكم المسلمين العرب لها، فأصبحت بذلك إمبراطورية تجارية عظمى فرضت سيادتها على العديد من المدن الساحلية الأخرى في شرق القارة الإفريقية، أنظر: صلاح قاسم العقاد وجمال زكرياء، زنجبار، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1959، ص08.

واللتان كانتا في أوج ازدهارهما مع نهاية القرن الخامس عشر للميلاد، على يد العرب المسلمين وسميتا في ذلك الوقت عند البرتغاليين باسم ساحل الذهب الإفريقي[1].

4- كما أن التخلص من الرسوم الجمركية التي فرضها تجار البنادقة والمماليك معا بلعبهم دور الوسيط التجاري مع التجار الهنود، ببيعهم للسلع التي يشترونها منهم بثلاثة أضعاف ثمنها الأصلي، فقد خلق هذا الاحتكار المفروض على السلع الشرقية من طرفهم تزايدا في رغبة التجار الأوروبيين لنزع مصادر هذه التجارة من المسلمين وتحريرها من بين أيديهم، لا سبيل لذلك إلا بإيجاد طريق بحري جديد يخلص البرتغال وشعبها من التكاليف الباهظة لتلك السلع الشرقية والتي كانت تصل إلى حد ثلاثة أضعاف أثمانها الأصلية، هو ما كان بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في أقصى جنوب القارة الإفريقية ثم الوصول إلى بلاد الهند[2].

5- انطلاقا من قاعدة الخلفية الدينية والاقتصادية والسياسية لدوافع الكشوفات البرتغالية في البحار الشرقية، فان حب المغامرة وارتياد المجهول والفضول الجغرافي قد ساهم بقدر ما في حركة الكشوفات البرتغالية خلال العصر الحديث، لما كان يسمعه المغامرون البرتغاليون من خرافات وأساطير حول وجود وحوش وشياطين في تلك البحار، وجود صخور عملاقة تجذب السفن إليها وتقتلع مساميرها وبالرغم من كل هذا التخويف الذي كان يدور في أوساط الشعوب الأوروبية إلى أنها في الوقت نفسه حملت معها عنصر التشويق، لخوض غمار هذه البحار خصوصا بعد اعتقادهم أن هنالك أراضي تملأها الأحجار الكريمة والذهب في أقصى شرق أسيا [3]، كما تأثر الأوروبيون كذلك بالكتابات الجغرافية حول الرحلات التي قام بها المغامر الايطالي(Marco Polo) ماركو بولو (1271م-1291م) إلى بلاد الصين، وصفه لها بالثراء الاقتصادي والتنوع الزراعي الذي يجب على الشعوب الأوربية استغلاله أحسن استغلال[4].

---

(1)Marmol de caravaj (L), op.cit. p.436.

(2) فاروق عثمان أباظة، المرجع السابق، ص112.

(3) فاروق عثمان أباظة، المرجع نفسه، ص119.

(4)عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص235.

6- الجدير بالملاحظة هو أن الحاجة الماسة للتوابل والبهارات والعقاقير الشرقية وماء الورد والأفيون وغيرها من المنتجات الأسيوية، التي كانت تصل بأسعار باهظة الثمن إلى التجار الأوروبيين أنفسهم، بسبب تعدد الوسطاء العاملين عليها من مناطق إنتاجها إلى مناطق تحميلها ثم إلى غاية وصولها إلى مستهلكيها في أوروبا[1] جعلها محل جدل دائم للتخلص من محتكريها.

ان المقاربة التاريخية تجعلنا نستنتج بأن كل هذه العوامل والأهداف اجتمعت مع بعضها البعض لتساهم في تحريك الشعوب الأوروبية، على رأسهم البرتغاليين لخوض غمار هذه البحار الشرقية والتي تبينت على أن دافعها الحقيقي هو الحقد الصليبي على الدين الإسلامي، بنشر الديانة المسيحية على حساب الدين الإسلامي وضرب عصب التجارة الإسلامية لإضعاف المسلمين سياسيا واقتصاديا وعسكريا، ثم البحث عن حليف استراتيجي لمحاصرة المسلمين وتطويقهم من جبهتهم الجنوبية، ليس حبا في المغامرة واكتشافا للمجهول لتتحول هذه الحركة الكشفية البرتغالية إلى حرب اقتصادية وعسكرية ودينية مقدسة في أوروبا، دعمها رجال الدين ورجال المال وملوك أوروبا باسم الكشوفات الجغرافية.

رابعا/حملة فاسكوا دي غاما على بلاد الهند والبحار الشرقية:

باعتبار أن مملكة البرتغال قد ساعدتها عدة عوامل من أجل خوض غمار هذه البحار الشرقية، ترى إذن ماهي أول حملة برتغالية رسمية تنطلق إلى بلاد الهند والمحيط الهندي؟ وما هي الظروف التي سارت فيها هذه الحملة منذ انطلاقها إلى غاية وصولها إلى بلاد الهند؟.

تعتبر رحلة المستكشف VASCO DE GAMA (فاسكوا دي غاما) إلى بلاد الهند أول رحلة رسمية لمملكة البرتغال عام 1497م، كان ذلك في عهد الملك Emmanuel1 (امانويل الأول) الملقب بالمحظوظ والسعيد والذي حكم مابين(1495م-1520م) بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح من طرف Barthelmao Daiz (بارثلميو دياز) عام 1488م، ثم وصول دي غاما إلى الهند من خلال هذا الطريق في فترة حكمه لذلك لقب بالسعيد والمحظوظ، حيث انطلق

(1) فاروق عثمان أباظة، المرجع السابق، ص121.

دي غاما من ميناء لشبونة عام 1497م ليصل بعدها إلى ميناء كاليكوت (Calicut) بالهند عام1498م، تكونت حملته من أربعة سفن بحرية رفع عليها شارة الصليب ورسم على ملابس الجنود المشاركين فيها رسم الصليب، مع إطلاق اسم "جنود المسيح" (Soldats Du Christ) عليهم تنفيذا لأوامر البابا ألكسندر السادس(Le papa Alexandre VI)[1].

حيث اتخذت هذه الحملة البرتغالية نفس طريق ومسار رحلة بارتلميو دياز من المحيط الأطلسي إلى رأس الرجاء الصالح بجنوب القارة الإفريقية للوصول إلى المياه الشرقية، لتصل بعد رحلة استمرت ثمانية أشهر إلى مدينة إسلامية واقعة في الساحل الشرقي لإفريقيا وهي مدينة "سفالة"(Svalah)[2]، التي كانت عامرة بتجارة الذهب والتوابل ثم أبحرت بعدها شمالا لتصل إلى مدينة موزنبيق (Mozambique)[*] الواقعة على الساحل الشرقي لإفريقيا، التي التقى فيها دي غاما مع تاجر هندي يحسن التكلم بالعربية ويدعى" تايبوا أو دافانا" وتحدث معه بالعربية المترجم اليهودي الذي جيء به مع طاقم الحملة، فعرض عليه دي غاما يد المساعدة على أن يرشدهم لطريق الهند مقابل عقد صفقة تجارية من التوابل معه، فوافق هذا الأخير واتجه بهم بعدها إلى مدينة "ممباسا"(Mombasa)[*].

كما لعب المرشد والملاح أحمد ابن ماجد [*]دورا هاما في وصول المستكشف البرتغالي فاسكوا دي غاما إلى بلاد الهند، حسب ما تشير إليه بعض المصادر البرتغالية من أمثال سوسا

---

(1) عبد العزيز محمد الشناوي، المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، ج 2، بحوث مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية، الدوحة، 1976، ص618.

(2) محمود محمد الحويري، ساحل شرق إفريقية من شرق الإسلام حتى الغزو البرتغالي، مطبعة القاهرة الجديدة، القاهرة، 1986، ص76.

(*) موزنبيق: مدينة إسلامية تقع على الساحل الشرقي لأفريقيا بين سفالة وكلوة تقابلها جزيرة مدغشقر مباشرة كانت مجرد مقاطعة تابعة لسلطنة كلوة، أنظر: محمد حميد السلمان، الغزو البرتغالي للخليج العربي وجنوبه 1507م-1525م، مركز الشيخ زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ص49 .

(*) ممباسا: تقع على الساحل الشرقي لأفريقيا أسسها الحسن بن علي الشيرازي في مطلع القرن العاشر الميلادي، ووصفها لنا الرحالة ابن بطوطة عام 1331م بشكل دقيق عندما زارها، خربها البرتغاليون خلال زيارتهم لها بسبب رفض سكانها تقديم يد المساعدة لهم وتقع بكينيا، أنظر: شوقي الجمل، <<المراكز العربية على ساحل إفريقيا الشرقي والجزر القريبة منه >>، الوثيقة، السنة1996، العدد29، سلسلة 15، ص ص109-113.

(*) ابن ماجد: هو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمر بن فضل الدويك بن يوسف بن حسن بن حسين أبي معلق السعدي بن أبي الركاب النجدي، ولد في حوالي عام 1423م عاش في جلفار(رأس الخيمة حاليا)=

دي فيريرا والتي تختلف مع ما يطرحه لنا النهروالي في قضية من قام بإرشاد دي غاما إلى بلاد الهند بحرا، حيث يذكر لنا المؤرخ المكي قطب الدين النهروالي في كتابه: " **البرق اليماني في الفتح العثماني**"، بأن فاسكوا دي غاما قد استعان في وصوله إلى بلاد الهند بهذا الملاح العربي عن طريق النصح والإرشاد الذي قدمه له هذا الأخير فقط.

كما ورد ذكر هذا أيضا في كتاب أخر لأمير البحار التركي "سيد علي ريس" [*]والذي عنوانه "**المحيط**" عام 1554م، حيث أشار هذا البحار التركي إلى ابن ماجد في عدة مؤلفات علمية وجغرافية ألفها هذا الأخير لكنه لم يشر إلى هذه القضية إطلاقا، حتى أن العديد من الكتب الغربية والدوائر العلمية والمعرفية بأوروبا قد ذكرت مؤلفاته مع مطلع القرن التاسع عشر للميلاد مثل الرحالة الانجليزي Richard Burton(ريتشارد بيرتون)، الذي كتب عن ملاحين من عدن وذكرهم لمخترع البوصلة على أساس أنه الملاح أحمد بن ماجد هو من اخترعها[1]، حتى أن هؤلاء الملاحين كانوا يقرؤون الفاتحة على روحه قبل ركوبهم البحر، لكن لم تعرف مصنفات أحمد بن ماجد العربية طريقها إلى النور إلى غاية عام 1912م، التي بلغ عددها حوالي الأربعين مؤلفا وأشهرها كتاب: " **الفوائد في أصول البحر والقواعد** "، الذي شمل الجانبين النظري والتطبيقي في المسائل الملاحية ولذلك اعتبر المتخصصون في علوم البحار أن مخطوط ابن ماجد الذي ضم تسعة عشر فصلا، بأنه أهم وثيقة في الجغرافيا الفلكية والملاحية وصلتنا من فترة العصور الوسطى إلى غاية اليوم[2].

وتوفي في حوالي عام 1501م، لقب بأسد البحر والمعلم والسائح فقد كان من كبار ربابنة العرب وعالما بعلوم الملاحة خصوصا بالبحر الأحمر وخليج عمان والبنغال بالهند والمحيط الهندي وبحر الصين، أنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ط9، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، ص ص(200،201).

(*) سيد علي ريس: هو ضابط من ضباط البحرية العثمانية شارك في فتح جزيرة رودس وسواحل المغرب العربي مع خير الدين بربروس فقد كان عالما وشاعرا كبيرا، نبغ في علم الفلك والبحار وألف عدة مؤلفات أشهرها كتاب "المحيط" في فن الملاحة بالمحيط الهندي، كما قام كذلك بكتابة مذكرات خير الدين بربروس، أنظر: إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج2، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002، ص599، وأنظر: محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة وتعليق محمد دراج، نقلا عن يلماز أوزتونا، ط 1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص ص(32-187)، وأنظر كذلك: محمد عبد اللطيف البحراوي، فتح العثمانيين لعدن، دار التراث للنشر والتوزيع، القاهرة، 1979، ص78.

(1) فاروق عثمان أباظة، المرجع السابق، ص130.

(2) محمود كامل، <<الرحلات التاريخية في البحر الأحمر>>، مجلة العربي، السنة1982، العدد288، ص90.

رغم كل هذا ربما يرجع تعاون ابن ماجد مع فاسكوا دي غاما إلى الحيل التي اتبعها هذا الأخير، من نصب وخداع فلم يتعدى دور ابن ماجد سوى في تقديم النصح والإرشاد من معلومات ملاحية ساعدت دي غاما على المحافظة على سلامة سفنه من الأمواج القوية في مياه المحيط الهندي، كما أن ما قدمه ابن ماجد لدي غاما من إرشادات بحرية كان وصفا وليس قيادة، يؤكد لنا النهروالي ذلك بأن الملاح الهندي الذي يدعى "دافانا" هو من أوصل دي غاما إلى بلاد الهند ويؤيده في ذلك بعض المصادر البرتغالية كذلك كموريس ستيفان [1]، حيث يبين لنا النهروالي ذلك على لسان ما نقله عن أحمد ابن ماجد في حديثه مع فاسكوا دي غاما وجنوده قبل إبحارهم إلى بلاد الهند بقوله:<<**...لا تقربوا الساحل من ذلك المكان وتوغلوا في البحر، ثم عودوا فلا تنالكم الأمواج فلما فعلوا ذلك صاروا يسلمون من الكسر من مراكبهم فكثروا في بحر العرب...**>>[2].

كما تقرب دي غاما قبل ذلك من حاكم الموزنبيق ليمده بمرشدين بحريين لكنهم رفضوا مساعدته في ذلك عندما أدركوا بأن البرتغاليين من الكفار المسيحيين، لذلك استخدم دي غاما ضدهم القوة والعنف وقام بقصفهم بسلاح المدفعية، ليتجه بعدها إلى ميناء ماليندي[*] الواقعة بكينيا بتاريخ 15مارس1498م أين لقي ترحيبا من أهلها وأمده حاكمها بمرشد بحري يقال أنه الهندي "دافانا" أو الكجراتي "ماليموكانا"، الذي قاد الأسطول البرتغالي من ميناء ماليندي بكينيا في 24أفريل1498م إلى غاية ميناء كاليكوتا بالهند لتصل الحملة في تاريخ 20 ماي 1498م [3]، لقد ساعد حاكم مدينة "ماليندي" البرتغاليين مقابل أن يخلصوه من خصمه حاكم مدينة "ممباسا" فكان

---

(1) إبراهيم أحمد العدوي، المرجع السابق، ص528.
(2) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي، البرق اليماني في الفتح العثماني، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1967، ص44.
(*) ماليندي(Malindi):هي عبارة عن جزيرة في أرخبيل لاموا شرق إفريقيا، تميزت بتجارتها الغنية مع شبه الجزيرة العربية والخليج العربي وبلاد الهند والصين كان أهلها من الأفارقة المسلمين، أنظر: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص42.
(3) فاروق عثمان أباظة، المرجع السابق، ص131.

له ذلك من خلال قصف البرتغاليين للمدينة وتدميرها [1] ومنذ ذلك الوقت صارت مدينة ماليندي الحليف الاستراتيجي الثاني للبرتغال في منطقة شرق إفريقيا بعد مملكة الحبشة[2].

بهذا كانت رحلة فاسكوا دي غاما الأولى إلى بلاد الهند رحلة استطلاعية اكتشف من خلالها طريق رأس الرجاء الصالح عام 1498م، أطلع على أحوال المدن والموانئ التجارية الموجودة في الساحل الشرقي لأفريقيا، بعد أن أمضى ستة وعشرين شهرا كاملة ليعود بعدها إلى مدينة لشبونة بالبرتغال في شهر سبتمبر من عام 1499م، حيث أقام ملك البرتغال امانويل الأول على شرفه احتفالات رسمية بعدما تمكن من فتح الطريق أمام مملكة البرتغال وشعبها للتخلص من احتكار التجار المسلمين والبنادقة للسلع الأسيوية وعلى رأسها فلفل مليبار [*]، الوصول إلى بلاد الهند عبر طريق بحري جديد من رأس الرجاء الصالح.

مما أحدث ثورة كاملة في أوروبا كلها التي تساءلت عن هذا الانجاز الجغرافي الفريد من نوعه للبرتغال، بعدها جهز ملك البرتغال امانويل الأول أسطولا بحريا أبحر به دي غاما في عام 1502م من ميناء لشبونة بالبرتغال إلى ميناء كاليكوتا بالهند، لكنه لم يخرج مستكشفا في هذه المرة بل خرج غازيا ومحتلا لسواحل إفريقيا الشرقية من خلال احتلاله لموانئ كل من أنغولا وموزنبيق ثم كلوة وسفالة وجزيرة زنجبار [3]، ثم ليتجه بعدها إلى موانئ الهند الغربية حيث قام بإحراق بعض السفن التجارية للمسلمين، التي كانت راسية هنالك لتبدأ البرتغال في تطبيق مشاريعها الاقتصادية والعسكرية من خلال إنشائها لمراكز تجارية على طول الساحل الشرقي لأفريقيا لضرب عصب الاقتصاد الإسلامي، بقطع طرق التجارة عليه ونشر الديانة المسيحية

---

(1) صلاح قاسم العقاد وجمال زكرياء، المرجع السابق، ص19.

(2) جمال زكرياء قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص64.

(*) مليبار(Malibar): تتكون من مقطعين هما ملي ومعناها أرض الجبل، وبار ومعناها الساحل أي سواحل الأراضي الجبلية وتطلق هي التسمية على سواحل غرب الهند حتى ساحل جوجيرات (كجرات) شمالا، أنظر: أحمد عبد الحميد الشامي، العلاقات التجارية بين إقليم الخليج العربي والسواحل الغربية للهند في العصور الوسطى، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1996، ص107.

(3) شوقي الجمل، المرجع السابق، ص168.

ومحاربة الإسلام والمسلمين لإضعافهم سياسيا واقتصاديا، أما عسكريا فقد قامت البرتغال ببناء العديد من الحصون والقلاع على طول الشريط الساحلي الرابط بين لشبونة والهند، مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد مستغلة في ذلك الوضع السياسي العام المتردي في المشرق العربي، من تشتت وتناحر بين القوى الإسلامية الكبرى على زعامة العالم الإسلامي.

مما تجدر بنا الإشارة إليه هنا هو أن مملكة البرتغال قد استطاعت أن تحقق بفضل هذا الانجاز الجغرافي العظيم في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح بجنوب القارة الإفريقية، الوصول إلى مصادر التجارة العالمية في البحار الشرقية والخليجية والتي تعد مصدرا لاقتصاد العالم الإسلامي بدرجة كبيرة جدا، لتتضح لنا بذلك حقيقة هذه الكشوفات البرتغالية وأهدافها والتي تحولت في ظرف قصير إلى استعمار برتغالي يريد السيطرة بالقوة على مراكز التجارة الشرقية بربطها بحرا من ميناء لشبونة بالبرتغال إلى ميناء جوا بالهند.

يا ترى هل سيتمكن حكام المماليك والصفويين ومسلمي الهند من وقف هذا المد البرتغالي الذي ينخر تجارتهم في المنطقة ويهدد مصالحهم المشتركة سياسيا واقتصاديا ودينيا؟ وإلى أي مدى سوف يساهم هذا الوضع السياسي المتردي من تنافس وتناحر بين القوى الإسلامية في المشرق العربي ضد بعضها البعض من أجل زعامة العالم الإسلامي في ترسيخ هذا الوجود البرتغالي بالبحار الشرقية والخليجية لعقود طويلة من الزمن؟...

"الفصل الثاني"

ظروف التغلغل البرتغالي في العالم الإسلامي خلال القرن السادس عشر الميلادي.

-أولا:فشل المماليك في محاولة التصدي للوجود البرتغالي في البحار الشرقية و الخليجية:

أ-نبذة عن دولة المماليك(1250م-1517م).

ب-حملة الأمير حسين الكردي الأولى(1505م-1509م).

ج-حملة الأمير حسين الكردي الثانية (1509م-1515م).

-ثانيا:الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية على زعامة العالم الإسلامي:

أ-الأوضاع السياسية في المشرق الإسلامي مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي.

ب-المواجهة العسكرية بين العثمانيين والصفويين في معركة جالديران1514م.

ج-التحالف السياسي العسكري الصفوي والبرتغالي ضد العثمانيين أسبابه وأبعاده 1515م.

د-المواجهة العسكرية الأولى بين العثمانيين والمماليك في معركة مرج دابق

1516م.

هـ-المواجهة العسكرية الثانية بين العثمانيين والمماليك في معركة الريدانية 1517م.

و-انضمام الحجاز سلميا تحت حكم الدولة العثمانية وتوسعاتها في اليمن والعراق:

-انضمام الحجاز للسيادة العثمانية سلميا عام 1517م.

-التوسع العثماني في اليمن دوافعه وأسبابه عام 1538.

-التوسع العثماني في العراق وأبعاده الإستراتيجية عام 1534م.

أولا/فشل المماليك في محاولة التصدي للوجود البرتغالي في البحار الشرقية و الخليجية:

أ-نبذة عن دولة المماليك(1250م-1517م):

لقد عرفت منطقة المشرق العربي بعد سقوط عاصمة الخلافة العباسية ببغداد عام 1258م على يد التاتار الماغول بقيادة هولاكوا ، فراغا سياسيا رهيبا جعل المنطقة والعالم الإسلامي ككل معرضا إلى جميع الأخطار الداخلية والخارجية منها، بعد تجزئته إلى كيانات سياسية وإمارات ودويلات فسيفسائية متصارعة ومتناحرة فيما بينها، جعلتها مطمعا لكل طامع وراغب وفي خضم هذه الأحداث ظهرت مع منتصف القرن الثالث عشر للميلاد، دولة جديدة في المنطقة استطاعت إلى حد ما أن تدافع عن المشرق العربي والإسلامي ، لتعيد له مكانته التاريخية والحضارية وهي دولة المماليك[*](1250م–1517م)، التي كان لها الدور العظيم في وقف الزحف الماغولي على العالم الإسلامي بعد الانتصار عليهم في معركة عين جالوت عام 1250م، لكن رغم هذا إلا أن محاولاتها في الدفاع عن المنطقة لم يكتب لها الدوام لعدة اعتبارات داخلية وخارجية ترى ماهي؟.

لقد تربع حكم دولة المماليك في المشرق العربي على أكبر قسم من أقاليم الشرق الأوسط فقد امتد حكمها من مصر إلى بلاد الشام(فلسطين، سوريا، لبنان، الأردن) ، فالحجاز ثم اليمن وأجزاء من الجزيرة الفراتية وإقليم العواصم وثغور جنوبي أسيا الصغرى، بهذا صعب على هذه الدولة التحكم في هذا المجال الجغرافي الشاسع والواسع [1]والمترامي الأطراف، كما حظي المماليك خلال فترة حكمهم برعاية البقاع المقدسة في الحجاز وخدمتهم للحرمين الشريفين (مكة والقدس)

(*) المماليك: هم عبارة عن عبيد ورقيق جلبهم ولاة مصر السابقين من فاطميين وأيوبيين لخدمتهم، لكن بعد اعتلائهم لمراكز ومراتب عليا في الجيش والسلطة والحكم والإدارة لقبوا أنفسهم بالمماليك وهم نوعان البحرية (1250م-1382م) والبرجية (1382م-1517م)، ظهر أمرهم في مصر وبلاد الشام بعد عجز الدولة الأيوبية عن التصدي للحملات الصليبية المتكررة على المنطقة، أنظر: الغالي غربي، المرجع السابق، ص 54.

(1) فيليب حتي جبرائيل جبور، تاريخ العرب، ط4، دار الكشاف للنشر والتوزيع، بيروت، 1965، ص793.

فنالوا بذلك شرف حماية الرسالة المحمدية وحرصوا على توفير الأمن للحجاج القادمين من مشارق الأرض ومن مغاربها [1]، فقد كان لتحول التجارة العالمية عن طريقها القديم والتقليدي عبر البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي بعد اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح عام 1497م، الأثر البالغ والعظيم على مصادر الخزينة للدولة المملوكية بعد أن قل التصدير من موانئها بالقاهرة والإسكندرية ومن هنا جاءت أسبقية هذه الدولة عن غيرها من الدول الإسلامية في الدفاع والتصدي" للمشروع البرتغالي في البحار الشرقية والمحيط الهندي"[2].

خلال هذه الفترة الزمنية التي صاحبت توجه البرتغاليين للهند عبر طريقهم الجديد عاشت الخلافة المملوكية أوضاعا سياسية داخلية جد سيئة، كان سببها تنافس حكام المماليك على عرش السلطة والحكم فكثرت الاغتيالات السياسية لحكامهم والتصفيات الجسدية لهم، حيث تعاقب على حكم دولة المماليك خلال الفترة الممتدة من عام 1497م إلى عام 1501م[3]، أربعة سلاطين من المماليك هم: الناصر محمد بن قتباي(1497م–1498م)، والظاهر قانصوه الأشرفي(1498م–1500م) وجانبلاط(1500م–1501م) والعادل طومان باي الأول(1501م).

لهذا تمنع العديد من أمراء المماليك من اعتلاء عرش السلطنة خوفا على أنفسهم من القتل أو السجن، فقانصوه الغوري(1501م–1516م) مثلا رغم كونه من أقوى سلاطين المماليك خلال هذه الفترة إلا أنه امتنع عن قبول منصب السلطان، لكنه دفع إليه بالقوة واشترط في ذلك عدم قتله مقابل توليه هذا المنصب ، حسب ما يشير له المؤرخ ابن إياس في قوله: <<**...إلا أنه قبل تولي المنصب أخيرا بعد أن سحبوه وأجلسوه بالقوة، بل انه اشترط على أمراء المماليك الجراكسة أن لا يقتلوه فقال: إذا أردتم خلعي وافقتكم على ذلك...**>> [4].

---

(1) جلال يحي، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، المكتبة الجامعية الحديثة، الإسكندرية، 1982، ص276.
(2) عبد العزيز الشناوي، المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق شبه الجزيرة العربية، المرجع السابق، ص243.
(3) عبد العزيز الشناوي، المرجع نفسه، ص696.
(4) ابن إياس محمد ابن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق وتقديم محمد مصطفى زيادة، ج4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1961، ص ص03-05.

كان حكم السلطان الغوري في بدايته مليئا بأحداث الشغب والعنف فقد طالبه الجنود بنفقة البيعة التي تعودوا عليها عند تنصيب أي سلطان، فقاموا بنهب الأموال من بيوت القادة والمسئولين وأحرقوا بيوتهم[1]، فكان رد الغوري على ذلك بأن فرض الضرائب على جميع التجار المماليك رغم ما عانوه من ضرر جراء تضرر تجارتهم مع التجار البنادقة، بداية من وصول البرتغاليين إلى الهند ففي عام 1504م عادت سفن البندقية من مصر خالية تماما من التوابل والبهارات وهو الأمر الذي لم يحدث من قبل [2]، على اثر ذلك قامت جمهورية البندقية بتقديم الدعم للمماليك لمواجهة الخطر البرتغالي في المحيط الهندي من خلال تقديمها للأخشاب والخبراء الفنيين في صناعة السفن الخاصة بالمعارك البحرية [3]، كما كان للسلطان العثماني بايزيد الثاني(1481م-1512م) الدور الهام في تقديم يد المساعدة كذلك للغوري إضافة إلى حكام الهند المسلمين.

لقد قام الغوري بتوجيه نداءاته إلى الكنيسة البابوية بروما من خلال تحميلها مسؤولية الوجود البرتغالي في المحيط الهندي ، طالبا إياها الكف عن إرسال البرتغاليين لإيذاء التجار المسلمين وعدم التعرض لهم، مهددا إياهم بحرمانهم من زيارة كنيسة القيامة في بيت المقدس، لكن البابا في روما لم يتأثر لخطاباته بسبب قناعته التامة بضعف المماليك اقتصاديا وماديا [4]، فكان هذا السبب من أهم العوامل التي أخرت السلطان الغوري عن مواجهة البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي، ففي الوقت الذي كان فيه السلطان الغوري يستعد لبناء أسطول حربي لمواجهة البرتغاليين في المحيط الهندي وصله خلال ها أنباء طلب النجدة من حاكم كجرات بالهند ، هو "محمود بيكر مظفر شاه" الذي سبق وأن طلب يد العون والمساعدة من حاكم كاليكوت الزامورين[*] ضد الخطـر البرتغالي المتجه نحو المحيط الهندي ثم البحر الأحمر والخليج العربي من أجل غلق

---

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص08.

(2) عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص644.

(3) شارل ديل، البندقية جمهورية أرستقراطية، ترجمت وتحقيق أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر، دار المعارف، القاهرة، 1948، ص146.

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ط 3، دار النهضة العربية، القاهرة، 1994، ص191.

(*) الزامورايين أو السامري: أطلق هذا اللقب على حاكم كاليكوت بالهند وهو راجا هندوكي الذي ينحدر من أصول عربية، يطلق كذلك على جزيرة تقع في البحر الأحمر أنظر: غسان علي رمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، جامعة أم القرى، جدة، 1988، ص165، وللمزيد من الإيضاح أنظر كـــذلك:=

جميع الطرق البحرية والمنافذ التجارية على التجارة الإسلامية مع أقصى شرق آسيا [1].

كما وصلت عدة تحذيرات للسلطان الغوري من حكام اليمن الطاهريين في عدن تشير إلى اقتراب البرتغاليين من سواحل عدن وكان ذلك في عام 1503م، حيث يخبرنا المؤرخ ابن الديبع عن بطش البرتغاليين بسكان عدن واستنجادهم بالمماليك فيقول:<<...**قويت شوكة ا لمفسدين في قطع طرق ا لمسلمين في ا لبحر بطريق ا لهند وهرمز وكان أعظمهم طائفة الإفرنج البرتغاليون، فإنهم فعلوا بالمسلمين الأفاعيل وأخذوا كل سفينة غصبا واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، واستمروا على ذلك زمنا فبعث أهل مدينة عدن ا لخبر إلى ا لسلطان الغوري يستطيعونه على الإفرنج**...>> [2]، كذلك يبين لنا المؤرخ ابن إياس في حوادث 916هـ والموافق لعام 1510م بـأن سفن البرتغاليين قد بلغت نحو الخمسين سفينة منذ انطلاق حملة الهندية المملوكية [3]، التي أرسل على أثرها السلطان الغوري رسوله إلى الهند ليطالبهم فيها بوحدة الصفوف من أجل محاربة العدو البرتغالي المشترك.

انطلقت بعد ذلك حملة الهند المملوكية في شهر نوفمبر عام1505م بعدما عزز المماليك تحصيناتهم الحربية في ميناء جدة وسواكن وعدن، لسد مدخل البحر الأحمر على البرتغاليين وتعتبر هذه الحملة بمثابة تكتل عسكري سياسي وديني بين المماليك و مسلمي الهند، ضد الخطر البرتغالي المسيحي إذ خرجت هذه الحملة البحرية من ميناء السويس بمصر لتتجه بعدها إلى سواحل الهند الغربية في كجرات [*]، التي كان حاكمها قد طلب العون والمدد من اسطنبول حسب

Stephenes Mores, The History of Portogal, London, 1908, p.190.

(1) النهروالي، المصدر السابق، ص19.

(2) وجيه الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد بن الديبع، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء، دار العودة، بيروت، 1983، ص203.

(3) ابن إياس، المصدر السابق، ص180.

(*) كجرات: تقع في الركن الشمالي الغربي لساحل الهند وينتشر اسم جوجيرات في المصادر الهندية القديمة وبعض المراجع الحديثة، من أسمائها اللار وأياكي وسومنات وأوفير ومن أهم المراكز التجارية الموجودة بها بروج وتانة وديو وسندات وسومنات وصيمور، أنظر: أحمد عبد الحميد الشامي، المرجع السابق، ص109.

ما يشير إليه خير الدين بربروس في مذكراته حين قال :<<...**كان صالح رئيس قادما من مصر بكنوز الهند المرسلة من طرف الشاه كوجارات أحد عظماء الهند إلى اسطنبول ، لقد أرسل إلينا بهادر شاه يطلب المدد لتطهير بحار الهند من البرتغاليين...**>> [1]ومنها إلى ميناء كاليكوتا[*].

ب-حملة الأمير حسين الكردي الأولى(1505م-1509م):

نظرا للأوضاع السياسية الخطيرة والمتغيرات السريعة التي حصلت في المحيط الهندي والبحر الأحمر كما ذكرنا سابقا، أصبح من الواجب على دولة المماليك ومسلمي الهند حماية أنفسهم من الخطر البرتغالي المتجه نحوهم، فكان ذلك من خلال هذا التقارب السياسي والعسكري الذي حدث بين المماليك ومسلمي الهند، كما أن واجب الدولة المملوكية يحتم عليها حماية الأماكن المقدسة في الحجاز ومكة من خطر العدو البرتغالي، باعتبارهم الراعي والمسئول الأول عليها بإضافة إلى ذلك فان المصالح الاقتصادية للدولة المملوكية تفرض عليها حماية الطرق التجارية الرابطة بين الهند والبحر الأحمر، مما جعلها تستجيب بسرعة إلى نداءات مسلمي الهند وعرب جنوب شبه الجزيرة العربية ومسلمي شرق إفريقيا دون أي تردد يذكر، من خلال تحصين دفاعاتها في ثغور جدة وسواكن وعدن بالبحر الأحمر[2]، ترى كيف حظر المماليك لمواجهة هذا الخطر البرتغالي؟.

بدأ السلطان الغوري تحضيراته بتجهيز حملة عسكرية بحرية متكونة من عدة جنسيات عربية من مغاربة[3]ومصريين وتركمانيين وخليط من العبيد السود، كما قام السلطان الغوري باستدعاء القائد "عروج" لقيادة أسطوله البحري ضد أساطيل البرتغال في المحيط الهندي، مع تعيينه قائدا لهذا الأسطول إذا وافق على قيادة هذا الأسطول، هذا حسب ما أشار إليه أخوه خير الدين

---

(1) محمد دراج، المرجع السابق، ص182.

(*) كاليكوتا: تقع بجنوب الهند في سواحل ميلبار وتطل على بحر العرب، وهي من أهم الموانئ الهندية تجاريا، أنظر: أحمد عبد الحميد الشامي، المرجع السابق، ص ص(107، 108).

(2) إبراهيم أحمد العدوي، المرجع السابق، ص530.

(3) يرجع أصل تواجدهم في المشرق الإسلامي من بعد هروبهم من الغزو الأيبيري الذي احتل سواحل المغرب العربي، بحيث فر العديد منهم إلى مصر وبلاد الشام طمعا في إيجاد الأمن والاستقرار وخوفا من الموت على أيدي القوات الاسبانية والبرتغالية التي أخذتها الحمية الصليبية ضد المسلمين قبل الفتح العثماني لشمال المغرب العربي وتحرير سواحله من الغزو الأيبيري على يد الإخوة بربروس.

بربروس في مذكراته حين قال:<< **سمع سلطان مصر بشهرة أخي فدعاه للقدوم إليه، وعندما مثل بين يديه عرض عليه الدخول في خدمته ذلك أن السلطان كان يريد أن يبعث بأسطول إلى سواحل الهند، وإذا وافق عروج على عرض السلطان فان هذا الأخير قد يعينه قائدا للأسطول>>**(1).

فقد بلغ عدد سفن هذه الحملة ثلاثة عشر سفينة مزودة بمختلف المدافع التي حصل عليها المماليك من شريكهم التجاري الممثل في جمهورية البندقية، كما أنظمت إلى هذه الحملة سفن حاكم جزيرة ديو ومملكة كجرات وكاليكوتا فبلغ عددها نحو المائة سفينة ومركبة بحرية من برشة (*) إلى غراب (*)، ذات الأحجام الصغيرة والمتوسطة لتنطلق بعدها هذه الحملة في يوم 04 نوفمبر 1505م من ميناء السويس بمصر متجهة بذلك إلى قلب المحيط الهندي، في خضم كل هذه التحضيرات والاستعدادات من طرف المماليك وصل خبرهم إلى البرتغاليين الذين تمكنوا من إحكام سيطرتهم بحرا، على بعض الممالك الهندية في كوشين وكنانور ومتلون منذ مطلع عام 1505م بحيث استطاع القائد البرتغالي Francisco d'almida (فرانسيسكو دالميدا) من أن يؤسس عدة قلاع بحرية في عدة سواحل من الممالك الهندية التي سيطر عليها من قبل.

فصادف وجود أسطول للبرتغال بقيادة ابن نائب ملك البرتغال في الهند لورانزو دالميدا وهو ابن القائد فرانسيسكو دالميدا بالقرب من مدينة ديو الساحلية، مع تواجد أسطول للمماليك بقيادة الأمير حسين الكردي في عام 1508م(2)، إلى جانب أسطول ديو بقيادة "مالك ابن إياس أو أياز" (Malik Ayyas)(*)حاكم ميناء شيول (Choul)(3)وأسطول مملكة كجرات بقيادة "مظفر شاه

---

(1) محمد دراج، المرجع السابق، ص34.

(*) البرشة: تعود تسميتها في الأصل إلى اللغة الايطالية (BARCA)، وهي قوارب شراعية ذات شكل انسيابي طويل تعمل بالمجاديف، أنظر: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص70.

(*) الغراب: وهي من أقدم السفن الحربية سميت بذلك لسواد لونها ولطول حجمها، أنظر: محمد حميد السلمان، المرجع نفسه، ص70.

(2) مصطفى محمد رمضان، المرجع السابق، ص78.

(*) مالك ابن أياز: من أصول روسية وقع أسيرا في أيدي الأتراك العثمانيين تم بيعه بعدها في سوق النخاسة والعبيد إلى حاكم سلطنة كجرات بالهند، ليترقى بعدها ويصبح وزيرا ثم حاكما لميناء ديو البحري، أنظر: محمد حميد السلمان، المرجع نفسه، ص81.

(3) محمد حميد السلمان، المرجع نفسه، ص81.

بن محمود شاه" واللذين كانوا في مهمة تفقدية على سواحل الهند ليقوموا خلالها بهاجمة سفن البرتغال بسلاح المدفعية قرابة ثلاثة أيام كاملة فدمروها تدميرا، من بين أهم الخسائر البشرية التي وقعت في معركة شيول هي موت قائد الأسطول البرتغالي" لورانزو دالميدا "، إضافة إلى خسائر مادية متمثلة في تدمير خمسة سفن برتغالية في المعركة مع فرار سفينتين إلى كوشين بالهند.

لقد بلغ مقتل القائد لورانزو إلى أبيه فرانسيسكو دالميدا الذي قرر الانتقام لموت ابنه فأرسل في عام 1509م، تسعة عشر سفينة برتغالية إلى ميناء ديو من أجل احتلاله بعد الدعم الذي وصله من قبل ملك البرتغال امانويل الأول والمتمثل في سفن حربية جديدة، لكون ميناء ديو يمثل مركزا دفاعيا عن الهند بقيادة كل من الأمير حسين الكردي ومالك ابن إياس، فدارت معركة بين الطرفين في يوم 03 فيفري 1509م، تمكن من خلالها فرانسيسكو دالميدا من إلحاق الهزيمة بسفن البحرية المملوكية والهندية معا فأضطر على أثرها حسين الكردي وما تبقى من جيشه إلى اللجوء لسلطنة كجرات الهندية للاحتماء بها، فأسر من أسر وقتل من قتل من المسلمين وهذا ما يشير له ابن إياس في قوله:<<... **بهزيمة الأسطول المصري في الهند وتعرضه لكسرة فاحشة، وقتل العسكر المصري عن أخره** ...>>[1]، رغم تعرض الأمير حسين الكردي لجروح خطيرة في ذراعه خلال هذه المعركة إلا أنه شفي منها ورجع بعدها إلى مدينة جدة [2]، من أجل تحصين دفاعاتها مرة ثانية من الخطر البرتغالي الذي يريد تطويق سواحل البحر الأحمر ثم الدخول إليها لتدميرها.

إذ يدل على ذلك ما أشارت إليه مختلف المراسلات العسكرية التي أرسلها القادة البرتغاليون إلى رؤسائهم وملوكهم في لشبونة، مثل ما كان يكتبه القائد ألفونسو دي ألبوكيرك إلى ملكه امانويل الأول قائلا له:<<... **ان رغبتي أن أذهب إلى ميناء مصوغ بمملكة البرستجون [*](الحبشة) لأستولي على دهلك حتى أرى ما أستطيع أن أفعله في جدة... وحيث أني أرغب في تصفية**

---

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص156.
(2) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص26.
(*) البرستجون أو الحبشة: وهي مملكة مسيحية تقع في شرق إفريقيا وتطل على ساحل البحر الأحمر، تأسست مع مطلع القرن الأول للميلاد لقبها الأوروبيين بمملكة القديس يوحنا، أنظر: مصطفى محمد رمضان، المرجع السابق، ص18.

الرمان[*]، بعد أن أكون علاقات مع مملكة البرستجون فإنني سأدمر مكة ولهذه الأسباب فإني مصمم على الذهاب إلى البحر الأحمر وتحطيم السلطان[*] في تلك المياه...>> [1].

يمكننا اعتبار معركة ديو من بين أهم المعارك التي رجحت انتقال الكفة من المسلمين إلى البرتغاليين في البحار الشرقية، بعد تثبيت وجودهم في ميناء ديو بالهند مما يشكل خطرا حقيقيا على تجارة المسلمين في المنطقة، لتعرف بعدها طرق التجارة البحرية انقطاعا عن دولة المماليك والتي ستفقد مع مرور الوقت دورها التجاري من جراء انخفاض إيراداتها المالية من تجارة التوابل والبهارات باعتبارها الوسيط التجاري بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي الممثل في جمهورية البندقية وجنوة.

ج- حملة الأمير حسين الكردي الثانية (1509م-1515م):

لقد أرسل الأمير حسين الكردي حاكم جدة بعد انتصاره على البرتغاليين في معركة شيول عام 1508م، رسالة إلى السلطان قانصوه الغوري يعلمه فيها بالنصر الذي حققه على البرتغاليين في هذه المعركة البحرية، يطلب منه كذلك مد يد العون والمساعدة من جند وأسلحة حربية حتى يتقوى بهم على من بقي له من عسكر الفرنج، كما طلب منه أيضا سفنا جديدة تعوضه عما فقده من سفن في هذه المعركة[2]، ترى ماهي أسباب هذه الحملة؟ وما هي أطوارها ونتائجها؟

تعتبر هذه الحملة هي الحملة الثانية التي أعدها السلطان الغوري قبل هزيمة الأمير حسين الكردي في معركة ديو مع البرتغاليين، يطلعنا ابن إياس على هذه الحملة واستعداداتها في حوادث عام 915هـ الموافق لعام 1509م[3].

(*) يقصد به العرب المسلمين في مكة المكرمة والحجاز.
(*) يقصد به سلطان المماليك قانصوه الغوري.
(1) مصطفى محمد رمضان، المرجع السابق، ص58.
(2) ابن إياس، المصدر السابق، ص142.
(3) ابن إياس، المصدر نفسه، ص151.

كما طلب قانصوه الغوري المعونة من السلطان العثماني بايزيد الثاني لمساعدته بالمواد الضرورية لصناعة أسطول بحري جديد، من باب الوازع الديني المشترك للدفاع عن المقدسات الإسلامية في الحجاز (مكة والقدس)، محاربة للعدو البرتغالي المشترك فمنح السلطان بايزيد الثاني للمماليك ما يلزمهم من معدات حربية ومدافع وسفن وأخشاب ووسائل لإصلاح الأسطول مع أحمد أغلو وحامد ريس وسلمان العثماني الذي قام بنفسه بإشراف على بناء هذا الأسطول، قاد الأسطول العثماني سلمان الريس من ميناء السويس بمصر إلى المحيط الهندي مع قوات اللاوند [*]، التي كانت قد اتخذت من جدة مقرا لها، لأن مبدأ العثمانيين في هذا الموقف كان واضحا وصريحا على أساس أن مواجهة البرتغاليين هي قضية جميع المسلمين وليس المماليك لوحدهم[1].

خلال هذه الفترة بذات عين ملك البرتغال امانويل الأول بديلا للقائد البرتغالي فرانسيسكو دالميدا في الهند، نائبا له هناك وهو القائد Alfonso de Albuquerque (ألفونسو دي ألبوكيرك) (1453م-1515م)، من أجل إكمال المخطط البرتغالي في البحار الشرقية والخليجية المتمثل في إحكام السيطرة على جميع السواحل الهندية وتدمير المراكز الدينية المقدسة بالحجاز و ما يدل على هذا هو رسالة الملك امانويل الأول، التي أرسلها إلى البابا يوليوس الثاني في عام1505م قائلا له:<<...**أنه ليس عازما على المضي في قتل التجارة المملوكية فقط بل انه سيجاهد في سبيل المسيحية حتى يجعل من مكة هدفا لمدافعه وجنوده ...**>> [2]، من أجل ذلك قام ألبوكيرك باحتلال البوابات الثلاثة المؤدية إلى المحيط الهندي والمتمثلة في مضيق هرمز وباب المندب وملقا [*] الواقعة بجنوب شبه جزيرة المالايو وكان البرتغاليون قد أعدوا لذلك أربعين سفينة

(*) اللاوند: اشتقت هذه التسمية من كلمة (Levantino) وهو الاسم الذي أطلقه التجار البنادقة على البحارة المشارقة الذين عملوا معهم في أسطول التجارة البحري، لتحرف إلى التركية وتصبح لاوند (Levand)وتطلق بعدها على رؤساء البحر في الأسطول العثماني، أنظر: إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997، ص23، وأنظر كذلك: محمد دراج، المرجع السابق، ص75.

(1) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري، م1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، 1988، ص324.

(2) مصطفى محمد زيادة، مصر والحروب الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986، ص16.

(*) ملقا: تقع عند الطرف الجنوبي من شبه جزيرة المالايو، دخلها الإسلام على يد التجار العرب منذ عام 1409م، وتعتبر من المحطات البحرية الهامة لسفن المتجهة إلى سومطرة وجاوا ومليبار وكجرات، أنظر: غسان علي رمال، المرجع السابق، ص187.

حربية تحت قيادة كل من ألبوكيرك ومساعده Tristan du Cunha (تريستان دي كونها) من أجل تعزيز نفوذهم في السواحل الشرقية لإفريقيا.

فاحتل البرتغاليون خلالها جزيرة سوقطرة[*]عام1507م التي أطلق عليها تريستان دي كونها اسم جزيرة القديس وعين عليها قريبه Alfonso de Nurha(ألفونسو دي نورها)حاكما عليها، فهي تمثل موقعا استراتيجيا جد هام في قلب المحيط الهندي وبحر العرب [1]، لتوسطها بوابتي البحر الأحمر والخليج العربي من جهة، لقربها من الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية من جهة ثانية كما اعتمد ألبوكيرك على خطة إستراتيجية لتحقيق سيادة البرتغاليين في البحار الشرقية والخليجية تنص على احتلال جميع الموانئ والمراكز التجارية البحرية، الموجودة على طول الطريق الساحلي بين بلاد الهند ورأس الرجاء الصالح، ثم سواحل الخليج العربي والبحر الأحمر والتي وافق عليها الملك امانويل الأول بدوره كذلك.

فلم ينتظر ألبوكيرك طويلا حتى تطلع إلى احتلال ميناء عدن عام 1513م لكونه يمثل مركزا تجاريا للسلع القادمة من الهند، ناهيك عن موقعه الاستراتيجي الممتاز ليكمل بذلك السيطرة على مضيق باب المندب بوابة البحر الأحمر، من أجل غلق منافذ التجارة الإسلامية وتحويلها لطريقهم الجديد من رأس الرجاء الصالح، لصد طريق هذه الحملة المملوكية الثانية المزمع توجيهها من ميناء السويس بمصر إلى بلاد الهند، فاحتلال عدن يمكن البرتغاليين من شل حركة التجارة نهائيا في البحر الأحمر ويمكنهم بعد ذلك من الدخول إلى مكة لتدميرها كذلك، هذا ما بينته مختلف مراسلات القائد ألبوكيرك إلى ملكه امانويل الأول والتي جاء في بعضها ما يلي:<<... **ان عدن يجب أن تحتل بوضع قلاع، وهي ميناء أمن لحماية سفننا من ا لشتاء وأخر أخبارها أن حائطا بني عليها بمعاونة حاكم ديو وهو يظن أنني لا أدري بما يجري وبحيث أن ا لمضيق لا يصلح لعدم غزارة ا لمياه فان عدن هي ا لمكان الوحيد الملائم ومفتاح ا لمضيق...>>** [2].

(*) سوقطرة: هي من أكبر الجزرة العربية في خليج عدن وبحر العرب وتقدر مساحتها ب 1400ميل وتتبع جزيرة سوقطرة خمس جزر أخرى كذلك، أنظر: غسان علي رمال، المرجع السابق، ص187.

(1) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965، ص14.

(2) مصطفى محمد رمضان، المرجع السابق، ص48.

لكن القوات البرتغالية فشلت في احتلال مدينة عدن بسبب التحصينات الطبيعية للمدينة من جهة[1]ومقاومة الأهالي وتصديهم لهم من جهة ثانية، مما أجبرهم على الانسحاب ليتوجه بعدها ألبوكيرك وجنوده إلى السواحل العمانية ليحتل جزيرة قمران في نفس السنة ويقوم بتخريبها ليمنع أي قوة بحرية للمسلمين من الإقامة بها لأهمية موقعها بين الحجاز واليمن [2]، قد حاول ألبوكيرك للمرة الثانية احتلال مدينة عدن بعد قصفها طيلة خمسة عشر يوم كاملة بمدافعه، إلا أنه فشل في ذلك وانسحب بعدها أخيرا ليتوجه بعد ذلك إلى سواحل الهند في 04 جويلية 1513م[3].

لقد ظلت مدينة جدة والأماكن المقدسة بها وميناء عدن محور اهتمام البرتغاليين وهذا ما يبين لنا الهدف الحقيقي لحملة الهند الثانية، التي لم تقم بأي عمل عسكري يذكر لاعتبارات عديدة عرفتها الدولة المملوكية في ذلك الوقت داخليا وخارجيا، فهي لم تغادر البحر الأحمر خصوصا بعد رفض السلطان اليمني عامر بن عبد الوهاب الطاهري، تقديم مساعدات غذائية وعسكرية للمماليك في أثناء هذه الحملة، مما جعل الأمير حسين الكردي يشن حربا عليه سميت بحرب الطاهريين والمماليك في عام 1515م[4]، انتهت هذه الحرب بخسائر بين الطرفين حيث يذكر لنا المؤرخ قطب الدين النهروالي هذه الحادثة فيقول:<< **...فأرسل الأمير حسين إلى السلطان عامر يطلب منه الميرة والإعانة...وأراد الأمير حسين انكاء السلطان عامر واخراب داره ودياره فحدثته نفسه بأخذ اليمن...** >> [5]، في الحقيقة لم يكن هذا سببا كافيا من أجل قيام حرب بين الطرفين لكن مسألة الصراع لها جذورها القديمة التي تعود أساسا إلى رفض الأمير حسين الكردي من قبل تقديم يد المساعدة للسلطان عامر بن عبد الوهاب عند هجوم البرتغاليين على عدن عام 1513م.

بعد أن توفي القائد البرتغالي ألفونسو دي ألبوكيرك في عام 1515م عين خلفا له القائد البرتغالي لوباز سواريز كنائب له بالهند، تمكن هذا الأخير في عام 1517م من محاصرة عدن

---

(1) سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن(1538م-1635م)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1992، ص73.
(2) فاروق عثمان أباظة، المرجع السابق، ص110.
(3) سيد مصطفى سالم، المرجع نفسه، ص97.
(4) فاروق عثمان أباظة، المرجع نفسه، ص117.
(5) النهروالي، المصدر السابق، ص ص(20-97).

وإجبار سكانها على تقديم الدعم والمرشدين لحملته على جدة، إلا أنه فشل في احتلال مدينة جدة بسبب حصانة هذه المدينة واستمالة المماليك في الدفاع عنها مما دفع به إلى الرجوع إلى سواحل بلاد الهند(1).

رغم أن المماليك ظلوا منشغلين بحماية ميناء عدن باليمن إلا أنهم قرروا بعد ذلك تأجيل حملتهم إلى بلاد الهند، من أجـل تأمين خط رجوعهم فيما بعد وحماية منطقة البحر الأحمر من دخول البرتغاليين إليها ببنائهم لقواعد عسكرية بحرية هناك، الأمر الذي جعل الأمير حسين الكردي يتجه نحو مدينة جدة لتعزيز دفاعاتها طالما أن مدينة عدن لم تسقط بعد في أيدي البرتغاليين(2)، فقد كانت هذه الجهود العسكرية أقصى ما استطاع المماليك بذله لتأمين حماية الحرمين الشريفين، لكن لم يكتب لهم حماية هذه الأماكن المقدسة بعد سقوط دولتهم على يد العثمانيين في عام 1517م، ثم دخول أشراف مكة بعد ذلك تحت سيادة الدولة العثمانية سلميا.

لقد فشلت حملة القائد البرتغالي لوباز سواريز في احتلال مدينة جدة وبقيت مدينة عدن هي محط أمال البرتغاليين بحملاتهم المتكررة عليها، فأعقب هذه الحملة حملة عسكرية أخرى بقيادة القائد Da Silveira (ايتور دا سيلفيرا) الذي خرج على رأس حملة بحرية بسبعة سفن وفرض الجزية على حاكمها وكان مقدارها عشرة ألاف أشرفي سنويا، ثم أرغم حاكمها بعد ذلك على استعمال موانئه كقواعد خلفية في حروبه ضد المسلمين، فقصفت عدن لمرات عديدة من طرف البحرية البرتغالية مثل ما حدث في عام 1525م، فاضطر خلالها حاكمها عامر بن عبد الوهاب الطاهري إلى توقيع اتفاقية جمركية بينه وبين البرتغاليين، تنص على السماح له بحرية الملاحة في السواحل اليمنية مع الاعتراف بالسيادة البرتغالية عليها، دفع جزية سنوية مقابل عدم التعرض لها فمنحت البرتغال حرية الملاحة للسفن اليمنية في مياهها الإقليمية بخليج عدن، مع إبقائها لحامية برتغالية في ميناء عدن من أجل إدارة التحصينات الجمركية ولضمان تنفيذ بنود هذه المعاهدة حرفيا(3).

---

(1) فاروق عثمان أباظة، المرجع السابق، ص117.

(2) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي(1516م-1922م)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996، ص99.

(3) فاروق عثمان أباظة، المرجع نفسه، ص138.

إلا أن ظهور العثمانيين كقوة في المشرق العربي جعل حاكم عدن يطلب الحماية من السلطان العثماني سليمان القانوني(1520م-1566م)، بعدما اعتقل الحامية البرتغالية الموجودة في ميناء عدن فكان انضمام اليمن إلى حكم الدولة العثمانية والفتح الأول لها في عام 1538م[1] ضرورة فرضتها المعطيات السياسية والعسكرية والدينية والاقتصادية، خصوصا بعدما فشل المماليك في عملية الدفاع عن المنطقة من الخطر البرتغالي بالبحار الشرقية والمحيط الهندي.

كما تابعت القوى المحلية في اليمن مقاومة البرتغاليين في سواحلها بعد سقوط دولة المماليك حيث كانت تعمل على مهادنتهم تارة وعلى مقاومتهم تارة أخرى، إلا غاية أن تمكن العثمانيون من إلحاق اليمن بسلطتهم عام 1538م، بما أن سياسة الدعم العسكري التي انتهجها العثمانيون اتجاه المماليك من أجل صد الخطر البرتغالي، قد أصبحت غير ناجحة لذلك وجب عليهم التدخل بأنفسهم لحماية العالم الإسلامي، بعد أن عجزت القوى المحلية من مسلمي الهند والمماليك عن صد هذا الاعتداء الذي شل حركة التجارة وأعاق سيرها بالبحار الشرقية والخليجية فلقد حقق العثمانيون عند بسط سيطرتهم العسكرية على بلاد اليمن مكاسب إستراتيجية جد هامة مكنتهم من مواجهة البرتغاليين وحماية جبهتهم الجنوبية بتحصين دفاعاتهم في جنوب شبه الجزيرة العربية[2]، الدفاع عن الأماكن المقدسة في الحجاز ومحاصرة الدولة الصفوية الشيعية المتحالفة ضدهم مع البرتغاليين منذ عام 1515م.

بما أن منطقة المشرق العربي قد عرفت عدة تغيرات سياسية ومذهبية هذا ما جعل الدولة العثمانية تغير من سياستها اتجاه المنطقة في عهد السلطان سليم الأول خصوصا، بعد إعطائه الأولوية للتوسع في قارتي آسيا وإفريقيا بدلا من أوروبا، فعندما ندقق النظر في هذه السياسة العثمانية نجدها تبحث عن وحدة إسلامية بقيادة سنية عثمانية، علما أن جزء أخر من سياستها

---

(1) سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص111.

(2) أحمد بن يعقوب أبو محمد الحسن، صفة جزيرة العرب، مطبعة السعادة، القاهرة، 1953، ص51.

كان يقوم على عقدها لمعاهدات صلح طويلة الأمد استمرت عشرين سنة مع البرتغال واسبانيا وفرنسا وانجلترا والمجر ونابولي ورودس[1]،

إذن ترى ماهي الأسباب والدوافع التي جعلت العثمانيين يغيرون من استراتيجياتهم العسكرية التوسعية في شرق قارة أوروبا، ليتجهوا بعدها إلى منطقة المشرق العربي وشبه الجزيرة العربية، هل يعتبر تخوفهم من انتشار المذهب الشيعي للدولة الصفوية [*]على حساب المذهب السني لـلعثمانيين سببا في ذلك؟ أو هل ان فشل المماليك في الدفاع عن منطقة المشرق العربي والأماكن المقدسة بالحجاز من الخطر البرتغالي يعتبر سببا كافيا لتوسع العثمانيين في المنطقة وضمها إليهم؟ أو أن هنالك أسباب ودوافع أخرى يريد العثمانيون تحقيقها من وراء هذا الضم لمنطقة المشرق العربي بحماية طرق التجارة بالبحر الأحمر والخليج العربي؟.

(1) محمد فريد بك، المرجع السابق، ص188.

(*) الدولة الصفوية: سميت بذلك نسبة إلى الطريقة الصفوية التي أسسها الشيخ صفي الدين الذي أقام بأدربيل إحدى مناطق أذربيجان، والمتوفى عام 1334م، لكن حفيده شيخ الطريقة الخامس "جنيد"(1447م-1460م) اعتنق المذهب الشيعي وأصبح المذهب الشيعي الإثنا عشري هو المذهب الرسمي للدولة الصفوية، وكان اضطهاد مسلمي السنة و إجبارهم على التشيع من بين أهم مبادئ هذا المذهب الشيعي من خلال التحالفات التي قادها المؤسس الحقيقي للدولة الصفوية الشاه إسماعيل الصفوي ضد الدولة العثمانية السنية كسعيه للتحالف مع البنادقة والمماليك ثم البرتغاليين للقضاء على المذهب السني في منطقة المشرق العربي، أنظر: عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص100.

ثانيا/الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية على زعامة العالم الإسلامي:

أ-الأوضاع السياسية في المشرق الإسلامي مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي:

لقد كان الفتح العثماني للبلاد العربية مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد نتيجة حتمية من نتائج الصراع السياسي والمذهبي والعقائدي بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، التي راحت تحارب وتقاتل العثمانيين في منطقة الأناضول وتثير الفتن بين مسلمي السنة والشيعة وتحاول الاتصال بالبنادقة والبرتغاليين والمماليك كذلك، لإيجاد حلفاء لها في المنطقة ضد الدولة العثمانية كما أن التحولات السياسية والاقتصادية الخطيرة التي عرفها المشرق العربي، بعد انهيار اقتصاد الدولة المملوكية وضعف قدراتها العسكرية وعجزها عن حماية الأماكن المقدسة في الحجاز، بسبب قوة الخطر البرتغالي المتمركز في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر وتطويقه للعالم الإسلامي من جهته الجنوبية، حيث ساهمت كل هذه العوامل في جذب اهتمام الدولة العثمانية بالمنطقة بدافع الوازع الديني للإسلام، ترى ماهي أوضاع العالم الإسلامي سياسيا وعسكريا خلال هذه الفترة؟ وكيف ساهم الوضع السياسي المتردي في فتح الباب أمام القوة البرتغالية لبسط نفوذها على المنطقة لعدة قرون من الزمن؟.

يؤكد لنا خير الدين بربروس في مذكراته حقيقة اهتمام الدولة العثمانية بالسيطرة على منطقة البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي، دون غيرها من بحار العالم بسب قلقها المتزايد من الخطر البرتغالي والمد الشيعي المتربص بالدولة العثمانية، حين قابل الصدر الأعظم إبراهيم باشا في مدينة حلب حيث يقول:<< **اقترحت على إبراهيم باشا أن نقوم بتنظيم حملات نوجهها للعالم**

الجديد[*]الذي اكتشف حديثا فنجني من ذلك فوائد عظيمة، إلا أنه لم يأذن لنا معتذرا عن ذلك بضرورة الاكتفاء بفرض سيطرتنا على البحر المتوسط والمحيط الهندي>> [1].

إضافة إلى كل هذه القوى الخارجية المتربصة بالدولة العثمانية والتي شكلت خطرا حقيقيا عليها من الخارج، فان أغلب القوى المحلية من حكام المماليك الإسلامية والعشائر والمشيخات المحلية بالخليج العربي وجنوبه، قد عرفت موجة من الصراع السياسي والعسكري ضد بعضها البعض بين الطاهريين والزيديين في اليمن وبين الطاهريين والمماليك و بين مملكة هرمز وإمارة الجبور وبين الإمامة الإباضيين والنبهانيين في عمان، سببها التنافس على الحدود الداخلية وعلى الحكم والسلطة مما زاد في تردي الأوضاع الداخلية في العالم الإسلامي، لأن ضعف العالم الإسلامي قد بدأ من الداخل ليستغله البرتغاليين من الخارج.

ب-المواجهة العسكرية بين العثمانيين والصفويين في معركة جال ديران عام 1514م:

ان تبني الدولة الصفوية للمذهب الشيعي وسعيها الحثيث إلى نشره خارج حدودها الإيرانية وخاصة في شرق الأناضول ومحاولة الشاه إسماعيل الصفوي [*]، إثارة قبائل التركمان الشيعة عام 1511م من خلال قيام أتباعه بانتفاضة في الأناضول الغربية للسيطرة على السلطة العثمانية من جبهتها الداخلية، فنجح الصفويون في احتلال مدينة كوتاهية ومحاصرة بورصة وبعد هذه الموقعة بالذات سارع العثمانيون إلى إتباع سياسة اضطهاد ديني واسع ضد المسلمين الشيعة في

(*) العالم الجديد: يقصد بها أمريكا حاليا التي اكتشفت قبل سنوات قليلة من ذلك من طرف المستكشف الاسباني كريستوف كولومبوس عام 1492م، أنظر: محمد دراج، المرجع السابق، ص168.

(1) بسبب كثرة الخطر الاسباني على سواحل البحر الأبيض المتوسط، والخطر البرتغالي في المحيط الهندي أنظر: نيقولا ايفا نوف، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516م-1574م)، ط1، دار الفرابي للنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص ص(43-51)، وأنظر: محمد دراج: المرجع نفسه، ص168.

(*)الشاه إسماعيل الصفوي: بن الشيخ حيد(1494م-1524م) ينتهي نسبه إلى صفي الدين بن جبرائيل العلوي الحسيني، المؤسس الحقيقي للدولة الصفوية التي بلغت أوج قوتها في عصره، أنظر: محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس، المرجع السابق، ص14.

بلادهم[1]، ترى كيف تمكن العثمانيون من إيقاف هذا الخطر الشيعي المتوسع في منطقة المشرق والخليج العربي؟.

بهذا اتجهت العلاقات العثمانية و الصفوية نحو الانسداد والتأزم التام بسبب هذا الخلاف الديني والعقائدي بين الدولتين، فكان التوجه نحو الحرب في طريقه بين المعسكرين لحل جميع المشاكل العالقة خصوصا بعدما اعتلى عرش السلطنة في الدولة العثمانية السلطان "سليم ياووز"(1512م-1520م)، الذي كان ميالا إلى الحرب عكس أبيه السلطان بايزيد الثاني الذي كان ميالا إلى الصلح [2]، فقد كان السلطان "سليم الأول" يطمح إلى جمع كافة المسلمين تحت قيادة سياسية سنية واحدة، لذلك كان لزاما عليه أن يجد حلا لهذا الخطر الشيعي المتنامي وهذا ما أشارت إليه إحدى رسائل السلطان سليم الأول والتي كان قد بعث بها إلى السلطان "طومان باي" حاكم دولة المماليك بمصر، بعد مقتل السلطان الغوري في معركة مرج دابق عام 1516م، التي صرح له فيها بأنه سوف يملك الشرق والغرب ويوحد الدولة الإسلامية تحت قيادته[3].

فقد أسس الصفويون دولة قوية في إيران بداية من احتلالهم لتبريز في عام 1501م وجعلها عاصمة لدولتهم، ثم الاستيلاء على خرسان والعراق وديار بكر عام 1508م ثم احتلال مدينة بغداد وأذربيجان وسائر بلاد فارس، بهذا بسط الصفويون نفوذهم من خليج البصرة إلى بحر الخزر من منابع نهر الفرات إلى نهر أموداريا [4]، بعدما جعل الصفويون من التشيع مذهبا دينيا لهم شرعوا في القيام بدعاية إعلامية كبيرة له دينيا وسياسيا، الأمر الذي جعل العثمانيين والمماليك ينضرون إليه من باب الشك، خصوصا بعد تحريفهم للأذان بإضافة عبارة: **<<أشهد أن عليا ولي الله>>**، لعنهم للخلفاء الراشدين من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان في المساجد وهدمهم لقبر

---

(1) A. Toynbee, a study of history, oxford University, 3vol, London, 1945, p.p. 282-285.

(2) إبراهيم شحاتة، أطوار العلاقات المغربية العثمانية، منشأة المعارف للطباعة بإسكندرية، مصر، 1981، ص101.

(3) خليل اينالجيك، <<العثمانيون النشأة والازدهار>>، مقال منشور في كتاب دراسات في التاريخ العثماني، محمد سيد، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص74.

(4) محمد فريد بك، المرجع السابق، ص 189، وأنظر أيضا: سعيد أحمد البرجاوي، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، دار الأهلية للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، 1993، ص91.

الصحابي الجليل أبي حنيفة النعمان وغيره من علماء السنة بعد استيلائهم على بلاد العراق [1]وفي الوقت ذاته حاول الصفويون عقد عدة تحالفات عسكرية وسياسية ضد الدولة العثمانية تجمع بينهم وبين دولة المماليك، إلا أن حكام المماليك لم يتجاوبوا مع هذا العرض المقدم إليهم [2]من جهة، كما سعى الصفويون إلى عقد تحالف عسكري واقتصادي ثان مع البنادقة ضد العثمانيين من جهة أخرى، هذا من أجل وضع هذه الأخيرة في فم كماشة فيهاجمها الأوروبيون من الغرب والصفويون من الشرق، بينما يقوم المماليك بمهاجمتها من الجنوب لكن جمهورية البندقية والتي كانت تربطها مع العثمانيين معاهدة سلام كما سبق ذكره لم ترحب بهذا العرض الصفوي خلال هذه الفترة[3].

فكانت أولى خطوات السلطان سليم الأول هو حصوله على فتوى من شيخ الإسلام "صاري جوريز"، تبيح له قتل المسلمين الشيعة واسترقاق نسائهم وأطفالهم واعتبارهم خارجين عن الإسلام كما أن الشاه إسماعيل لجأ كذلك إلى إتباع نفس الأسلوب الديني من خلال طلبه استصدار فتوى شرعية تجيز له محاربة العثمانيين وتقدس له قتالهم، باعتباره حسب قوله "**الجهاد الأعظم**" كما كان فرار الأمير أحمد أخوا السلطان سليم الأول إلى حدود الصفويين قد أشعل نار الحرب كذلك بين الطرفين، بعدما استغلته السلطة الصفوية من أجل تأليب المعارضة داخل الأراضي العثمانية[4].

فبعد حصول السلطان سليم الأول على فتوى الجهاد الشرعية اتجه لملاقاة الصفويين مباشرة حيث التقى الطرفان في سهل جال ديران، بتاريخ 23أوت1514م شمال مدينة تبريز عاصمة الصفويين وقد انتهت المعركة بهزيمة الجيش الصفوي وهروب الشاه إسماعيل وبعض من جيوشه إلى شمال شرق الهضبة الفارسية [5]، دون قيام السلطان سليم الأول بملاحقتهم بل انه أمر جيوشه بالانسحاب من مدينة تبريز مكتفيا بإلحاق بعض الخسائر المادية والبشرية بهم، مما كان له أثر

(1) شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص140.
(2) محمد فريد بك، المرجع السابق، ص189.
(3) ابن إياس، المصدر السابق، ص194.
(4) نيقولا ايفانوف، المرجع السابق، ص ص60-66.
(5) عباس إسماعيل الصباغ، تاريخ العلاقات العثمانية والإيرانية، ط1، دار النفائس، بيروت، 1999، ص93، وأنظر كذلك: عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون(1516م-1916م)، مكتبة دمشق، سوريا، 1974، ص ص15-17.

بالغ وعظيم في نفوس المقاتلين العثمانيين الذين تذمروا من هروب الجيوش الصفوية دون تمكنهم من القضاء عليها في سهل جال ديران[1].

الجدير بالملاحظة هنا أن الجيش العثماني لم يقم بملاحقة الفلول الهاربة من الجيش الصفوي ربما بسبب صعوبة اختراق الهضبة الإيرانية، أو لسياسة الأرض المحروقة التي اتبعها الشاه إسماعيل الصفوي بعد انسحابه من ميدان المعركة، في أثناء عودة الجيش العثماني إلى اسطنبول قام بالاستيلاء على إمارة ذي البستان وذي القادر، الواقعتان على حدود دولة المماليك بين شرقي الشام وغربي نهر الفرات لتصبح المواجهة العسكرية بين القوتين المسلمتين جد مرتقبة.

لقد كان من نتائج التواجد العثماني في معركة جال ديران عام 1514م انضمام ديار بكر والمدن الشرقية المتبقية في الأناضول، شمال العراق وأجزاء من أذربيجان إلى أقاليم الدولة العثمانية وهذا ما سوف يمهد لفتح العراق في عهد السلطان سليمان القانوني، بهذا النصر حقق العثمانيون مكاسب إستراتيجية جد هامة تمثلت في تحصينهم لحدودهم الشرقية في هضبة الأناضول من أي محاولة غزو تنطلق من قارة أسيا، أما اقتصاديا فقد تمكنوا من السيطرة على طريق الحرير الفارسي من تبريز إلى حلب وبورصة مما أدى إلى تدفق إيرادات مالية [2]جد معتبرة إلى خزينة الدولة العثمانية في اسطنبول، إضعاف الدولة الصفوية وإزالة خطرها خلال هذه الفترة.

ج-التحالف السياسي العسكري الصفوي والبرتغالي ضد العثمانيين عام 1515م أسبابه وأبعاده:

بعد هزيمة الصفويين على يد العثمانيين في معركة جال ديران عام 1514م بدأ الشاه إسماعيل الصفوي، يبحث عن حليف سياسي وعسكري له ضد الدولة العثمانية وكان له ذلك من خلال التقارب المصلحي بينه وبين القائد البرتغالي ألفونسو دي ألبوكيرك في عام 1515م[3]حيث

(1) خليل اينالجيك، المرجع السابق، ص75.
(2) بديع جمعة وأحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد، ج1، القاهرة، 1976، ص59.
(3) عبد الكريم رافق، المرجع السابق، ص57.

عقد الطرفان معاهدة سعى الصفويون من خلالها إلى استمالة البرتغاليين والاستفادة من تفوقهم العسكري في البحار الشرقية، فتم تشكيل تكتل سياسي وعسكري بين الصفويين والبرتغاليين ضد العثمانيين والذي لخص في أهم بنوده بما يلي:

– اتحاد القوتان عسكريا ضد العثمانيين في حروبهم البحرية والبرية.

– مساعدة البحرية البرتغالية للصفويين في غزوهم للقطيف والبحرين في مياه الخليج العربي.

– محاصرة الصفويين للعثمانيين شمالا من البر والبرتغاليين جنوبا من البحر لتطويقهم وعزلهم.

– مساعدة ألبوكيرك للشاه إسماعيل الصفوي ضد الحركات التمردية والانفصالية التي يواجهها في إقليم مكران(الفارسي) بجنوب الخليج العربي.

– يضمن البرتغاليون ما يلزم الصفويين من سفن بحرية لنقل رعايا الشاه من جزيرة هرمز إلى البحرين والقطيف، كما يسمح للتجار الصفويين بممارسة التجارة في ميناء جوا بالهند وجزيرة هرمز فبموجب هذه الاتفاقية عمل الصفويون على شن عدة عمليات عسكرية في شرقي الأناضول وعلى حدود الشام ضد العثمانيين، بهذا سارع السلطان سليم الأول إلى القضاء على المتمردين من أتباع الشيعة في هذه المناطق الحدودية بالذات[1].

لم يكن التحالف الصفوي والبرتغالي جديدا على العثمانيين فقد سعى الصفويون من قبل إلى عقد تحالف مع جمهورية البندقية والمماليك ضد العثمانيين، لكسر الحصار التجاري المفروض على طرق التجارة البحرية والبرية منها، حيث يذكر لنا ابن إياس في حوادث عام 916هـ والموافق لعام 1510م مساعي الشاه إسماعيل في عقد تحالف مع البرتغاليين قبل معركة جال ديران عام1514م، لكنه باء بالفشل حيث يقول:<<... **وفي يوم السبت نزل السلطان [*]إلى الميدان وعرض عليه قناصل الفرنج[*] فلما وقفوا بين يديه وبخهم ووعدهم بالشنق، والسبب في ذلك أن نائب البيرة قبض على جواسيس من عند الشاه إسماعيل الصفوي وفي أيديهم مكاتبات إلى**

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص118، وأنظر كذلك: عباس إسماعيل الصباغ، المرجع السابق، ص223.
(*) السلطان: ويقصد به سلطان المماليك قانصوه الغوري.
(*)قناصل الفرنج: ويقصد بهم سفراء البرتغال إلى الشاه إسماعيل الصفوي.

القناصل بأن يكتبوا إلى ملوك الفرنج وأن يأتوا بمراكب البحر، فيزحف هو من جهة البر على سلطان مصر وابن عثمان...>>[1].

لكن أعلمنا السلطان سليم الأول عن درايته التامة بمخططات الصفويين والبرتغاليين معا قبل وقوع معركة جال ديران عام 1514م، بحيث طلب من قادة جيوشه التأهب لهذا الخطر الشيعي القادم نحوهم مذكرا كذلك أصحاب المذهب السني من أتراك عثمانيين بالتمسك بمذهبهم حين خاطب السلطان سليم الأول قادة جيوشه قائلا لهم:**<<ان العالم المسيحي ما انفك يتربص بنا وان كان الآن مختبئا فهو يراقبنا من ثقب الباب متحينا الفرصة للانقضاض علينا، ولا ندري أي خطر يحيق بنا لو انقسم الناس إلى مذاهب في هذه الفترة الحرجة بالذات>>** [2].

رغم كل هذه التحضيرات الصفوية والبرتغالية لتنفيذ مخططاتهم العسكرية ضد العثمانيين قبل وبعد معركة جال ديران عام 1514م، إلا أن كل هذه الإجراءات لم تترجم بصورة فعلية وجدية على أرض الواقع لاعتبارات عديدة ولعل أهمها هو قضية عزل ملك البرتغال امانويل الاول للقائد ألفونسو دي ألبوكيرك، بعد حكم له دام مدة ستة سنوات كاملة عمل فيها كنائب للملك في الهند منذ عام 1509الى غاية عام 1515م[3]، حيث كانت وفاته بعد إصابته بمرض يدعى"الفواق" سبب له اختناقا مفاجئا فتوفي بميناء جوا بالهند، هو في عمر الثالثة والستون سنة بتاريخ 16ديسمبر1515م، لعل رحيل ألبوكيرك الذي ضمن للبرتغال مكانة جد هامة في البحار الشرقية والخليجية باحتلاله لسواحل المحيط الهندي وجزيرة هرمز في عام 1507م، وضعه للقواعد الأساسية لإمبراطورية البرتغال البحرية وتأسيسه لمراكز وقلاع عسكرية وتجارية على طول السواحل الشرقية من إفريقيا إلى غاية الهند، هي كلها من أهم الانجازات العظيمة التي قدمها هذا

---

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص205.

(2) محمد عبد اللطيف هريدي، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها على انحسار المد الإسلامي عن أوروبا، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص52.

(3) لقد وصلت إلى الهند في نهاية شهر نوفمبر عام 1515م حملة عسكرية بحرية تحمل معها أمرا ملكيا من ملك البرتغال امانويل الأول، ينص على تعيين القائد لوبو سواريز نائبا لألبوكيرك في الهند وعزل هذا الأخير من منصبه نهائيا، أنظر: جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول(1507م-1840م)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985، ص70.

الرجل للبرتغال شعبا وحكومة، فلم تسلم منه سوى عدن وموانئها والبحر الأحمر وسواحله خلال فترة حكمه.

د-المواجهة العسكرية الأولى بين العثمانيين والمماليك في معركة مرج دابق 1516م:

لقد تأرجحت العلاقات العثمانية والمملوكية بين الاحترام والتعاون والتقارب المتبادل بين الطرفين قرابة ربع قرن(1498م-1516م)، من خلال جملة من الهدايا والتهاني التي تبادلها الطرفان أثناء انتصاراتهما العسكرية ضد البرتغاليين، تقاربهما السياسي والعسكري في ذلك خصوصا بعد المساعدات العسكرية التي أرسلها السلطان بايزيد الثاني إلى سلطان المماليك قانصوه الغوري والمتمثلة في مجموعة من السفن الحربية وسلاح المدفعية والأخشاب بالإضافة إلى عدد كبير من الجنود والضباط في البحرية العثمانية، للإشراف على الأسطول المصري بميناء السويس والذي اتخذ منه العثمانيون قاعدة عسكرية لهم ومنطلقا لحملاتهم البحرية مع المماليك [1] ضد السفن البرتغالية المتحرشة بهم.

كما عرفت هذه العلاقات كذلك فترة من الصراع والنزاع الذي وصل حد المواجهة العسكرية بين الطرفين بسبب قضية الحدود السياسية التي تفصل بينهم، إضافة إلى تخوف العثمانيين من تحالف المماليك مع أعدائهم الصفويين ضدهم، مع اقتراب الخطر البرتغالي الذي أصبح يهدد جبهتهم الجنوبية بعد فشل المماليك في مواجهة هذا الخطر لقوته بحريا وتفوقه في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي، ترى كيف تمكن العثمانيون من هزيمة المماليك وبسط سيطرتهم السياسية والعسكرية على مناطق بلاد الشام ومصر؟.

إضافة إلى كل ذلك التوتر الذي شاب العلاقات السياسية والعسكرية بين القوتين السنيتين فان تولي السلطان سليم الأول لعرش الخلافة العثمانية، مبادرته المبكرة في تصفية الخطر الشيعي

(1) J. Hammer, Histoire de l'empire ottoman depuis son origine jusqu' à nos jours, trad J.J.Hellert, Tome5, Paris, 1836, p.301.

عجل باصطدام القوتين الإسلاميتين السنيتين بحيث يرى المؤرخ الانجليزي A.Toynbee(أنولد توينبي)[1]بأن الحرب التي قامت بين العثمانيين والمماليك ماهي إلا مرحلة ثانية من مراحل الصراع بين الصفويين والعثمانيين، هذا ما معناه أن السلطان سليم الأول كان مدفوعا نحو فتح بلاد الشام بأسباب وعوامل سياسية ومذهبية بدرجة أولى اتجاه الصفويين، ليمنع بذلك وصولهم إلى المشرق العربي وليضع حدا لانتشار المذهب الشيعي خارج الحدود الإيرانية أيضا[2].

لعل من بين العوامل الأخرى التي حركت العثمانيين ضد المماليك كذلك هو اكتشافهم لتلك الاتصالات السرية التي تمت بين المماليك وبين الصفويين، التي تنص على تكثيف الجهود للحيلولة دون سقوط المنطقة بيد العثمانيين، حيث يذكر لنا المؤرخ "ابن أبي السرور البكري الصديقي" في كتابه "الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة" أنه عندما جهز السلطان سليم الأول حملته العسكرية ضد أحد الأقاليم الصفوية عام 1516م، تحرك الجيش المملوكي من القاهرة متوجها بذلك نحو الحدود السورية الشمالية، يعتبر هذا التحرك العسكري حسب رأيه من جانب المماليك سببا مباشرا في نشوب معركة مرج دابق (Maraj Dabik)عام 1516م[3]بين العثمانيين والمماليك.

إلا أن هنالك عدة أسباب أخرى وراء هذا الاصطدام العسكري بين الدولتين منها موفق سلطان المماليك قانصوه الغوري المتردد في تقديم يد المساعدة للعثمانيين، وقوفه موقف المتفرج والمتحفظ خلال حرب العثمانيين ضد الصفويين في معركة جال ديران عام 1514م، مما ساهم في بعث الشك والريبة في نفس السلطان سليم الأول، الذي كان على علم ودراية تامة بنداءات الصفويين المتكررة للمماليك من أجل تشكيل تحالف عسكري مشترك للقضاء على العثمانيين، مما رجح له ضرورة التخلص من المماليك بضم مصر والشام تحت حكمه ليتفرغ بعدها لمواجهة البرتغاليين لوحده، إضافة إلى ذلك فان موقف الأمير علاء الدين حاكم إمارة "ذي القادر"الممتنع

(1) A. Toynbee, op.cit, p. 368.
(2)IDEM, p.368.
(3) شمس الدين محمد بن أحمد ابن أبي السرور البكري الصديقي، الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية ، القاهرة، 1932، ص13.

عن تقديم يد المساعدة للجيش العثماني في حربه ضد الصفويين بتحريض من السلطان الغوري كان سببا في شد خنق السلطان سليم الأول عليه فبعث له بقائد جيشه "سنان باشا" الذي قتله[1].

كذلك يمكننا اعتبار أن رغبة السلطان سليم الأول هي السيطرة على طرق التجارة العالمية العابرة برا على مصر وبلاد الشام ثم بحرا في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط [2]، أمرا جعل الصدام العسكري شيئا محتملا بين الطرفين، بسبب أهمية تلك المعابر اقتصاديا بدرجة أولى والتي تعتبر من بين أهم العوامل التي حفزت السلطان سليم الأول من أجل التخلص من المماليك بعد تراجع دورهم العسكري والاقتصادي في المنطقة، جراء قطع البرتغاليين لهذه الطرق التجارية عليهم خصوصا بعد فشلهم في محاولة الدفاع عنها من خطر البحرية البرتغالية المتربعة على سواحل المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي، مما زاد في تخوف العثمانيين كذلك هو محاولة البرتغاليين تدمير الأماكن المقدسة بالحجاز بدافع الحقد الصليبي على الدين الإسلامي لتشكل كل هذه الأسباب والدوافع قاعدة أساسية للسلطان سليم الأول، من أجل إعلانه الحرب ضد المماليك في معركة دارت أطرافها في منطقة مرج دابق بالشام عام 1516م[3].

لهذا لم يرى السلطان سليم الأول مانعا في حسم الأمر بالقوة مع المماليك بداية بحث جيوشه على الاستعداد للقتال، ليتوجهوا بعدها إلى خوض غمار هذه المعركة كما قام السلطان الغوري كذلك بدوره حين ترك ابن أخيه "طومان باي الثاني"(1516م–1517م) حاكما على مدينة القاهرة ليخرج هو وجيشه إلى بلاد الشام فوصلوها في أوائل شهر ماي من عام 1516م، ليلتقي الطرفان في منطقة مرج دابق الواقعة شمال مدينة حلب بتاريخ 25ماي1516م، التي تفوق خلالها الجيش العثماني عسكريا وتكتيكيا على جيش المماليك من خلال استخدامه للبنادق وسلاح

---

(1) رجب حراز، العالم العربي الحديث، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980، ص17.
(2) عبد الكريم غرايبية، مقدمة في تاريخ العرب الحديث، دار الأهلية للنشر والتوزيع، دمشق، 1970، ص ص75-85.
(3) للمزيد من التفاصيل حول أسباب معركة مرج دابق بالشام أنظر: محمد فريد بك، المرجع السابق، ص18.

المدفعية المجرورة بالعربات المتحركة في المعركة، مقابل استخدام المماليك لأسلحة جد تقليدية وقديمة من سيوف وحراب وفرسان[1].

ما ساعد أيضا على تفوق العثمانيين في هذه المعركة هو خيانة كل من"خاير بك" نائب مدينة حلب و"جان بردي الغزالي" نائب مدينة حماة للسلطان قانصوه الغوري، بعد اتصالهما السري مع العثمانيين قبل المعركة وقيامهما بسحب جيشيهما بعد بداية القتال مباشرة ما كان له أثر سلبي كبير على معنويات الجيش المملوكي الذي تلقى بدوره خبر هذه الخيانة في بداية المعركة [2]، التي انتهت بهزيمة جيش المماليك في معركة مرج دابق وقتل سلطان المماليك قانصوه الغوري على يد الجنود العثمانيين بعد حكم له دام خمس وعشرين سنة وتسعة أشهر وخمس وعشرين يوما [3]كاملة. ومن بين الأسباب التي أدت كذلك إلى انكسار الجيش المملوكي في هذه الموقعة الحربية بذات هو غياب السند الشعبي للمماليك في حربهم ضد العثمانيين، ذلك بسبب تزايد الهوة بين سياسة السلطة الجائرة مع الرعية.

فلقد خرج أهل مدينة حلب بعد نهاية معركة مرج دابق فرحين بقدوم السلطان سليم الأول وفتحه لبلاد الشام، بسبب ما عانوه من ظلم المماليك وجورهم بكثرة الضرائب والمظالم التي أشار لها ابن إياس حين وصف لنا حالة سكان حلب المنتقمين من جيش المماليك قائلا:<<...**أن سكان مدينة حلب قاطبة وثبوا على المماليك وقتلوا جماعة من العسكر، ونهبوا سلاحهم وخيولهم وسروجهم وبروقهم ووضعوا أيديهم على ودائعهم التي كانت بحلب وجرى عليهم من أهل حلب مالم يجري عليهم من عسكر بني عثمان**...>>[4]، يفسر لنا ابن إياس هذا الموقف الذي بدر من

---

(1) لقد احتك العثمانيون مع البيزنطيين قبل فتح مدينة القسطنطينية وذلك منذ عهد السلطان مراد الثاني(1421م-1451م)، إذ تعرف العثمانيون على مختلف الأسلحة النارية فصنعوا بذلك المدافع الكبيرة من البرونز والتي تجرها الخيول بحيث أن قذائفها كانت عبارة عن كرات من الحجارة الكبيرة كما صنع العثمانيون مختلف أنواع البارود والذخيرة الحربية لخوض حروبهم ومعاركهم، أنظر: إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص17.

(2) عبد الكريم غرايبية، المرجع السابق، ص22.

(3) ابن إياس، المصدر السابق، ج5، ص71.

(4) ابن إياس، المصدر نفسه، ج3، ص49.

سكان مدينة حلب على أنه رد فعل طبيعي منهم على سياسة حكام دولة المماليك الجد سيئة معهم، التي اتسمت حسب قوله بنزولهم فيهم فسقا في بيوتهم باغتصاب نسائهم وبناتهم فحصل منهم ما حصل من غاية الضرر والأذية[1].

الجدير الذكر أنه بعد نهاية معركة مرج دابق لصالح العثمانيين دخل السلطان سليم الأول مدينة حلب مع جيشه واستقبل من طرف أهلها بترحيب كبير للفاتحين الجدد، من خلال ما قاموا به من إلقاء للخطب باسم السلطان سليم الأول في مساجدهم وصك للعملة باسمه وقيامهم كذلك بكامل فروض الطاعة والولاء له، من طرف حكام حمص ودمشق وحماة ولبنان وقضاة المذاهب الأربعة ونقيب الأشراف المتواجدين هناك في فترة إقامته بدمشق مدة شهرين كاملين، حيث أرسل خلالها السلطان سليم الأول إلى حاكم دولة المماليك بمصر" طومان باي" كتابا يعرض فيه ضرورة الاعتراف له بسيادة الدولة العثمانية على جميع أقاليم مصر وتبعيتها له سلميا، على أن يعينه مقابل ذلك كحاكم ونائب له على ولاية مصر، لكن طومان باي رفض هذا العرض المقدم إليه مما أجبر السلطان سليم الأول على الزحف بجيوشه جنوبا، فاحتل بذلك مدينة يافا وغزة والعريش بفلسطين وعبر نهر سيناء بمصر من أجل ملاقاة جيش المماليك، المتواجد في منطقة الريدانية بضواحي مدينة القاهرة ليصبح الصدام العسكري الثاني بين القوتين السنيتين أمرا مؤكدا[2].

هـ-المواجهة العسكرية الثانية بين العثمانيين والمماليك في معركة الريدانية1517م:

بدأ العثمانيون في توسعاتهم نحو مصر رغم بعض الصعوبات التي لاقوها أثناء عبورهم لصحراء سيناء، جراء تلك المناوشات التي سببتها لهم بعض القبائل البدوية هناك وفي تلك المرحلة بذات كان خبر استيلاء العثمانيين على مدينة غزة قد وصلت أنبائه إلى سكان مدينة

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص49.
(2) عبد الكريم غرايبية، المرجع السابق، ص ص 23-25، وللمزيد من الإيضاح أنظر كذلك: إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص39.

القاهرة أثر انهزام الحملة التي أرسلها طومان باي للدفاع عنها، فقد كانت الإستراتيجية العسكرية للقائد المملوكي هي الوصول إلى منابع المياه قبل لحاق الجيش العثماني إليها ليستريح هنالك ويسترجع أنفاسه جراء مشقة عبور صحراء سيناء، إلا أن بعض قادة جيشه وأمرائه قد رفضوا هذه الخطة تماما وقرروا أن يكون ميدان المعركة بالقرب من مدينة القاهرة، كما حاول المماليك خلال هذه الموقعة الحربية بالذات من أن يواكبوا التطورات العسكرية للعثمانيين من خلال تسليح الجنود بأحدث الأسلحة كالبنادق والمدافع والتي كانت محدودة الاستعمال وغير معممة على جميع أفراد الجيش المملوكي بسبب تكلفتها الباهظة وضعف موارد الخزينة المملوكية في تلك الفترة [1]من جهة وموقف المماليك الرافض لهذه الحرب من جهة ثانية، حيث التقى الطرفان في بداية شهر أكتوبر عام 1517م، بمنطقة الريدانية التي ألحقت فيها المدفعية العثمانية شر هزيمة بجيش المماليك.

رغم هذا إلا أن المعركة تواصلت لمدة ثلاثة أيام كاملة لاحق فيها العثمانيون فلول المماليك الهاربة في شوارع مدينة القاهرة، التي فتحت أبوابها أمام الجيوش العثمانية المنتصرة فقد قام السلطان سليم الأول في هذه الفترة بنقل معسكره من منطقة الريدانية إلى منطقة بولاق ليتخذ منها مركزا لقيادته ومنطلقا لعملياته الحربية فيما بعد، على اثر ذلك حاول خلالها طومان باي استرداد مدينة بولاق من العثمانيين، فنشب قتال عنيف بين الطرفين حقق فيه المماليك عدة انتصارات مؤقتة بسبب درايتهم التامة بمداخل المدينة ومخارجها[2].

وهذا ما ذكره لنا المستشرق النمساوي الألماني البارون "جوزيف فون هامر" حين وصف لنا أطوار هذه المعركة قائلا:<< ...**اندفع طومان باي على رأس مجموعة من المماليك فجأة إلى القاهرة الغارقة في النوم وأشعل انتفاضة فيها...واندلعت المعارك في شوارع المدينة واستمرت الاشتباكات ثلاثة أيام بلياليها في الشوارع وعلى سطوح المباني** ...>>[3]، لكن النتيجة النهائية لهذه الاشتباكات قد انتهت لصالح العثمانيين مما دفع بسلطان المماليك إلى التوجه لمنطقة الدلتا

(1) من بين الدراسات الهامة التي تطرقت إلى حركة التوسع والفتح العثماني في البلاد العربية، هي الدراسة التاريخية القيمة للمؤرخ الروسي نيكولا ايفانوف، أنظر: نيكولا ايفانوف، المرجع السابق، ص ص74-77.

(2)J, Hammer, op.cit, p.306.

(3) Idem, p.306.

بمصر ليختبأ عند شيخ بدو البحيرة "حسن مرعي" الذي خانه بعد ذلك وسلمه إلى السلطان سليم الأول، الذي قام باستقباله في قصره ليكلمه عن شؤون مصر وأحوالها حيث كان ينوي الإبقاء عليه حيا لولا أن خير بك وجان بردي الغزالي أوغرا صدر السلطان سليم الأول عليه، فأمر بشنقه في يوم21 فيفري عام 1517م على باب زويلة بمصر [1].

لقد بقي السلطان سليم الأول بعدها في مدينة القاهرة يدرس أحوالها السياسية والاقتصادية ويثبت ركائزها العسكرية، من خلال وضعه لحاميات عسكرية للدفاع عنها من أي خطر خارجي قد يداهمها، كما أقام ركائز أجهزتها القضائية من أجل قيام العدل للفصل بين الناس في أمورهم الحياتية وتنظيمها حتى لا تكثر التجاوزات بين العباد، كما أسس جهازا ماليا من أجل تحصيل وجمع الضرائب المفروضة على الرعية في مدة قاربت ثمانية أشهر كاملة، كان قد زار خلالها مدينة الإسكندرية ورشيد وغيرها من مدن مصر، كما حافظ على مختلف الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية التي كانت مبرمة بين حكام المماليك وجمهورية البندقية من قبل، بل قام بتثبيتها كذلك في يوم14فيفري1517م[2].

أما فيما يخص المماليك فقد أصدر السلطان سليم الأول أمرا سلطانيا بالعفو والصفح عنهم يقوم على عدم التعرض لهم ولممتلكاتهم، مع الاستمرار في صرف مرتباتهم السابقة كما جرت العادة ليحتفظ بهم كعنصر منتج وعامل في الإدارة والصناعة والزراعة وغيرها من مختلف الأنشطة الحيوية الجد هامة، التي تقدم خدمات نافعة للدولة والمجتمع معا فرغم قصر مدة إقامة السلطان سليم الأول بمصر إلا أنه تمكن خلالها من وضع الدعائم والأسس الأولى لنظام الحكم العثماني في مصر، الذي يقوم على أساس الحكم الغير مباشر [3]دون التدخل في تسيير شؤون

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ج5، ص ص166-172.
(2) رولان موسينيه، المرجع السابق، ص 422، وأنظر كذلك: عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص ص700-706.
(3) الغالي غربي، المرجع السابق، ص67.

البلد، ترك الأمور على حالتها السابقة مع إعطاء شيوخ القبائل والعشائر حق التصرف الإداري وممارسة السلطة المطلقة على الرعية.

و- انضمام الحجاز سلميا تحت حكم الدولة العثمانية وتوسعاتها في اليمن والعراق:

بعد مغادرة السلطان سليم الأول لمصر في يوم 10 سبتمبر عام 1517م متوجها بذلك نحو مدينة دمشق، حيث قضى فيها السلطان العثماني فصل الشتاء كاملا هناك ليكمل بعدها طريقه إلى مقر إقامته باسطنبول، قام خلالها بإصدار حكم قضائي في حق الخليفة العباسي المتوكل بالله، ينص على وضعه تحت الإقامة الجبرية باسطنبول، إذ تعتبر هذه القضية بالذات موضع اختلاف العديد من المؤرخين والباحثين في التاريخ الحديث، فحسب ما يشير إليه مثلا المؤرخ يلماز أوزتونا وكذلك المؤرخ إسماعيل أحمد ياغي عن حقيقة تنازل الخليفة العباسي المتوكل بالله لمنصب الخلافة للسلطان سليم الأول، فمنهم من استدل على ذلك من خلال حمل السلطان العثماني للآثار الخاصة بشعار الخلافة معه إلى مقر إقامته باسطنبول، بالتحديد في مراسيم التسليم التي جرت بين الخليفة المتوكل بالله وبين السلطان سليم الأول بمسجد آيا صوفيا باسطنبول[1].

لكن ابن إياس مؤرخ مصر المعاصر لهذه الفترة لم يذكر لنا شيئا عن هذه القضية بتحديد من خلال كتاباته السابقة كلها عن المنطقة، تناوله لكل أخبار السلطان سليم الأول بالتفصيل الدقيق والممل، لكنه في كل مرة يسمي المتوكل بالله باسم الخليفة ويسمي سليم الأول باسم السلطان[2]، ترى كيف تمكنت الدولة العثمانية من بسط نفوذها وسيادتها العسكرية والسياسية على منطقة الحجاز بشبه الجزيرة العربية؟.

---

(1) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص224.
(2) ابن إياس، المصدر السابق، ص180، وللمزيد أنظر كذلك: إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص41، وأنظر أيضا: الغالي، غربي، المرجع السابق، ص64.

-انضمام الحجاز سلميا للدولة العثمانية عام 1517م:

لقد بادر شريف مكة إلى إعلان ولائه للعثمانيين مباشرة بعد فتح مصر سلميا بدون نزاع يذكر، فقد أعقب سقوط مصر مباشرة في يد الأتراك العثمانيين عام 1517م امتداد سيادتهم إلى جميع مناطق الحجاز سلميا، ذلك لأسباب عدة قد ارتبطت كلها بجملة العلاقات الحسنة التي دارت بين الطرفين كالحماية العسكرية التي وفرتها دولة المماليك بمصر للحجاز سابقا من الغزو البرتغالي للأماكن المقدسة به، تقديمها للعون المادي والمالي لها من خلال أموال الأوقاف والهبات التي كان يرسلها سلاطين دولة المماليك إلى فقراء الحجاز وحجاج بيت الله الحرام، ناهيك عن توفيرها للأمن والاستقرار السياسي كذلك لقوافل الحجاج القادمة إلى مكة[1].

إضافة إلى كل ذلك فان شريف مكة والذي كان يختار دائما من طرف كبار الأشراف الحسينيين، كان يطلب بنفسه من سلطان المماليك بمصر تثبيته في منصبه كذلك[2]إلا أن بداية اضطراب وتدهور العلاقات السياسية بين حكام الأشراف الحسينيين وحكام المماليك قد كانت بسبب توغل البرتغاليين في مياه البحر الأحمر، عدم تمكن المماليك من إيقافهم خصوصا بعد تهديدهم للأماكن المقدسة في مكة والحجاز ما أدى إلى حرمان جدة من مواردها الجمركية كذلك.

فقد تأثرت العلاقات السياسية بين الطرفين خصوصا بعد اعتقال السلطان الغوري لعلماء جدة وقضاتها والذين حررهم السلطان العثماني سليم الأول بعد فتحه لمصر مباشرة، لذلك فقد سارع أمير مكة الشريف بركات(1495م-1524م)إلى تقديم كامل التهاني وفروض الطاعة والولاء إلى السلطان سليم الأول مع تقديمه لمفاتيح الحرمين الشريفين، من خلال إرساله لابنه "أبي نمي" إلى مدينة القاهرة [3]حيث أكرم السلطان العثماني وفادة ابنه ومنحه تفويضا كتابيا منه يقر فيه على أحقية والده الشريف بركات بحكم الحجاز، قد قرئ هذا التفويض في مدينة مكة وسط احتفال كبير بذلك من طرف سكانها.

---

(1) جلال يحي، المرجع السابق، ص276.
(2) عبد الكريم غرايبية، المرجع السابق، ص30.
(3) إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص43.

لذلك وجد الشريف بركات أنه من باب الحكمة والتعقل الدخول سلميا تحت حكم الدولة العثمانية، خصوصا بعد ازدياد الخطر البرتغالي في مياه البحر الحمر والمحيط الهندي ولحاجته الماسة لهذا الدعم السياسي والإسلامي من جهة، لهذه الحماية العسكرية للمنطقة من جهة ثانية كذلك وبهذا دخلت الحجاز سلميا تحت حكم الدولة العثمانية، حيث أبقى العثمانيون بعدها على نظام الشرافة أو الإمارة كما كان يسمى سابقا كما قاموا كذلك بإنشاء صنجقية عثمانية في مدينة جدة، صكت العملة النقدية باسم السلطان سليم الأول كما خطب له في كامل المساجد بهذه العبارات والدعوات:<< **انصر اللهم ابن السلطان مالك البرين والبحرين** [*]، **وكاسر الجيشين** [*] **سلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين، الملك المظفر سليم شاه، اللهم أنصره نصرا عزيزا، وافتح له فتحا مبينا، يا مالك الدنيا والآخرة، يا رب العالمين**>>[1]، فقد ترتب عن بسط العثمانيين لسيادتهم على أقاليم الحجاز ظهور أساطيل العثمانيين في مياه البحر الأحمر وحمايتهم للعالم الإسلامي من جبهته الجنوبية ولطرقه التجارية بحرا كذلك، من خطر القرصنة البرتغالية المتقدمة في مياه المحيط الهندي والخليج العربي.

-التوسع العثماني في اليمن دوافعه وأسبابه عام 1538م:

لقد نتج عن فتح العثمانيين لمصر ثم دخول الحجاز سلميا تحت حكم الدولة العثمانية في عام 1517م، ظهور البحرية العثمانية في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي حيث ورث العثمانيون تركة الدولة المملوكية المثقلة بالمشكلات والأعباء، في مقدمتها مسألة تحول طريق التجارة العالمي من مياه البحر الأحمر والبحر البيض المتوسط إلى طريق رأس الرجاء الصالح بجنوب القارة الإفريقية، ما تبع ذلك التحول التجاري من انهيار اقتصادي واجتماعي في المنطقة ككل خصوصا بعدما تفوق البرتغاليون عسكريا على دولة المماليك ومسلمي الهند في مياه البحار

(*) البرين والبحرين: يقصد بالبرين أجزاء من قارتي آسيا وأوروبا والبحرين هما البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، أطلق هذا المصطلح على فترة التوسع العثماني في عهد السلطان سليم الأول وامتداد نفوذ العثمانيين في قارتي آسيا وإفريقيا.
(*) الجيشين: ويقصد بهم جيش الصفويين والمماليك.
(1) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي(1514م-1914م)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993، ص35، وأنظر أيضا: رجب حراز، المرجع السابق، ص37.

الشرقية والخليجية، ترى ماهي الدوافع التي أدت إلى توسع العثمانيين في بلاد اليمن؟ وما تداعيات ذلك على الأقاليم المطلة على مياه منطقة البحر الأحمر؟.

لقد وجد العثمانيون أنفسهم مضطرين إلى إتباع نفس سياسة المماليك في الدفاع عن المنطقة، التي تقوم أساسا على مواجهة الخطر البرتغالي في مياه البحر الأحمر وبالتحديد عند مدخل هذا البحر وبوابته الأولى التي يمثلها ميناء عدن، فقد جعل العثمانيون من ميناء السويس بمصر قاعدة بحرية خلفية لهم ومنطلقا لعملياتهم العسكرية في البحار الشرقية لكنهم تطلعوا في الوقت ذاته إلى قاعدة بحرية أمامية، تمكنهم من صد البرتغاليين قبل دخولهم إلى مياه البحر الأحمر فكانت هذه القاعدة الإستراتيجية هي بلاد اليمن بصفة عامة وميناء عدن بصفة خاصة[1].

حيث دخلت بلاد اليمن تحت النفوذ العثماني في بداية الأمر سلميا إلا أن النزاع القائم بين المماليك والزيديين على حكم اليمن أدى إلى زعزعة هذا النفوذ العثماني فيها، الأمر الذي دفع بالعثمانيين إلى تجهيز حملة عسكرية أولى بقيادة سليمان باشا الخادم في عام 1538م[2]سميت بالفتح الأول لليمن والتي توجت بدخول مدينة عدن تحت حكم العثمانيين، بعد أن رحب حاكمها عامر بن داود الطاهري بالباشا سليمان الخادم، إلا أن سيطرت العثمانيين فيها قد ظلت شكلية فقط طيلة العشرين سنة القادمة منها بسبب كثرة الفوضى وعدم الاستقرار السياسي الذي مرده التنافس على عرش السلطة والحكم بين القبائل المحلية هناك والمتمثلة في الزيديين والطاهريين، معارضة الولاة اليمنيين لقضية استبدالهم بولاة عثمانيين ومنافسة القبائل الزيدية بزعامة أميرهم شرف الدين الزيدي على عرش السلطة مع بقايا الأسرة الطاهرية [*]الحاكمة من قبل، إلا أن الباشا سليمان الخادم غدر بحاكمها عامر بن داود الطاهري وقتله في يوم 15ماي عام 1517م بمدينة تعز باليمن.

---

(1) عبد الكريم رافق، المرجع السابق، ص71.
(2) إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص45.
(*) الأسرة الطاهرية(1454م-1517م):هي أخر الأسر التي توارثت الحكم في اليمن وقد حاول حكام هذه الأسرة توحيد اليمن تحت حكمهم لكنهم لم يتمكنوا من ذلك لاصطدامهم بالأئمة الزيديين، في المنطقة الشمالية الجبلية باليمن وظلت اليمن مقسمة بعد ذلك بين الطاهريين والزيديين إلى آخر فترة حكم ملكها عامر بن عبد الوهاب، أنظر: النهروالي، المصدر السابق، ص ص11-27.

مما زاد في حدة التوتر السياسي بين اليمنيين والعثمانيين فقامت خلالها العديد من أعمال الشغب والنهب ضد السكان المحليين، غيرها من التجاوزات الخطيرة التي حصلت هناك من طرف الجيش العثماني فأستغل حكام الزيديين هذا الموقف المضطرب ليقوموا بعدها بإعلان تمردهم وثورتهم ضد الوجود العثماني في اليمن، الذي انتهى أخيرا بطرد العثمانيين من اليمن وما شجع كذلك على تنامي كل هذه الفوضى كلها هو تهديد البرتغاليين لسواحل اليمن وميناء عدن خلال هذه الفترة أيضا[1].

حيث تمكن سليمان باشا الخادم خلال حملته الأولى من إخضاع ميناء مخا والصليف ثم مدينة زبيد وباقي السواحل اليمنية من ميناء جيزان شمالا إلى عدن جنوبا تحت حكم العثمانيين، ثم تحصينها في طريق عودته من ميناء جدة إلى ميناء السويس بمصر[2]، أما بقية مناطق اليمن الداخلية فقد ظلت تحت حكم الأئمة الزيديين بقيادة إمامهم شرف الدين، كما قام سليمان باشا الخادم كذلك بانتزاع مدينة عدن أيضا من أيدي الحكام الطاهريين بعد ذلك، نقلت خلالها السلطة في عهده إلى مدينة زبيد والمناطق التهامية بها من المماليك إلى العثمانيين.

لكن سرعان ما عادت الفوضى إلى اليمن الأمر الذي دفع بالدولة العثمانية إلى شن حملة عسكرية ثانية عليها بقيادة سنان باشا(1568م-1569م)، عرفت هذه الحملة باسم الفتح الثاني لليمن إذ غادرت هذه الحملة من ميناء السويس بمصر قاصدة ميناء عدن باليمن، حيث استولى خلالها سنان باشا على مدينة تعز وقلعتها الحصينة وفرض خلالها حصارا بحريا وبريا على مدينة عدن مما أدى إلى سقوطها بعد ذلك في يد العثمانيين، لكن حروب الزيديين العنيفة ضد العثمانيين استمرت طويلا ليضطر خلالها سنان باشا إلى عقد اتفاق سلمي يقضي بالصلح بين الطرفين في يوم03 ديسمبر 1570م، مقابل حكم الزيديين لليمن واعترافهم بالسيادة العثمانية عليها مع إنشائهم

(1) النهروالي، المصدر السابق، ص ص28-35.
(2) النهروالي، المصدر نفسه، ص ص37-39.

لحامية عسكرية عثمانية هناك، ليسلم بعدها سنان باشا شؤون ولاية اليمن للقائد العثماني بهرام باشا في عام 1571م[1].

أما منطقة الخليج العربي [*]فقد دخلت اسميا تحت حكم العثمانيين إذ احتفظ أمرائها ومشايخها باستقلالهم الداخلي، حينها أحست مختلف الشعوب الإسلامية والعربية وكأنها يمكنها أن تحتمي بسلطان بني عثمان من أجل رد الاعتداءات البرتغالية عليها، خلال ذلك بدأت الوفود العربية تصل إلى مقر إقامة السلطان سليم الأول في فترة إقامته بمصر، ثم بعد انتقاله كذلك إلى مدينة اسطنبول إما عارضة عليه تبعيتها تحت حكم الدولة العثمانية، أو طالبة منه الحماية العسكرية على سواحلها في مياه البحر الأحمر والخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط، الأمر الذي سهل بدوره بسط العثمانيين لسيادتهم العسكرية والسياسية على سائر البلاد العربية مشرقا ومغربا[2].

-التوسع العثماني في بلاد العراق وأبعاده الإستراتيجية عام1534م:

كان من الطبيعي على العثمانيين بعد أن بسطوا سيطرتهم السياسية والعسكرية على بلاد الشام ومصر أن يقوموا بمد نفوذهم السياسي والعسكري إلى بلاد العراق، إذن ترى ماهي أسباب هذا التوسع العثماني نحو العراق سياسيا وعسكريا واقتصاديا؟ وما هي أبعاده الإستراتيجية كذلك؟.

---

(1) النهروالي، المصدر السابق، ص ص 137-150، وللمزيد من الإيضاح كذلك أنظر: سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص37.

(*) الخليج العربي: تستخدم هذه التسمية بناء على أن الدول العربية المطلة على سواحل الخليج هي الأكثر مساحة، ابتدءا من جنوب العراق في رأس الخليج إلى سلطنة عمان بعد رأس ماسندم جنوبا ولقب سابقا بالخليج الفارسي عند الإيرانيين نسبة إلى التسمية التي أطلقها اسكندر المقدوني، أثناء حروبه ضد الإمبراطورية الفارسية عام 325 ق.م، أنظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، م3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص ص68-71، وأنظر أيضا: حسين المسري، تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي، دن، بيروت، 1982، ص46.

(2) لقد وصلت إلى مدينة اسطنبول وفود من مكة والهند والعراق والحبشة والأندلس والجزائر وطرابلس الغرب وغيرها من الدول العربية، التي طلبت الحماية أو التبعية من العثمانيين، عن هذه الوفود أنظر: ابن إياس، المصدر السابق، ج5، ص189، وأنظر كذلك: نيقولا ايفانوف، المرجع السابق، ص ص161-163.

لقد قام العثمانيون بمد نفوذهم إلى بلاد العراق من أجل وقف تقدم الصفويين إلى منطقة المشرق العربي من جهته الغربية، فقد خضعت مناطق من العراق الشمالي تحت حكم العثمانيين ككردستان وديار بكر والموصل وماردين وذلك بعد هزيمة الصفويين ضد العثمانيين في معركة جال ديران عام 1514م، أما مناطق العراق الجنوبي فقد ظلت تحت سيطرة الصفويين إلى غاية فترة حكم السلطان سليمان القانوني الذي قاد حملة عسكرية بنفسه قضى من خلالها على أمراء الحدود المؤيدين للدولة الصفوية، فلم ينظر السلطان سليمان القانوني بعين الارتياح لمختلف الوفود البرتغالية والاسبانية التي زارت قصر حاكم إيران الجديد الشاه طهماسب(1525م–1576م)، ابن الشاه إسماعيل الصفوي وعرضت عليه تقديم يد المساعدة له ضد العثمانيين عسكريا[1].

انطلاقا من كل هذه الأسباب والدوافع السياسية والإستراتيجية والاقتصادية كذلك قرر السلطان سليمان القانوني التوسع نحو بلاد العراق، فأرسل حملة برية بقيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا حيث انطلقت هذه الحملة من مدينة اسطنبول في يوم 21أكتوبر عام 1533م، قضت خلالها فصل الشتاء كاملا في مدينة حلب لتتجه بعدها إلى منطقة ديار بكر التي ضمها الجيش العثماني من قبل، ليحتل بعدها العثمانيون مدينة تبريز في يوم 13جويلية عام 1534م وعندها التحق السلطان سليمان القانوني بهذه الحملة قادما من اسطنبول، إذ دخل السلطان مدينة بغداد بتاريخ 31ديسمبر عام1534م[2] حيث لقي السلطان العثماني هنالك ترحيبا كبيرا من طرف شيوخ القبائل والعشائر العربية مثل شيخ المنتفق وحاكم مدينة البصرة "راشد بن مغامس"، الذي سارع بدوره إلى تقديم مفتاح المدينة إلى السلطان العثماني كرمز من رموز الولاء والخضوع والطاعة له.

بذلك ضمت مدينة البصرة إلى ايالات الدولة العثمانية ليقضي بعدها السلطان العثماني أربعة أشهر كاملة بمدينة بغداد، نظم خلالها أمور الإدارة والحكم ومما يجدر بنا الإشارة إليه هو أن النزاع الصفوي والعثماني على مناطق العراق لم ينته، بل ظل مستمرا لعقود طويلة من الزمن

(1) عباس الغزاوي، تاريخ العراق بين الاحتلالين(العهد العثماني الأول)، ج 4، مطبعة شركة التجارة للطباعة المحدودة، بغداد، 1949، ص ص25-46.
(2) الغالي غربي، المرجع السابق، ص66، وأنظر كذلك: إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص56.

فقد عادت بلاد العراق إلى السقوط مجددا تحت أقدام قوات الفرس لأكثر من مرة، كما أن سيطرة العثمانيين على مناطق جنوب العراق وبالتحديد ولاية البصرة تعني إطلالهم مباشرة على مياه الخليج العربي، هذا ما يلقي عليهم مسؤولية الدفاع عن المنطقة ومواجهة البحرية البرتغالية المنتشرة هناك ليصبح الصدام العسكري بين العثمانيين والبرتغاليين مسألة وقت لا غير [1].

مما تجدر بنا الإشارة إليه أن ضعف العالم الإسلامي كان من الداخل ليستغله البرتغاليون من الخارج، فلولا هذا الصراع والتناحر العسكري والسياسي على زعامة العالم الإسلامي بين القوى السياسية الكبرى وبين شيوخ القبائل والعشائر كذلك، لما تمكن البرتغاليون من التغلغل بهذه السرعة في البحار الشرقية والخليجية من خلال تأسيسهم لقواعد وقلاع حربية ولمراكز تجارية على طول الشريط الساحلي الممتد من ميناء لشبونة بالبرتغال إلى سواحل شرق إفريقيا، ثم إلى غاية ميناء جوا بالهند خصوصا خلال هذه المرحلة المضطربة سياسيا وعسكريا في العالم الإسلامي.

ترى إلى أي مدى سوف تتأثر تجارة المسلمين والبنادقة معا من جراء هذا التحول التجاري الذي أصاب طريق التجارة القديم بالبحر الأحمر والخليج العربي؟ وما أثر ذلك التحول التجاري على الوضع العام للمسلمين اجتماعيا واقتصاديا؟ وما هي انعكاساته وتداعياته على دولة المماليك وجمهورية البندقية أيضا؟.

---

(1) عبد الكريم غرايبية، المرجع السابق، ص29.

"الفصل الثالث"

خريطة الطرق البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية.

-أولا: الأهمية الإستراتيجية للطرق البحرية والموانئ التجارية في البحار الشرقية والخليجية:

أ-طريق الخليج العربي.

ب-طريق البحر الأحمر.

ج-ميناء عدن.

-ثانيا: تحول محور التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح وأثر ذلك على دولة المماليك وجمهورية البندقية:

أ-الانعكاسات التجارية والاقتصادية.

ب-الانعكاسات والمخلفات الاجتماعية.

-ثالثا: البحرية البرتغالية ومهمة السيطرة على طريق الخليج العربي والبحر الأحمر:

أ-غزو ألبوكيرك لجزيرة هرمز ومسقط وساحل عمان(1507م-1515م).

ب-التفكك السياسي بين هرمز والبحرين ودوره في غزو البرتغال للبحرين 1520.

ج-الغزو البرتغالي للقطيف في ساحل الخليج العربي(1521م-1537م).

د-محاولة البحرية البرتغالية السيطرة على طريق البحر الأحمر(1513م-1538م).

أولا/الأهمية الإستراتيجية للطرق البحرية والموانئ التجارية في البحار الشرقية والخليجية:

باعتبار أن معابر وشبكات طرق التجارة البحرية والبرية منها هي التي سهلت بدورها عملية نقل السلع والبضائع الآسيوية برا وبحرا بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، كانت بمثابة همزة الوصل التي تجمعهما على مر العصور والأزمنة التاريخية، انطلاقا من الفترة التي سبقت اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح(Cap De La Bonne Esperance) وصولا إلى فترة اكتشافه عام 1498م، ما تبع هذا الاكتشاف البحري من تحولات تجارية واقتصادية وسياسية على هذه المعابر البرية والبحرية.

لتصبح تجارة الشرق الإسلامي تصب مباشرة في الأسواق البرتغالية ثم الأوروبية منها فبقدر ما كانت هذه الطرق التجارية نعمة ومصدرا لثراء بلاد الشرق الإسلامي، بقدر ما كانت نقمة عليه ومصدر خراب له من خلال الحملات البرتغالية المتكررة على هذه المعابر البحرية، التي دمر من خلالها البرتغاليون اقتصاد العالم الإسلامي وسلبوا منه مصادر قوته وثرائه محاولين بعد ذلك إضعافه عسكريا وسياسيا، ترى ماهي هذه الطرق والمعابر البرية والبحرية؟ وما أهميتها في التجارة العالمية؟ وكيف تمكن البرتغاليون من السيطرة عليها مع مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي؟.

أ- طريق الخليج العربي : أولا الطريق البري: ويبدأ من الخليج العربي وينتهي بموانئ بلاد الشام حيث تأتي السلع الأسيوية إلى هذا الطريق بحرا في مياه الخليج العربي، لتصل بعدها إلى مدينة البصرة بالعراق حيث تحملها القوافل التجارية إلى بغداد برا بعد ذلك، أو تبحر بها في نهري دجلة والفرات لتتجه بعدها إلى مدينة حلب ثم إلى موانئ بلاد الشام، هنالك تكون سفن تجار البندقية وجنوة في انتظارها من أجل تحميل ونقل هذه السلع إلى أسواق أوروبا فيما بعد [1]

(1) لقد أسست جمهورية البندقية ستة أساطيل بحرية في القرن الخامس عشر الميلادي، لنقل البضائع والسلع من السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا ككل حيث جنت من خلالها أرباحا كبيرة وكانت المنافسة شديدة بينها وبين جمهورية جنوة في هذا المجال التجاري، مما أدى إلى وقوع حرب بين الطرفين=

فمن هنا صار تجار البندقية وجنوة تجار توزيع يخضعون إلى وساطة تجار المماليك بمصر وبلاد الشام، يدفعون مقابل ذلك ما لزم عليهم من رسوم جمركية تفرضها عليهم حكومة دولة المماليك بمصر، التي كانت تصل في أغلب الأحيان إلى ثلاثة أضعاف الثمن الأصلي و الحقيقي لتلك السلع الأسيوية[1].

إذ أطلق اسم "الطريق الأوسط" على هذا الطريق البري لكونه الأكثر أمنا في وصول السلع والبضائع الأسيوية إلى أسواق أوروبا، بسبب الموقع الجغرافي الممتاز له والمقابل في نفس الوقت لمسار السفن القادمة من الصين والهند، إلى موانئ الخليج العربي في البصرة ثم إلى بغداد ليتفرع بعدها شمالا إلى حلب وديار بكر ومنها إلى مدينة اسطنبول [2]، منها إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط شرقا كصور وصيدا وبيروت وغربا نحو دمشق لتسير السلع الأسيوية بمحاذاة الشريط الساحلي إلى غزة وتتجه بعدها إلى موانئ مصر في دمياط والإسكندرية، لكن الطريق البري الأخر والذي يمر في قلب القارة الآسيوية ومنها إلى أراضي الخليج العربي، قد عرف انقطاعا تدريجيا في حركة القوافل التجارية بسبب كثرة الاعتداءات المتواصلة فيه من طرف قبائل التاتار الماغول على قوافل التجارة المحملة بالسلع الشرقية فانتشر فيه السطو والنهب خصوصا خلال فترة العصور الوسطى[*].

انتهت في الأخير بهزيمة جمهورية جنوة، أنظر: فاروق عثمان أباظة، آثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر الأبيض المتوسط أثناء القرن السادس عشر الميلادي، دار المعارف، الإسكندرية، 1984، ص ص27-29.

(1) رينيه كلوزيه، تطور الفكر الجغرافي، ترجمة عبد الرحمان حميدة، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1982، ص51.

(2) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص118.

(*) فترة العصور الوسطى: هي مرحلة التخلف الفكري والعلمي والعقائدي التي عرفتها القارة الأوروبية بعد سقوط القسطنطينية في عام 1453م إلى غاية فترة عصر النهضة، تميزت بسيطرة رجال الكنيسة والدين على جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية، انتشرت فيها المفاسد الأخلاقية للكنيسة على الرعية كالرشوة وصكوك الغفران والنظام الإقطاعي الاقتصادي كذلك، أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، دار الأحدب البحيري للنشر والتوزيع، بيروت، 1977، ص ص(246،247).

ثانيا الطريق البحري: وتتبع أهمية هذا الطريق من العامل الجغرافي الذي يعتبر من بين العوامل الهامة في ازدهار أنشطة التجارة والملاحة في حوض الخليج العربي، الذي يمتد على شكل ذراع بحري في جنوب غرب قارة آسيا مشكلا بذلك أحد أذرع المحيط الهندي، كما وصفه لنا الجغرافي والمؤرخ ياقوت الحموي بقوله:<<... **هو شعبة من بحر الهند الأعظم** ...>>[1]، يقدر طول الخليج العربي بحوالي تسعمائة وتسعين كيلومتر(990 كلم)أما مساحته فتقدر بحوالي أربع وعشرين ألف كيلومتر مربع، يتميز بكثرة خلجانه وتعرجاته التي ساعدت بدورها على القيام بمختلف الأنشطة الملاحة فيه، مع توفره كذلك على موانئ بحرية بعيدة عن التيارات الخطيرة والعواصف البحرية[2]كما يمثل الخليج العربي مركزا جغرافيا وسطا بين دفتي العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه [3]، بينما يشكل البحر الأحمر الذراع الثاني الموازي له من الناحية الجغرافية والإستراتيجية كذلك فالاثنان يشكلان معا نقطة التواصل بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط.

أما فيما يخص الاتصال التجاري بين القوافل البحرية القادمة من بحار الشرق عند رأس الخليج العربي حيث نهري دجلة والفرات، إذ يعتبر هذان النهران بمثابة امتداد طبيعي للخليج العربي مما يجعله طريقا مباشرا إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط، لعدم وجود عوائق وحواجز تضاريسية فيه من جبال أو صحاري فقد تحكمت بلاد العراق في نقل تجارة منطقة الخليج العربي منذ صدر الخلافة العباسية أين باتت البصرة ومينائها التجاري منتها لمطاف السفن القادمة من الصين وبلاد الهند [4]، ثم إلى بغداد حتى تصل إلى موانئ الشام بصور وصيدا لتتقلها سفن

(1) ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص68.
(2) مصطفى النجار وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جامعة البصرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1984، ص07.
(3) محمد متولي، حوض الخليج العربي، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1974، ص06.
(4) جورج فاضلوا حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1958،ص ص(53،54).

جمهورية البندقية وجنوة بعد ذلك إلى أسواق أوروبا ككل، فكانت التوابل الإندونيسية والفلفل[*]الميلباري من أهم المنتجات المجلوبة إلى هذه الموانئ الخليجية.

كما تفوقت واقتصرت تجارة حوض الخليج العربي على تجارة البحر الأحمر من حيث السلع المنقولة في فترات زمنية مختلفة، لتصل في بعض الحيان إلى ثلاثة أضعاف السلع المنقولة في حوض الخليج العربي، رغم قصر المسافة التي تربط مياه البحر الأحمر بميناء السويس والإسكندرية بمصر، مقارنة بالمسافة الموجودة بين ميناء البصرة وموانئ الشام ورغم شدة الحرارة في فصل الصيف واعتداءات القبائل البدوية وقطاع الطرق على القوافل البرية هناك، إلا أن التكامل الجغرافي بين الممر المائي للخليج العربي ومنطقة الهلال الخصيب قد ساعده على خلق جسر تجاري بين مراكز الملاحة والتجارة في هذا الخط الممتد على طول سواحل منطقة الخليج العربي[1].

بربط قارات العالم الثلاثة من آسيا إلى إفريقيا وأوروبا مع بعضها البعض من خلال هذه الوحدة التجارية والحضارية المتبادلة بين أقطابها، إضافة إلى تعدد الموانئ الصالحة في حوض الخليج العربي لرسو السفن التجارية القادمة إليه، لينافس في ذلك منطقة حوض بحر الأبيض المتوسط خصوصا خلال العصر العباسي بعدما توفر الأمن في ربوعه وأطرافه بفضل الجهود المبذولة من طرف حكام الخلافة العباسية هناك [2]، إلا غاية قدوم الغزاة البرتغاليين إليه مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد[3].

ب- طريق البحر الأحمر : أولا الطريق البري: يبدأ هذا الطريق من مركز تجميع السلع الشرقية في ميناء عدن باليمن جنوبا، إلى غاية نقلها إلى ميناء السويس أو عيذاب والقصير

(*) يعتبر الفلفل الميلباري الذي يزرع في الساحل الغربي للهند من بين أهم المنتجات الشرقية الأكثر رواجا في أسواق أوروبا، إضافة إلى جوز الطيب والقرنفل والزنجبيل والقرفة إلى جانب العطور والبخور وماء الورد والتي احتلت كلها الصدارة في الطلب من جزر الملوك بالهند، أنظر: شارل ديل، المرجع السابق، ص146.

(1) عبد العزيز محمد عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ج 1، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992، ص07.

(2) جمال زكرياء قاسم، المرجع السابق، ص ص(45،46).

(3) جورج فاضلوا حوراني، المرجع السابق، ص195.

بمصر مرورا بالساحل الغربي للبحر الأحمر ثم يتم تحميلها بعد ذلك على ظهور القوافل البرية إلى مدينة القاهرة ومنها إلى ميناء الإسكندرية ودمياط شمالا، من هنا تنقلها سفن تجار جمهورية البندقية وجنوة إلى أسواق أوروبا لتقسم بعدها على تجار التجزئة هناك[1]، إذ استغل حكام المماليك في فترة حكمهم(1250م-1517م) هذا الطريق التجاري ليحققوا من ورائه أرباحا طائلة، بسب كثرة الضرائب التي فرضوها على التجار الأوروبيين، بحيث كانت مدينة القاهرة لوحدها فقط مستودعا للسلع الشرقية وعاصمة للتجارة العالمية خلال فترة حكمهم، لاسيما بعد أن فقد طريق التجارة عبر آسيا الصغرى والصين حيويته بسبب كثرة اعتداءات قبائل الماغول فيه[2].

كما حرص سلاطين دولة المماليك على اتخاذ كافة الاحتياطات العسكرية في مياه البحر الأحمر من خلال منع أي مركب غير إسلامي من الإبحار في هذا الطريق البحري، مع فرضهم للعقوبات الشديدة على من يتجاوز شراء تراخيص العبور فيه، حيث بدأ تطبيق هذا القانون البحري بالبحر الحمر منذ أيام حملة صلاح الدين الأيوبي على مدينة "أرناط" في عام 1181م، بهدف الحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة بالحجاز لكون طريق البحر الأحمر يؤدي مباشرة إلى مدينة مكة المكرمة[3]كما منح المماليك كذلك عدة تسهيلات جمركية وامتيازات تجارية مختلفة للتجار المسلمين مقارنة بالتجار الأوروبيين في موانئ الإسكندرية ودمياط بمصر[4].

فغالبا ما كانت الخلافات السياسية والنزاعات الحدودية بين القوى السياسية الكبرى والمتخاصمة على زعامة المشرق العربي، سببا في غلق هذه الطرق التجارية الرئيسية المارة بالأراضي العربية ثم في مياه البحر الأحمر مما كان سببا في نقص أو انقطاع تمويل السلع الشرقية نحو أسواق دول أوروبا، هذا ما يدفع بالتجار المسلمين إلى عبور الطريق البري القادم من

---

(1) نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص124.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، المرجع السابق، ص 284، ولمزيد من الإيضاح كذلك أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر في عهد دولة سلاطين المماليك البحرية، دن، القاهرة، 1962، ص208.

(3) شوقي الجمل، المرجع السابق، ص60.

(4) أنطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، دار الحداثة، بيروت، 1982، ص185.

جبال الميلبار بالهند الداخلية والذي يتفرع إلى اتجاهين أحدهما نحو بحر قزوين وبلاد البلغار والثاني إلى مياه البحر الأسود، ليبلغ طرابزون ثم القسطنطينية حيث كان لظهور الدولة العثمانية وتوسعاتها في مناطق عديد من العالم الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر للميلاد، سببا مباشرا كذلك في انقطاع هذا الطريق البري خلال تلك المرحلة التوسعية لها[1].

ثانيا الطريق البحري: يعتبر البحر الأحمر شريان الحياة الاقتصادية ونقطة اتصال تجارية جد هامة منذ القدم والى غاية اليوم، خصوصا بين الدول والمدن الساحلية المطلة علية حيث لعب التبادل التجاري والحضاري والثقافي والديني خلالها حلقة الوصل فيه بين مختلف الأقطار العربية مشرقا ومغربا، كما اعتبرت منطقة البحر الأحمر كذلك من بين عوامل التطور والازدهار بالنسبة للدول والممالك التي تأسست بجانبها، نظرا للأهمية التي اكتسبها هذا البحر مع مرور الوقت حيث بدأت الأطماع تحوم حوله بغية السيطرة عليه من بوابته الأمامية والخلفية من قبل العديد من القوى المسيحية، لكن حرص حكام دولة المماليك على حماية التجارة الإسلامية فيه مكنته من عدم السقوط في أيدي الأعداء[2].

وسمي البحر الأحمر كذلك بالعديد من الأسماء منها البحر الفرعوني والحبشي وبحر القلزم لكن اليونانيين هم من أطلقوا عليه تسمية البحر الأحمر [3]، هي التسمية التي ظلت ملتصقة به إلى غاية اليوم ويبلغ طوله انطلاقا من شماله وصولا إلى جنوبه بمضيق بباب المندب ألف ومائتي ميل [*]، أكبر اتساع لعرضه يقدر بحوالي مائتين وخمسون ميلا إذ تعتبر جزيرة بريم[*]الواقعة عند مدخله الجنوبي فاصلا طبيعيا له يقسم باب المندب إلى ممرين مائيين [1]كما

(1) نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص154.
(2) سيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ط 1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1933، ص81.
(3) ياقوت الحموي، المصدر السابق، م7، ص145.
(*) الميل: وحدة لقياس المسافات ويقدر طول الميل الواحد بالكيلومتر واحد ونصف الكيلومتر.
(*) جزيرة بريم: هي عبارة عن جزيرة صخرية تبعد عن ميناء عدن بحوالي 100متر، وعن جزيرة كمران بحوالي 200متر، أنظر: حمزة لقمان، تاريخ الجزر اليمنية، مطبعة يوسف وفيليب الجميل، بيروت، 1972، ص11.

تعتبر مياهه من أكثر المياه ملوحة في العالم بل ومن أشدها كذلك، يتميز البحر الأحمر عن غيره من بحار العالم بكثرة شعابه الساحلية وحواجزه المرجانية، مما كان سببا في عرقلته لحركة السفن التجارية المارة به لصعوبة الملاحة فيه خصوصا لمن لا يعرف صعوباته الطبيعية وحركة رياحه ومسالكه وأماكن انتشار شعابه المرجانية(2).

بهذا اكتسبت الموانئ التجارية المطلة على ساحل البحر الأحمر إستراتيجية اقتصادية كبيرة كميناء عدن باليمن وميناء جدة وعيذاب (*)والقلزم وميناء السويس بمصر، بسبب حركة التجارة المزدهرة فيه مع موانئ بلاد الهند والشرق الأسيوي وسواحل شرق إفريقيا كذلك، الذي ساعدتها في ذلك هو حركة الرياح الموسمية في مياه المحيط الهندي والبحر الأحمر، فتنوعت بذلك السلع القادمة إلى البحر الأحمر من بخور ولؤلؤ من البحرين وحرير من الصين وتوابل من الهند وريش النعام والعاج والذهب والفضة من بلاد الحبشة(3).

ج-ميناء عدن: يعتبر ميناء عدن من بين أهم الموانئ التجارية في بلاد اليمن والبحار الشرقية كذلك، نظرا للحركة التجارية النشطة والكبيرة فيه والتي تميزت بها مدينة عدن وميناءها التجاري عبر مختلف العصور التاريخية المتعاقبة عليها، استنادا على ما نقله لنا العديد من الرحالة العرب والمؤرخين المعاصرون له سابقا من أمثال العالم الجغرافي والمؤرخ الإدريسي الذي يصف لنا حركة التجارة المزدهرة في مدينة عدن وأهمية مينائها في قوله:<<... **هي مرسى البحرين الأحمر والهندي ومنها تسافر مراكب الهند والصين ومنها يجلب متاع الصين مثل**

---

(1) فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر (1839م-1918)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص18.
(2) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص146.
(*) مدينة عيذاب: تقع على ساحل البحر الأحمر في شرق إفريقيا ويعتبر مينائها التجاري محطة توقف هامة ومنطلقا لسفن الهند واليمن والقوافل الذاهبة إلى الحجاز كذلك، زارها ابن جبير في رحلته عام 1182م وأهم شيء لفت انتباهه فيها هو كثرة الفلفل الهندي واللؤلؤ الموجود في شواطئها، أنظر: محمد بن أحمد ابن جبير أبو الحسن، رحلة ابن جبير، دار بيروت للنشر والتوزيع، بيروت، 1959، ص ص43-49.
(3) فاروق عثمان أباظة، المرجع نفسه، ص22.

الحديد والفرند والمسك والعود والفلفل والنارجيل والدار الصيني والأبنوس والكافور والقرنفل والثياب المخملية وأنياب الفيل والرصاص والخيزران...>>[1].

كما وصف لنا أبو الفداء عماد الدين كذلك أهمية موقع مدينة عدن بالنسبة للبحر الأحمر بقوله بأنها:<<...**بلدة حط وإقلاع لمراكب الهند وهي بلدة تجارة تبعد عن صنعاء بثمان وستين فرسخا وهي في ذيل جبل كالسور عليها، وتمامه سور إلى البحر و بها باب البر وباب البحر...**>>[2]، كذلك زارها الرحالة ابن بطوطة مع مطلع القرن الرابع عشر للميلاد ووصف لنا حالة تجارها وثرائهم فيقول فيها:<<... **هي مدينة كبيرة ومرسى بلاد اليمن، و بها تجار الهند ومصر أيضا وتجارها في ثراء واضح...**>>[3].

حيث تقع مدينة عدن في الجنوب الشرقي من مضيق باب المندب وهي عبارة عن شبه جزيرة صخرية تتصل بالبر عن طريق أرض رملية مستطيلة الشكل، تطل مباشرة على نقطة تقاطع تجارية عالمية بين الشرق والغرب، بالإضافة إلى ذلك فهي محاطة بسلسلة جبلية عالية تجعل من مينائها مركزا محصنا طبيعيا من جميع الجهات الأربعة حيث تشبه هذه الجبال التي تحمي مدينة عدن في شكلها أسنان سمك القرش [4]، كما تبلغ مساحة مدينة عدن بحوالي مائتين وسبعة كيلومتر مربع.

إضافة إلى ذلك فان مدينة عدن مدينة تجارية بالدرجة الأولى حيث استوطنها العديد من التجار من جنسيات مختلفة، كالهنود والأحباش والمماليك والمغاربة والفرس... وغيرهم ممن سمحت لهم الظروف بممارسة أنشطة تجارية وصناعية مختلفة هناك، مما ساهم في خلق تنوع وتبادل للثقافات والخبرات في داخل المدينة وخارجها، فقد وضع حكام مدينة عدن العديد من

---

(1) الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، م 1، دار عالم الكتب، بيروت، 1989، ص54.

(2) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840، ص93.

(3) ابن بطوطة محمد ابن إبراهيم اللواتي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991، ص118.

(4) فاروق عثمان أباظة، المرجع السابق، ص25.

القوانين التجارية لضبط مختلف الضرائب المفروضة في مختلف المعاملات التجارية على التجار بميناء عدن، بحيث كان وزن بهار [*]الفلفل القادم من بلاد الهند إلى ميناء عدن يؤخذ عليه رسوم بهار الفلفل الواحد لكل بهار والمقدر بأحد عشر دينار ذهبي.

فلو تمكنا من معرفة مقدار ما كانت تدره تجارة عدن من أرباح سنوية، سندرك فعلا مدى أهمية التحكم والسيطرة على هذه المدينة وعلى مينائها التجاري كذلك، الذي شن عليه ألفونسو دي ألبوكيرك حملته في عام 1513م، من أجل احتلاله طمعا في غلق مدخل البحر الأحمر في وجه التجارة الإسلامية وتحويلها فيما بعد عبر طريق رأس الرجاء الصالح بجنوب القارة الإفريقية لكنه لم يفلح في تحقيق مسعاه، بحيث يشير لنا المؤرخ قطب الدين النهروالي إلى خطورة وقوع مدينة عدن ومينائها التجاري الذي يعد بوابة البحر الأحمر في أيدي الغزاة البرتغاليين بقوله:<<... **إنها إذا ما وقعت في أيدي الفرنج[*]يصعب استردادها منهم لمعرفتهم برمي المدافع والمكاحل، وحفظ الثغور والقلاع بخلاف العرب وأن الفرنج الملاعين إذا تمكنوا من هذا الثغر الحصين [*]، أضروا بالمسلمين ومنعوا سفن الهند من الوصول إلى بنادر الحرمين الشريفين، لأن عدن ثغر في غاية الامتناع والتحصين...**>>[1].

ثانيا/تحول محور التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح وأثر ذلك على دولة المماليك وجمهورية البندقية:

لكون طرق التجارة العالمية ذات أهمية إستراتيجية واقتصادية على دولة المماليك وجمهورية البندقية معا، ترى ما آثر خطورة هذا التحول التجاري العالمي على اقتصاد دولة المماليك

(*) وزن البهار: هو من بين الأوزان التجارية التي كانت موجودة في عدن والخليج العربي خلال هذه الفترة، وهي تستخدم في أوزان التوابل ومختلف البهارات الشرقية، وتصل قيمته إلى حوالي 200 أو300رطل، أنظر: محمد كريم إبراهيم، عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية، جامعة البصرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1985، ص349.
(*) الفرنج: يقصد بهم البرتغاليين.
(*) الثغر الحصين: يقصد به ميناء عدن.
(1) النهروالي، المصدر السابق، ص232.

وجمهورية البندقية من الجانبين الاقتصادي والاجتماعي؟ بعد تحويل البرتغاليين لتجارة المسلمين إلى طريقهم الجديد اتجاه رأس الرجاء الصالح منذ عام 1498م؟.

أ-الانعكاسات التجارية والاقتصادية: لقد أدى تحول التجارة العالمية من طريقها التقليدي والقديم بالخليج العربي والبحر الأحمر، مرورا بذلك عبر الطرق البرية لدولة المماليك ببلاد الشام ومصر عبر طريق رأس الرجاء الصالح بجنوب القارة الإفريقية، إلى انخفاض أسعار السلع الشرقية في الأسواق الأوروبية حتى وصل بعضها إلى نصف الثمن الذي كان يباع به من قبل، مقارنة بالأسعار التي كانت تباع بها عبر وسطائها من تجار المماليك والبنادقة عبر طريقها التقليدي والقديم، فمثلا كان سعر القنطار الواحد من الفلفل في ميناء كاليكوتا يباع بين اثنين أو ثلاث بندقيات (*)، كما كان يباع بعد وصوله إلى ميناء الإسكندرية بمصر بثمانين بندقية إلى تجار كل من جمهورية البندقية وجنوة، لكن بعد هذا تحول محور التجارة العالمي إلى طريق رأس الرجاء الصالح صار سعر القنطار الواحد للفلفل، يباع في أسواق أوروبا بثلاثين إلى أربعين بندقية فقط ناهيك عن توفره في جميع أسواق مدينة لشبونة بالبرتغال.

بذلك وفر تجار البرتغال مشقة السفر والتعب عن تجار أوروبا ككل بل إنهم أغنوهم عن الانتظار الطويل في موانئ مدينة الإسكندرية ودمياط وصور وصيدا لأشهر كاملة، حتى في ميناء مدينة كاليكوتا بالهند مما نتج عنه كساد للسلع الشرقية في موانئ الدولة المملوكية، حدوث ضرر كبير بحركة التجارة الشرقية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي معا، البحر البيض المتوسط

(*) بندقيات: جمع لكلمة بندقية والمقصود بها في هذا السياق الكلامي ليس مدينة البندقية بل عملة المدينة نفسها، حيث كانت تتعامل بها أغلب دول الشرق الأسيوي مع دول أوروبا لكثرة رواجها وتعامل تجار البنادقة بها وهي عملة نقدية مصنوعة من معدن الفضة، أنظر: فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1970، ص30، ولمزيد من الإيضاح أنظر أيضا: شارل ديل، المرجع السابق، ص164.

خلال القرن السادس عشر للميلاد [1]، كما أفلس النظام المالي لدولة المماليك وجمهورية البندقية معا مع ما تبعه من تأثيرات سلبية على الصعيد الاقتصادي كذلك.

فقد كان تحول التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح عاملا هاما في إنهاك كامل القدرات الاقتصادية لتجارة المسلمين والبنادقة معا، بحرمانهم من مختلف العوائد الجمركية والأرباح المالية التي كان يدرها هذا الاحتكار التجاري المفروض من طرفهم على التجارة الأسيوية لعقود طويلة من الزمن، لذلك حاول السلطان الغوري تدارك هذا الوضع المزري اقتصاديا من خلال إعادة الاعتبار إلى تجارة المنطقة والعمل على استرجاع حركة التجارة الإسلامية من خلال الجهود العسكرية التي قام بها هذا الأخير خلال فترة حكمه لكنه فشل في تحقيق هدفه، حيث أبلغنا ابن إياس عن مدى تضرر التجارة الإسلامية لدولة المماليك خلال فترة حكم الغوري من خلال ما قام به الغزاة البرتغاليون من عمليات سلب ونهب لبضائع التجار المسلمين في مياه البحر الأحمر فيذكر:<<...**بأن الإفرنج قد زاد تشويشهم على التجارة في البحر الملح** [*]، **وصاروا يخطفون البضائع من المراكب وقد ملكوا كمران** [*]**وهي من جهات الهند، وقد تكامل من مراكب الفرنج بالبحر نحو عشرين مركبا...**>>[2].

بهذا وصل الانهيار الاقتصادي والتجاري الذي أصاب موانئ الدولة المملوكية ببلاد الشام ومصر إلى درجة خطيرة، حيث تعطل فيها حكم الدواوين الخاصة بالدولة وقلت أعداد السفن في موانئها والتي كانت لا تجد مكانا لها من قبل في هذه الموانئ المملوكية، حتى أنها أصبحت خالية اليوم بسب هذا التحول التجاري الذي أصاب حتى ميناء مدينة جدة كذلك، قد أشار لنا ابن إياس في حوادث عام 920 هجري والموافق لعام 1514م حالة هذا الانهيار الاقتصادي في موانئ

(1) إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960، ص293.
(*) البحر الملح: يقصد به البحر الأحمر وهذا لكثرة ملوحة مياهه.
(*) كمران: هي مجموعة من الجزر تقع على بعد مائتي ميل من شمال مضيق باب المندب، وتقابل مدينة الزيدية في الساحل الشرقي لليمن، وهي بمثابة حصن طبيعي لتحكم في مدينة تهامة وتعتبر محطة بحرية جد هامة للسفن القادمة من ميناء عدن إلى مدينة جدة، أنظر: حمزة علي لقمان، المرجع السابق، ص09.
(2) ابن إياس، المصدر السابق، ج4، ص359.

مدينة الإسكندرية ودمياط وجدة فيقول:<<... **وكان في تلك الأيام ديوان المفرد وديوان الدولة وديوان الخاص في غاية الانشحات والتعطيل، فان بندر الإسكندرية خراب ولم تدخل إليه القطائع[*] في السنة الخالية، وبندر جدة خراب بسبب تعبث الفرنج على التجار في بحر الهند، فلم تدخل المراكب بالبضائع إلى بندر جدة نحو ست سنين وكذلك من جهة دمياط...>>[1].**

حيث كان لتدهور العلاقات الاقتصادية بين تجارة المماليك مع منطقة الشرق الآسيوي انعكاسات سلبية لتجارة جمهورية البندقية كذلك، التي كانت بمثابة حلقة الوصل التجاري بين تجارة الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، حيث سعت جمهورية البندقية خلال ذلك إلى إرسال سفرائها في بلاد الهند من أجل محاولتهم لإقناع حكامها بضرورة قطع كامل علاقاتهم التجارية التي تجمعهم مع التجار البرتغاليين لكنهم فشلوا في تحقيق مسعاهم، لذلك حاولت جمهورية البندقية بعد ذلك منافسة التجار البرتغاليين من خلال طلبها من السلطان الغوري تخفيض أسعار السلع والتوابل الشرقية، التي كانت تباع لها بأثمان باهظة جدا فأرسلت قنصلها Brando Sanuto (براندو سانوتو) ليقنع الغوري بذلك والذي لم يمانع بدوره من أجل الحفاظ على العلاقة التجارية والمصلحة المشتركة التي تجمع الطرفين معا[2].

كما أرسلت جمهورية البندقية كذلك سفيرها للمرة الثانية إلى السلطان الغوري في عام 1504م، تدعوه في هذه المرة إلى إغراق جميع الأسواق المملوكية بمختلف التوابل والبهارات الآسيوية من أجل منافسة التجار البرتغاليين في تجارتهم، تحثه كذلك على استخدامه لكامل قواه السياسية والعسكرية التي يمتلكها ضد التجار البرتغاليين أنفسهم في مياه البحر الأحمر، لكن رغم كل هذه التهديدات التي قام بها الغوري ضد البرتغاليين بعد طلب من جمهورية البندقية لذلك كالرسالة التي أرسلها مع الراهب الاسباني Mauro (مورو)، إلى البابا يوليوس الثاني بروما[3] التي

(*) القطائع: المقصود بها هنا هي السفن التجارية المحملة بالسلع الشرقية.
(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص359.
(2) نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص378.
(3) سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته، عالم الكتب، القاهرة، 1987، ص ص526-528.

يهدده فيها بغلق الأماكن المقدسة والكنائس المسيحية ببلاد الشام وببيت المقدس بفلسطين أمام الرعايا المسيحيين المتواجدين هناك، الحجاج القادمين من أنحاء مختلفة من أوروبا ان لم يأمر البابا بإيقاف هذا الغزو البرتغالي على تجارة المماليك في البحر الأحمر وخليج عدن، لكن كل هذه التهديدات قد باءت بالفشل في تحقيق هدفها في نهاية الأمر إذ تراجع الغوري بنفسه عن تهديداته السابقة التي صرح بها، عندما قام بإصدار مرسوم ملكي في عام 1513م ينص فيه على عدم التعرض للحجاج المسيحيين القادمين إلى الأماكن المقدسة ببيت المقدس وفلسطين، نقش هذا المرسوم على لوح حجري كبير وعلق بعدها على مدخل باب كنيسة القيامة بمدينة القدس[1].

كما اقترحت جمهورية البندقية بعد ذلك على السلطان الغوري أن يقوم بشق قناة في ميناء السويس بمصر، ليتم من خلالها ربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط [2]من أجل تسهيل عملية انتقال السلع التجارية من حوض البحر الأحمر إليها، لكن نظرا للتكاليف الباهظة التي يتطلبها انجاز مثل هذا المشروع الضخم ظل هذا الاقتراح حبيس الأدراج بسبب أوضاع الدولة المملوكية المزرية والتي لا تسمح لها بالقيام بذلك النوع من المشاريع، فمن خلال كل هذه المتغيرات والتحولات التي حصلت في علاقة التجارة بين المماليك والبنادقة، سعت جمهورية البندقية إلى البحث عن حليف استراتيجي وعسكري لها كبديل عن دولة المماليك في المنطقة لإدراك البنادقة بضعف دولة المماليك اقتصاديا وعسكريا، فكان التقارب السياسي والاقتصادي والعسكري بين الصفويين والبنادقة خير دليل على ذلك.

بداية من مختلف المراسلات العسكرية السرية التي دارت بين الطرفين ضد دولة المماليك والتي تمكن السلطان الغوري من اكتشافها، بعد تمكن جنوده من إلقاء القبض على بعض من تجار البندقية الذين عملوا كسفراء بين البلدين، مما جاء في هذه المراسلات السرية أن يستعد البنادقة لمواجهة المماليك من البحر في جهة الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط [3]، بينما

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص ص526-528.

(2) François Charles Roux, Au Tour d'une route L'Angleterre L'isthme et Le canal de suez, T1, Paris, 1901, p.45.

(3) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص297.

يقوم الصفويون بمهاجمة المماليك من الشمال الشرقي برا، كما كشفت هذه التقارير السرية كلها بين البنادقة والصفويين مدى ضعف قدرات الدولة المملوكية من الناحية الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية من جهة أخرى كذلك.

ان المقاربة التاريخية التي قمنا بعرضها الآن تؤكد لنا أهمية التأثر الاقتصادي والتجاري لتجارة المماليك مع جمهورية البندقية، آثر ذلك التأثر من جوانب العلاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي أصبحت غير مأمونة العواقب، بسبب توتر العلاقات السياسية بين الطرفين خلال هذه المرحلة التاريخية بداية من النصف الثاني من القرن الخامس عشر للميلاد، رغم محاولة البنادقة تجاوز هذا التوتر والخلاف السياسي من خلال تقديمهم لمجموعة من المساعدات العسكرية إلى حكام دولة المماليك، المتمثلة في العديد من الأخشاب والعتاد لبناء السفن الحربية مع العمال المتخصصين في بنائها لمواجهة البحرية البرتغالية المتمركزة في مياه البحر الأحمر والخليج العربي[(1)]، بالإضافة إلى ذلك فان تفوق قدرات مملكة البرتغال على دولة المماليك قد بدأ يتضح لنا جليا من جوانبه العسكرية والاقتصادية أيضا.

ب- الانعكاسات والمخلفات الاجتماعية : لقد أثر التحول التجاري العالمي على تجارة المماليك والبنادقة كثيرا على الحياة الاجتماعية لدولة المماليك، بسبب إتباع حكام الدولة المملوكية لسياسة احتكارية مجحفة في حق الرعية وفرضهم لضرائب جمركية جد مرتفعة على تجار السلع الشرقية في الدولة، التي كانت تصل إلى خمسة أضعاف ثمنها الأصلي في موانئ بلاد الهند، مستغلين في ذلك سيطرتهم على طرق التجارة البرية والبحرية منها وتحكمهم فيها مثل ما قام به السلطان برسباي الذي أصدر مرسوما ملكيا لرعيته في عام 1428م، ينص فيه على منع شراء التوابل من التجار المماليك باستثناء المخزن المملوكي التابع للدولة فقط، كما قام كذلك برفع أسعار جميع أنواع البهارات والتوابل التي كانت تعرف إقبالا كبيرا من طرف تجار البنادقة والجنويين عليها، مما دفع بهؤلاء التجار الأوروبيين فيما بعد إلى الرد على هذه السياسة

---

(1) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص298.

الاحتكارية لسلاطين الدولة المملوكية بالقيام بعدة عمليات قرصنة بحرية ضد تجار السلطان قتباي في عام 1475م، بنهبهم لجميع سلع السلطان قتباي التي كانت بحوزتهم فرد عليهم السلطان قتباي على ذلك بأن قام بأسر جميع التجار الأوروبيين العاملين في موانئ مدينة الإسكندرية بمصر [1].

فبعد أن شحت المصادر المالية لدولة المماليك والتي لم تبق منها إلا سياسة الاحتكار التجاري التي فرضها حكام المماليك في فترة حكمهم، لجأ بعض سلاطين الدولة المملوكية إلى التحايل من أجل كسب الأموال فمنهم من قام بمصادرة(CONFISCATION)جميع أموال الناس وممتلكاتهم الخاصة كذلك، من بين هؤلاء الذين تمت مصادرة ممتلكاتهم الخاصة أيضا ابن إياس مؤرخ مصر نفسه حيث يخبرنا في حوادث عام 914هجرية والموافق لعام 1508م ما قام به السلطان الغوري من تحايل ونصب عليه وعلى غيره من السكان فيقول:<<... **وأنا من جملة من وقع له ذلك أيضا...**>>[2]، فلقد قام الغوري بمصادرة إقطاع ابن إياس وظل هذا الأخير في كل مرة يرفع تظلمه إلى الغوري حتى قام بإرجاعه وإعادته له أخيرا في السنة الموالية من عام 1509م.

كما قام الغوري كذلك بانتهاج سياسة قمعية جديدة تقوم على احتكار جميع أنواع الحبوب من أجل أن يرتفع ثمنها في أسواق مصر وبلاد الشام، ليبيعها بعد ذلك بأثمان باهظة ومضاعفة عن سعرها الأصلي وهذا على حساب الحياة المعيشية لرعيته في مصر وبلاد الشام، مما أدى إلى ندرة مادة القمح والتي تعتبر الغذاء الضروري للعديد من الناس، حيث يخبرنا ابن إياس عن نتائج سياسة السلطان الغوري في احتكار مادة القمح فيقول:<<...**لقد كان الغوري يشتري القمح ويرسله إلى الشام فانه كان بها غلاء عظيم، حتى قيل وصل فيها كل أردب قمح سبعة أشرفيات** [*]**فكان**

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ج2، ص162.
(2) ابن إياس، المصدر نفسه، ج4، ص150.
(*) الأشرفيات: هي عبارة هن عملات مملوكية أشهرها الأشرفي البرسبيهي نسبة إلى السلطان بارسباي والأشرفي القايتباهي نسبة إلى السلطان قاتباي والأشرفي الغوري كذلك، أنظر: غسان علي رمال، المرجع السابق، ص39.

يشتري القمــح من مصر ويرسلـه إلى البلاد الشامية، فانشحطت القاهرة من الخبز والدقيق بسبب ذلك وكادت أن تكون غلوة مع وجود القمح الجديد...>>[1].

بهذا الصدد تجدر بنا الإشارة إلى أن هذه السياسة الاحتكارية تبين لنا حقيقة الواقع الاجتماعي المؤلم الذي كان يتخبط فيه سكان الدولة المملوكية بمصر وبلاد الشام، بعد ضعف القدرات الاقتصادية والمالية للدولة مما انعكس سلبا على الحياة الاجتماعية بصورة مزرية كذلك.

حتى أن رجال الدولة المملوكية وكبار مسئوليها لم يسلموا كذلك من هذه السياسة الانتهازية التي لم تعفهم حتى من تسديد الضرائب التي كان الغوري يفرضها على عامة الرعية، إذ قام هذا الأخير بمصادرة ممتلكات البعض من مسئولي الدولة عندما عجز عن دفع مرتبات الجيش والجند لمدة أربعة أشهر كاملة، حيث يشير لنا ابن إياس لذلك في حوادث عام 907 هجرية والموافق لعام 1501م فيقول:<<...**ظل يصبرهم نحو أربعة أشهر حتى جمع الأموال من المصادرات** ...>>[2] ومن بين أهم مظاهر الضائقة الاجتماعية التي مست الدولة المملوكية وخزينتها العامة حين قام السلطان الغوري بتجميد جميع مرتبات الموظفين في الدولة بل والإنقاص منها كذلك، ليتجاوز كل ذلك الحد عندما قام بانتهاك حرمات أملاك الأوقاف الشرعية التي أوقفها أصحابها إلى صالح الحرمين الشريفين بمكة والقدس، التي أخبرنا عنها ابن إياس وعن مدى تعرض المحتاجين إليها إلى ضرر كبيرة بقوله:<<... **تعرض الغوري للرزق الأحباسية والأوقاف...فحصل للناس الضرر الشامل...>>**[3].

كما قام السلطان الغوري كذلك بإجبار جميع تجار دولته على شراء بعض السلع والمنتجات السلطانية من مخزن الدولة المملوكية بأثمان جد باهظة، مما دفع بهؤلاء التجار فيما بعد إلى التخلص من هذه السلع ببيعها بأثمان أقل من الثمن الذي اشتريت به في السابق، فكبدهم ذلك خسائر مالية جد معتبرة هم في غنى عنها متحججا في ذلك بتغطيته للعجز المالي الذي تعاني

---

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص302.
(2) ابن إياس، المصدر نفسه، ص190.
(3) ابن إياس، المصدر نفسه، ص150.

منه خزينة الدولة المملوكية، مما كان له أثر بالغ على جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية للتجار المماليك، هذا ما أشار إليه ابن إياس في حوادث عام 917هجرية والموافق لعام 1511م عندما قال:<<... **رمى الغوري على التجار قاطبة شاشات وأرز وأثوابا وصوفا ورمى على السوق زيتا وعسلا وزبيبا وأصناف بضائع يخسرون فيها الثلث، وصاروا يستحثون في سرعة عن الثمن لأجل النفقة، فغلقت الأسواق بسبب ذلك وأقامت مغلوقة أياما**>>[1].

الجدير بالملاحظة كذلك هو أنه ليس التجار وحدهم من مسه ظلم السلطان الغوري بل ان الفلاحين كذلك لم يسلموا من سياسة النهب عند الغوري، مما زاد في تردي مختلف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بمصر وبلاد الشام كذلك خصوصا بعد قيام الغوري بجمع خراج الأراضي وتحصيلها من الفلاحين قبل أن يحل وقتها وموسمها المحدد لذلك، هذا ما دفع بالعديد من الفلاحين إلى ترك أراضيهم ومغادرتها نهائيا ما جعل المنطقة تعيش في ندرة كبيرة لمادة القمح والشعير، بحيث يبين لنا ابن إياس في حوادث عام 922هجري والموافق لعام 1516م بهروب التجار من مزارعهم فيقول:<<...**وأخلو البلاد وتركوا زروعهم في الأراضي ورحلوا**...>>[2].

تعتبر مدينة الإسكندرية وميناءها التجاري من بين أهم المراكز التجارية التي تضررت بمصر من جراء كثرة هذا الكساد التجاري والاحتكار المفروض عليها، من طرف سلاطين الدولة المملوكية خصوصا بسبب تلك الضرائب التي أرهقت كاهل تجار التجزئة، من بنادقة وجنويين ومغاربة ما تسبب في هجران موانئها منهم بعدما كانت الأرض لاتساعهم لكثرة أعدادهم، فقد أصبحت جميع موانئ مدينة الإسكندرية فارغة بعد ذلك منهم ما انعكس بذلك على الحياة الاجتماعية لسكانها، التي تدهورت من جراء هذا التسيير التعسفي إذ بين لنا ابن إياس هذا الضرر الذي مسها في حوادث عام 920هجرية والموافق لعام 1514م فيقول:<<... **كانت مدينة الإسكندرية في غاية الخراب بسبب ظلم النائب وجور القابض وإنهم صاروا يأخذون من التجارة**

---

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص 242.

(2) ابن إياس، المصدر نفسه، ص32.

العشر، عشرة أمثال فامتنع تجار الفرنج والمغاربة من دخول الثغر فتلاشى أمر المدينة وآل أمرها إلى الخراب...>>[1].

كما لم يسلم سكان مدينة جدة بشبه الجزيرة العربية وميناءها التجاري كذلك من هذا التفكك الاجتماعي والاقتصادي الذي أصاب المنطقة ككل، فقد قام نائب حاكم مدينة جدة الأمير حسين الكردي بأمر من سلطانه قانصوه الغوري بفرض العديد من الضرائب المجحفة في حق التجار القادمين من بلاد الهند، مما أدى إلى تردي نواحي الحياة الاجتماعية بالمدينة فهجرها العديد من التجار الهنود حيث أعلمنا ابن إياس عن ذلك في حوادث عام 922هجرية والموافق لعام 1516م فيقول:<<... **كان حسين نائب جـدة يأخذ العشر من تجار الهند المثل بعشرة أمثال، فامتنع التجار من دخول بندر جدة وآل أمره إلى الخراب...>>**[2].

بهذا الصدد تجدر بنا الإشارة إلى أن سياسة سلاطين دولة المماليك الجائرة هي من كانت سببا مباشرا في تردي الأوضاع الاجتماعية للرعية والتجار كذلك، بسبب ضعف قدراتهم على التسيير والتخطيط في هذه المرحلة الحساسة فان انتهاجهم لسياسة الاحتكار التجاري وفرضهم للضرائب المجحفة على التجار المسلمين والهنود والأوروبيين، أدى بدوره إلى هروب العديد منهم من موانئ مدينة الإسكندرية ودمياط وجدة ناهيك عن سياسة المصادرة للأملاك الخاصة بالرعية والتجار والفلاحين مما أدى إلى انتشار الكثير من الاستياء والكره في أوساط الرعية ورحيل العديد من الفلاحين والتجار عن الدولة، إلا أن لتحول طريق التجارة العالمي كذلك من طريقه القديم بمياه الخليج العربي والبحر الأحمر إلى طريقه الجديد من رأس الرجاء الصالح، الدور المؤثر والفعال كذلك في تدهور الواقع الاقتصادي والاجتماعي بدرجة أولى في دولة المماليك وبلاد المشرق العربي أيضا.

---

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص424.
(2) ابن إياس، المصدر نفسه، ج5، ص83.

ثالثا/البحرية البرتغالية ومهمة السيطرة على طريق الخليج العربي والبحر الأحمر:

لقد كانت أهداف البرتغاليين منذ اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح عام 1498م، قائمة على العمل من أجل السيطرة والتحكم في طرق التجارة العالمية، بالبحر الأحمر والخليج العربي وانتزاع تجارة الشرق الأسيوي من أيدي تجار دولة المماليك وجمهورية البندقية معا، باعتبار أن مخطط البرتغاليين قد ارتكز على غلق مدخل البحر الأحمر والخليج العربي في وجه التجار المسلمين القادمين من بلاد الهند والصين، إذن ترى كيف تمكن البرتغاليون من إحكام سيطرتهم العسكرية على هذه الطرق البحرية الجد هامة في مياه البحر الأحمر والخليج العربي؟.

أ-غزو ألبوكيرك لجزيرة هرمز ومسقط وساحل عمان(1507م-1515م):

بدأت البرتغال حملاتها العسكرية بالبحر الأحمر والمحيط الهندي بقيادة كل من القائدين ألفونسو دي ألبوكيرك وتريستان دا كونها، من خلال عمليات التدمير والتخريب التي مست جميع موانئ عمان وعدن وهرمز وباب المندب بداية من احتلال جزيرة سوقطرة في عام 1507م، فقد قامت سياسة الإمبراطورية البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية على إقامة جملة من القواعد التجارية لها على طول السواحل الشرقية انطلاقا من قارة إفريقيا ووصولا إلى بلاد الهند، من اجل منافسة تجار المسلمين وهي السياسة التي انتهجها القائد والنائب الأول لملك البرتغال في الهند فرانسيشكو دالميدا(1505م-1509م)خلال فترة حكمه، التي تنافي وتخالف سياسة التخريب والغزو المسلح وتدمير السفن التجارية والموانئ البحرية التي اتبعها خليفته نائب ملك البرتغال الثاني في الهند ألفونسو دي ألبوكيرك[1].

(1) محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص144.

حيث قامت سياسة ألبوكيرك بالاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الموانئ التجارية وتأسيس أكبر عدد من القواعد العسكرية على طول الشريط الساحلي بين قارتي إفريقيا وآسيا، من أجل حماية خط التجارة الممتد من ميناء لشبونة بالبرتغال إلى غاية ميناء جوا بالهند فقد ساهم ألبوكيرك بشكل فعال في إقامة القواعد الأساسية لإمبراطورية البرتغال بالشرق الأسيوي [1]، هذا من خلال حمايته لهذه الإمبراطورية من الانهيار والتفكك من جهة وتوسيعها تدريجيا من جهة أخرى بربطها مع بعضها البعض بمدينة لشبونة، فقد كان مجيء ألبوكيرك إلى بلاد الهند [*]في عام 1503م بعدما أرسله الملك امانويل الأول مع عمه Francisco Albuquerque (فرانسيسكو ألبوكيرك)في حملة سرية متكونة من ستة سفن حربية، هدفها الأساسي هو إقامة أول قلعة عسكرية في ساحل الميلبار بالهند بعد تعاون مملكة Cochin(كوشين)مع مملكة البرتغال بالهند وهي مملكة هندوسية من قبيلة الفياجانكر تقع بجنوب مدينة كاليكوتا بالهند، يرجع أساس هذا التعاون السياسي والعسكري بين الطرفين إلى منافسة حاكم مملكة كوشين لحاكم مدينة كاليكوت بالهند على عرش السلطة والحكم بحيث تعتبر قلعة كوشين أول قلعة برتغالية في بحار الهند[2].

كما تعد خريطة الملاحة البحرية التي استفاد منها ألبوكيرك بعد أسره لبحار عربي من عمان يدعى "عمر"، يملك كفاءة في رسم الخرائط الجغرافية قيل بأنه عمل مع ابن ماجد من قبل فقد تمكن هذا الأخير من رسم خريطة الساحل العماني وطرقه التجارية البرية والبحرية وشعابه

---

(1) أطلق على ألفونسو دي ألبوكيرك لقب **"ملك القلاع العسكرية "**، بسبب كثرة تشييده لها في سواحل المحيط الهندي وشرق إفريقيا، أنظر:

Serjeant R.B, The Portugese Off The South Arabian Coast, London, 1963, p.15.

(*) ألفونسو دي ألبوكيرك(1453م-1515م): هو ألبوكيرك أو ألبوكيركو كما كان يطلق عليه ينتسب إلى عائلة جد مرموقة من البلاط البرتغالي، فجده كان سكرتيرا للملك جون الأول وللملك دورات أيضا، ووالده قونزالوا ألبوكيرك كان من المقربين كذلك إلى البلاط البرتغالي، شارك ألفونسو في حروب البرتغال الأولى للاسترداد ضد مسلمي المغرب الأقصى مما أكسبه حقدا كبيرا على الإسلام، خصوصا بعد مقتل شقيقه على يد المسلمين بالمغرب الأقصى كلف ألفونسو بعدها بتولي حملات البرتغال في الهند وعين نائبا لملك البرتغال بالهند، أنظر:

Alfonso Albuquerque, The Commentaires Of The Great Alfonso D'Albuquerque, Transe By Walter De gray Briche, Vol1, London, 1774, p.11.

نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص ص(145،146).

(2) Alfonso Albuquerque, op.cit. p.p.72.73.

نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع نفسه، ص146.

وموانئ الخليج العربي والبحر الأحمر [1] بحيث بدأت حملة ألبوكيرك بعد مغادرته لميناء Soco(سوكو) في سوقطرة ليصل بعدها إلى جزر Coria Muria(كوريا موريا) [*] في يوم 04 أوت عام 1507م، ثم ليغادر بعدها إلى منطقة رأس الحد [*] وهنالك دمر ألبوكيرك سفنا لصيد السمك كانت قادمة من جزيرة هرمز ومدينة قلهات [*]، التي اعتبرت خلال القرن السادس عشر للميلاد مركزا رئيسا لعبور السفن الأسيوية إلى مياه الخليج العربي والبحر الأحمر.

حيث كان ميناء قلهات التجاري مركزا لتجارة الخيول العربية الأصيلة نحو أسواق أوروبا فبعد نزول ألبوكيرك في ميناء قلهات بعمان، طلب من حاكمها الإمام " شرف الدين" الاعتراف له بتبعية مدينة قلهات إلى سلطة ملكه امانويل الأول، مع طلبه كذلك دفع ضرائب سنوية لخزينة الدولة بلشبونة فكان جواب حاكم مدينة قلهات بأن أخبر ألبوكيرك أن حاكم هرمز هو من يقرر دخول مدينة قلهات أو عدم دخولها تحت حكم وسلطة مملكة البرتغال بلشبونة، لذلك يجب عليه العودة إليه واستشارة رأيه في هذا الأمر [2].

عندها أرسل ملك البرتغال امانويل الأول إلى ألبوكيرك أربعة عشر سفينة حربية عليها ألف وثلاثمائة مقاتل، يقودها القائد البرتغالي تريستان داكونها وترأس خلالها ألبوكيرك خمسة سفن حربية وكان هدف هذه الحملة هو احتلال جزيرة هرمز وسوقطرة وتحصينهما بقلاع حربية لسد

---

(1) أغناطيوس يوليا نوفيتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم، دن، بيروت، 1987، ص609.

(*) جزر كوريا موريا: تقع هذه الجزر على بعد خمس وعشرين ميلا من ساحل عمان الشرقي الجنوبي، ويبلغ عددها خمسة جزر تشكل سلسلة طبيعية بحرية تمتد على مسافة خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب، أنظر: غسان علي رمال، المرجع السابق، ص180.

(*) منطقة رأس الحد: هي نقطة افتراق خليج عمان عن المحيط الهندي، أنظر: جون جورج لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج5، مطابع علي بن علي، الدوحة، د ت، ص1701.

(*) مدينة قلهات: سماها البرتغاليون باسم Caluyate هي أول مدن مملكة هرمز في ساحل عمان، سكانها مسلمين زارها الرحالة الايطالي ماركو بولو وابن بطوطة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، أنظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 126، وللمزيد من الإيضاح أنظر كذلك: غسان علي رمال، المرجع نفسه، ص180.

(2) كانت مدن الساحل العماني تخضع كلها لحاكم مدينة هرمز منذ القرن 14م، والذي يملك نوابا له في مختلف المدن العمانية وأهمها قلهات، أنظر: Alfonso Albuquerque, op.cit. p. 63.
نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص155.

مدخل الخليج العربي والبحر الأحمر أمام التجار المسلمين مع العمل على احتلال ميناء عدن كذلك[1]، لهذا عمل ألبوكيرك على احتلال جزيرة هرمز بسبب موقعها الاستراتيجي الذي يتحكم في مدخل الخليج العربي حيث كانت هذه الجزيرة تخضع خلال تلك الفترة إلى حكم صبي صغير في السن يبلغ الثانية عشر من عمره واسمه "سيف الدين أبا نصر شاه"، الذي عين عليه وصي له اسمه "خواجة عطار"[*]حيث تلقى البرتغاليون خلال عملية احتلالهم لهذه الجزيرة مقاومة شديدة من قبل سكانها وقواتها التي لم تستسلم بسهولة لهم، بالرغم من عدم تكافؤ القدرات العسكرية بين الطرفين وهذا ما كان لصالح القوات البرتغالية.

مما دفع حاكمها إلى الخضوع والاستسلام و تم عقد معاهدة بين البرتغاليين والهرامزة تنص على التزام حاكم جزيرة هرمز بدفع ضريبة مالية سنوية إلى خزينة مملكة البرتغال بلشبونة[2]، مع اعترافه كذلك بتبعية جزيرة هرمز إلى إمبراطورية البرتغال في مياه الخليج العربي، يرجع كذلك سبب سقوط مملكة هرمز في حقيقة الأمر إلى امتناع حكام المماليك الإسلامية القريبة منها إلى تقديم يد المساعدة والعون عسكريا لحاكم جزيرة هرمز بسبب التفكك والانقسام السياسي الذي عرفته المماليك الإسلامية وحكامها من اجل قضية الحدود الداخلية، لذلك تمكنت البحرية البرتغالية من إغلاق مدخل الخليج العربي نهائيا والقضاء بعدها على تجارة بلاد الهند مع التجار المسلمين العرب في مياه الخليج العربي[3].

لقد خشي ألبوكيرك بعد استيلائه على جزيرة هرمز من خطورة تدخل الشاه إسماعيل الصفوي، لأخذ هذه الجزيرة منه لأهميتها الإستراتيجية في الملاحة البحرية بالنسبة لمنطقة الخليج العربي من جهة، لما كان يربط حاكم هذه الجزيرة من علاقة صداقة وتعاون مع الشاه إسماعيل

---

(1) Alfonso Albuquerque, op.cit. p.20. نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص147.

(*) خواجة عطار: هو نائب ملك جزيرة هرمز في عهد الملك الصبي سيف الدين أبا نصر شاه، تميز خواجة عطار بتفوق قدرته العسكرية والسياسية في تسيير شؤون هرمز حسب شهادة العدو قبل الصديق له في فترة وصايته على الملك، أنظر: ويلسون أرنولد، الخليج العربي، ترجمة عبد القادر يوسف، مكتبة الأمل، الكويت، د ت، ص208.

(2) سيد نوفل، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، ط 2، معهد الدراسات العربية العالية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1961، ص42.

(3) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص16.

نفسه من جهة أخرى ولذلك أخذ ألبوكيرك بانتهاج سياسة التقرب والود بمخاطبته للشاه ليس حبا فيه بل طمعا في تأمين نفسه منه بسبب قوة الشاه عسكريا، محاولة منه لضرب القوى العربية المحلية بمنطقة الخليج العربي والعثمانية كذلك للقضاء على هيمنتها نهائيا، لذلك أرسل ألبوكيرك مبعوثه الخاص إلى الشاه إسماعيل يحمل معه رسالة خطية كتب له فيها ما يلي:<< **إنني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند، وإذا ما أردت أن تنقض على بلاد العرب أو تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر، أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو في القطيف أو في البصرة وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له كل ما يريد**>>[1].

لكن ما كان يخشاه ألبوكيرك قد حدث بالفعل بعد اعتراف حاكم جزيرة هرمز بسيادة الصفويين على الجزيرة تخلصا له من سيطرة البرتغاليين عليها في عام 1508م، كما رفض خلالها حاكم جزيرة هرمز دفع ما عليه من ضرائب سنوية لخزينة الدولة بلشبونة[2]، فقرر ألبوكيرك بعد ذلك معاودة احتلال الجزيرة للمرة الثانية فتمكن أخيرا من القضاء على حاكمها والسيطرة على الجزيرة عسكريا، بعدما عرفت سابقا سيطرتها على جميع جزر الخليج العربي والمحيط الهندي ما يقارب زهاء قرنين ونصف من الزمن، تبع فيها كل حكام الساحل العماني واليمني إلى حاكم هذه الجزيرة عسكريا واقتصاديا[3].

فبعد استيلاء ألبوكيرك على جزيرة هرمز والتحكم في مدخل الخليج العربي تفرغ بعدها إلى مدن الساحل العماني، كمدينة صور [*]وقلهات ومسقط[*]التي قاومت البرتغاليين بمساعدة قوة قبائل الجبور لكن السيوف والرماح لم تكن لتستطيع معادلة قوة المدافع والبنادق البرتغالية مما دفع بقوات

---

(1) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص17.
(2) ويلسون أرنولد، المرجع السابق، ص213.
(3) سيد نوفل، المرجع السابق، ص42.
(*) صور: هي مدينة تطل على ساحل الحجر في سلطنة عمان، وتقع على بعد ثلاثة عشر ميل غربي رأس الحد، أربعة وتسعون ميلا جنوب شرقي مسقط، أنظر: لورمير، المرجع السابق، ج7، ص2410.
(*) مسقط: هو ميناء في الساحل العماني أشتهر بتصديره للخيول و التمور والمسك المجفف والمملح، أنظر: غسان علي رمال، المرجع السابق، ص180، وأنظر كذلك: Alfonso Albuquerque, op.cit. p.83.
نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص159.

الجبور إلى الفرار والهروب من مدينة مسقط فبعد سقوط هذه المدينة دخل الجيش البرتغالي إليها ليقوم بأبشع عمليات التقتيل والتنكيل الجماعي في حق السكان العزل حسب ما يرويه لنا القائد ألبوكيرك في تعليقاته حين يقول:<<... **قمنا بقطع الأذان وجذع الأنوف وقص الأصابع وقتلنا ما قتلنا منهم...**>>[1]، هذا ان دل على شيء فإنما يدل على قمة السياسة القمعية والوحشية العمياء التي تعامل بها ألبوكيرك مع الأهالي العمانيين العزل بعد احتلاله للمدينة.

كما استولى ألبوكيرك بعدها على مدينة صحار [*]بعمان حيث تمكن من السيطرة عليها بعدما تحالف مع أحد شيوخ المنطقة وهو الشيخ "عمير بن حمير"، مستغلا في ذلك ضعف قبائل النبهانيين بعمان عسكريا بسبب تفككهم الداخلي وكثرة حروبهم الحدودية ضد بعضهم البعض فسقطت بذلك جميع مناطق خورفكان [*]في أيدي القوات البرتغالية ليقوم ألبوكيرك بعدها بتحصين عمان وسواحلها من خلال إقامته لسلسلة من القلاع والحصون العسكرية التي مازال بعضها قائما إلى غاية اليوم[2].

ليعود ألبوكيرك بعدها إلى ممارسة سياسته التخريبية من جديد من خلال تحطيمه لجميع الموانئ العمانية في مدينة قلهات وصحار وخورفكان وصور ومسقط، تعطيله لجميع نشاطات هذه الموانئ التجارية في مياه الخليج العربي والبحر الأحمر، بعد ذلك رجع إلى جزيرة هرمز في عام 1508م أين أحرق هنالك حوالي مائة وعشرين سفينة تجارية بدون أي سبب يذكر، فأغلبها كان

---

(1)Idem, p.p.80.81.

نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص165.

(*) صحار: هي مرسى سفن الهند والصين والزنج بها أسواق عجيبة وآبار عذبة وهي دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن، هي الميناء الرئيس لساحل عمان الجنوبي، أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، م3، ص ص(393،394).

(*) خورفكان: هي قرية ساحلية في وسط المنطقة الشمالية بساحل عمان، تبعد بحوالي خمس وعشرين ميلا شمال منطقة خوركلبا وحوالي عشرين ميلا جنوب غرب ديبه، وهي حاليا تتبع لإمارة الشارقة بالمملكة العربية المتحدة، أنظر: لورمير، المرجع السابق، ج2، ص665.

(2) محمود علي الداود، محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان، معهد الدراسات العربية العالية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1964، ص18.

تابعا للتجار العمانيين حتى أنه لم يصدر عنها أي اعتداء من طرفها، كما أنها ليست بالسفن العسكرية بل بالتجارية أيضا[1].

كذلك قام ألبوكيرك بتهديم أربعة مساجد في مدينة مسقط كدليل على كرهه للإسلام والمسلمين وعلى سياسته التخريبية كذلك، هذا ما أغضب العديد من بحارته لكون الكثيرين منهم من المغامرين والباحثين عن الثراء والثروة التي وعدهم بها ألبوكيرك من قبل، لذلك فقد ساءهم أن يزج بهم في معارك حربية وعسكرية لأتفه الأسباب، فغالبا ما كان ألبوكيرك يخرج بتصرفاته عن الأوامر الملكية المقدمة إليه من طرف ملك البرتغال الدون امانويل الأول[2].

فهذا ما كان سببا في عزله من القيادة والحكم كنائب لحكومة البرتغال في بلاد الهند بعد وصول الأسطول البرتغالي القادم من ميناء لشبونة والمكون من أحدى عشر سفينة عسكرية إلى الهند حاملا معه أمرا ملكيا من ملك البرتغال الدون امانويل الأول، يقضي بتعين القائد Lobo Suarez (لوبو سواريز) خلفا لألبوكيرك في الحكم عام 1515م، بالرغم من ذلك فقد تمكن ألبوكيرك بواسطة سياسته القمعية والتخريبية البشعة من السيطرة على جزيرة هرمز ومسقط وساحل عمان، جاعلا إمبراطورية البرتغال تهيمن على الذراع الأول من المحيط الهندي في مياه الخليج العربي وتفرض سياستها التعسفية في المنطقة بالقوة، كما تسلط البرتغاليين بعدها على جزيرة هرمز وأرغموا حاكمها "محمود بن سيف الدين" في عام 1524م، على توقيع اتفاقية معهم يقوم بمقتضاها فاسكوا دي غاما بحكم هذه الجزيرة على أن تبقى خاضعة لسيادة البرتغاليين مدة تصل إلى زهاء قرن كامل[3].

بالرغم من نهاية حكم ألفونسو دي ألبوكيرك على جزيرة هرمز وباقي موانئ الساحل الشرقي للهند لم ينسى هذا القائد من أذهان البرتغاليين، فقد بقيت أعماله وانجازاته فريدة من نوعها تضرب

---

(1) محمود علي الداود، المرجع السابق، ص18.

(2) لقد ساء جنود ورجال ألبوكيرك من مغامرين وبحارة سياسة قائدهم وطريقته التخريبية التي لا تترك شيئا إلا وتحرقه في طريقها، مما دفع بالبعض منهم إلى العصيان والتمرد ضده، فقد بدأت حركة التمرد من قادة سفنه وضباطه عند الساحل العماني في مسقط وهذا ما يعترف به ألبوكيرك كذلك في مذكراته أيضا، أنظر: جمال زكرياء قاسم، المرجع السابق، ص69.

(3) ويلسون أرنولد، المرجع السابق، ص218.

بها الأمثال في درجة القوة والدهاء، حيث اعتبرت أفكاره الحربية نموذجا لأميرالات البحارة البرتغاليين في أحلك الظروف العسكرية وأصعبها، إذ بعد سقوط قلعة هرمز في يد الاستعمار البريطاني وسجن قائدها البرتغالي Rouie Virera (روي فيريرا)من طرف القوات البريطانية أرسل هذا القائد البرتغالي رسالة خطية منه مع أربعة من الجنود الفارين من السجن إلى ملك البرتغال بلشبونة يحثه فيها على إتباع نصائح وتوجيهات القائد العظيم ألفونسو دي ألبوكيرك حيث يقول روي فيريرا في هذه الرسالة ما يلي:<< **احملوا نيابة عني أخبار وأسباب سقوط جزيرة قشتم** [*]**إلى الله وملك البرتغال، أيها السيد سيماو دو ميلوا ان قوى الأعداء تتجمع وهي في طريقها لمهاجمة جزيرة هرمز، أرجوا منك أن تقرأ ما كتب عند الدرع الموضوع عند قدمي القائد العظيم ألفونسو دي ألبوكيرك والذي يقول فيه:" إذا ما رأيت السفن الأوروبية والمعادية والراسية عند هذه القلعة دع المياه تدخل إلى الخندق حولها ونم قرير العين"، اتبع وصيته فلقد أصبحنا في ورطة نتيجة عدم الاستماع للنصائح**>>[1].

ب-التفكك السياسي بين إمارة هرمز والبحرين ودوره في غزو البرتغاليين للبحرين عام 1520:

كان مشروع غزو البحرين من تخطيط القائد ألفونسو دي ألبوكيرك الذي اطلع على أهمية منطقة البحرين من الناحية الاقتصادية بدرجة كبيرة لكونها موردا هاما للؤلؤ، فبعد نجاحه في المعركة التي خاضها في جزيرة هرمز أرسل هذا الأخير برسالة خطية إلى ملكه امانويل الأول بلشبونة يخبره فيها عن رغبته الكبيرة في التحكم والسيطرة على منطقة البحرين وقد صدرت بالفعل

(*) جزيرة قشتم: أو جشم هي من أضخم جزر الخليج العربي، تقع خارج ساحل منطقتي بستك و الشميل الإيرانيتين، وتمتد من منطقة ليخة إلى بندر عباس تقريبا، أنظر: لورمير، المرجع السابق، ج5، ص1893.
(1) روي فيريرا أندرادي، <<يوم سقطت هرمز>>، مذكرات القائد البحري روي فيريرا، الموسوعة البرتغالية، ترجمة الدكتور عيسى أمين، إصدارات مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، المنامة، البحرين، 1970، د.ع/1996، ص106.

الأوامر الملكية بعدها إلى القائد ألبوكيرك في عام 1514م من أجل التحضير لمشروع غزو منطقة البحرين [1]، حيث يذكر لنا القائد البرتغالي ألبوكيرك في الرسالة التي أرسلها إلى ملكه امانويل الأول بلشبونة دوافع اهتمامه بغزو منطقة البحرين من الجانبين الاقتصادي والديني إذ يصرح في مضمون هذه الرسالة بما يلي:<< ... **ان البحرين يا سيدي أمر عظيم ومنطقة جد غنية حيث يكثر بها اللؤلؤ...سأذهب إلى البحرين يا سيدي لأنتزع اسم محمد، (صلى الله عليه وسلم)...**>>[2].

ان خضوع منطقة البحرين لحكم إمارة الجبور [*]القوية كان من بين الأسباب التي أخرت عملية غزو البحرين من طرف القوات البرتغالية خلال هذه الفترة، هذا بعد أن تعرف القائد البرتغاليBéro Albuquerque(بيرو ألبوكيرك) ابن أخ ألفونسو ألبوكيرك في عام 1514م على سواحل البحرين بعد قيامه بعملية استطلاعية مع أسطوله العسكري بأمر من عمه ألبوكيرك، حيث اعتذر القائد بيرو لعمه ألبوكيرك عن عدم تمكنه من التوغل في السواحل البحرينية بحجة أن الرياح القوية التي كانت في مياه الخليج العربي هي السبب في رجوعه إلى سواحل الهند، خوفا من أن تحطم أسطوله البحري مقدما لعمه كذلك تقريرا مفصلا عن مناطق تواجد مغاصات اللؤلؤ البحريني[3].

إلا أنه لا يمكننا التحدث عن غزو البرتغاليين لمنطقة البحرين دون التطرق إلى أهم نقطة في هذا الغزو، التي ترجع أساسا إلى استغلال القوات البرتغالية لفترة التفكك والصراع السياسي والعسكري بين إمارة الجبور بالبحرين وإمارة هرمز بمضيق الخليج العربي، فالنزاع الذي دار بين شيوخ الجبور وملوك هرمز قد لعب دورا أساسيا في إرساء دعائم الغزو البرتغالي في المنطقة من

---

(1) أحمد بوشرب، <<مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي>>، الوثيقة، السنة1984، العدد4، السلسلة2، ص121.
(2) أحمد بوشرب، المرجع نفسه، ص121.
(*) الجبور أو الجبريون: نسبة إلى جدهم الأكبر جبر العقيلي من بني عامر بن ربيعة وأولهم هو سيف بن زامل بن جبر العقيلي، أنظر: علي بن إبراهيم الدرورة، الاحتلال البرتغالي للقطيف(1521م-1572م)، ط1، المجمع الثقافي لإمارة أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، د ت، ص73.
(3) Alfonso Albuquerque, op.cit. vol4, p.114.
نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص216.

خلال انفراد ألبوكيرك باحتلال جزيرة هرمز في عام1507م، دون تدخل قوات الجبور البحرينية في طرد هذا الغزو البرتغالي بل بالعكس ازدادت هذه الخلافات السياسية عمقا مع الجبور بين إمارة بني جبور وبني هرمز خلال تلك الفترة خصوصا بعدما خضعت إمارة هرمز لسلطة البرتغاليين[1].

فقد بدأت سياسة إمارة هرمز في إضعاف إمارة الجبور القوية منها منذ أن تمكنت هذه الأخيرة من فرض سيطرتها العسكرية والسياسية على جميع مماليك شبه الجزيرة العربية بعمان والبحرين مع مطلع القرن السادس عشر للميلاد، موسعة بذلك حكمها ونفوذها على مناطق جغرافية جد هامة مما دفع بحاكم إمارة هرمز خواجة عطار إلى إرسال حملة عسكرية لاحتلال جزر البحرين في عام 1511م[2]، لكن هذه الحملة قد فشلت فشلا ذريعا في تحقيق أهدافها المسطرة، بذلك اضطرت في الأخير إلى الانسحاب من منطقة البحرين بعدما هددت قبائل بني جبور إمارة هرمز باحتلال جميع سواحل منطقة عمان الشمالية التابعة إلى سلطتها.

كما استفاد البرتغاليون من هذا الصراع السياسي والعسكري بين القوتين المحليتين خلال فترة تواجدهم بمياه الخليج العربي، بل إنهم كثيرا ما أشعلوا نار الفتنة بين إمارة بني جبور وبني هرمز، مستغلين في ذلك تنافسهم على الحدود الداخلية لممالكهم في كل من منطقة عمان والبحرين إضافة إلى ذلك فقد وفر البرتغاليون لأنفسهم الوقت الكثير من أجل تجميع قواهم العسكرية لضرب أي تدخل إسلامي سواء كان من جانب المماليك أو العثمانيين من بعدهم، حتى أنهم قد وصل بهم الأمر إلى ضرب قوة الجبور التي كانت دائما ما تهاجم قواعدهم العسكرية وحامياتهم المتمركزة في سواحل الخليج العربي وعمان [3]، مستعملين في ذلك قوى مملكة هرمز الداخلية لضربها.

الجدير بالذكر أن دوافع هذه الهجمات العسكرية المستمرة من طرف مملكة هرمز على جزر البحرين والقطيف، ترجع في حقيقة الأمر إلى محاولتهم الاستحواذ على تلك الموارد الطبيعية

(1) جمال زكرياء قاسم، المرجع السابق، ص ص60-62.
(2) محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص218.
(3) علي عبد الله أبا حسين، <<الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق >>، الوثيقة، السنة 1984، العدد 3، السلسلة01، ص92.

والاقتصادية التي تزخر بها هذه المنطقة خاصة مادة اللؤلؤ، مع العلم أن مملكة هرمز كانت تدفع إلى خزينة الدولة بلشبونة ضرائب سنوية كانت قيمتها تزداد مع تعيين كل نائب جديد لحكومة البرتغال في بلاد الهند[1]، فلم تكن إمكانيات هرمز المادية والمالية كافية لتغطية كل هذه الضرائب المفروضة عليها، مع امتناع إمارة الجبور بالبحرين على دفع ما عليها من ضرائب سنوية لمملكة هرمز، مستغلة في ذلك حجة احتلال هذه الأخيرة من طرف البرتغاليين منذ عام 1515م، مما زاد الوضع المالي تعقيدا في مملكة هرمز وترتبت عنه مشاكل اقتصادية حقيقية في نفس الوقت.

كل هذا دفع بمملكة هرمز إلى تحريض البرتغاليين على احتلال جزر البحرين والقطيف معا متحججين في ذلك برفض إمارة البحرين وحاكمها السلطان " مقرن بن جابر" على دفع ما عليها من مستحقات مالية سنوية لمملكة هرمز [2]، تنفيذا كذلك لبنود الاتفاق الهرمزي والبرتغالي الذي وقع بين الطرفين في عام 1515م، الذي ينص على تقديم البرتغال للحماية التامة اتجاه أي خطر خارجي تتعرض له مملكة هرمز، إضافة إلى ذلك فقد ازداد قلق البرتغاليين من تطور العلاقات البحرينية والعثمانية سياسيا وعسكريا بعد دخول منطقة الحجاز سلميا تحت حكم الدولة العثمانية في عام 1517م، قيام سلطان البحرين مقرن بن جابر بإنشاء أسطول عسكري بدعم من الدولة العثمانية له، التي قدمت لهم المواد الضرورية لبناء الأسطول كما زودوهم كذلك بمختلف الأسلحة الحربية الحديثة الصنع آنذاك، بعدما أعلمهم سلطان بني جبور بما يحيط بهم من خطر برتغالي متواجد في كل من سواحل منطقة البحرين والقطيف كذلك.

لاشك بأن قلق البرتغاليين على مصالحهم الاقتصادية بالمنطقة قد ازداد كثيرا بسبب هذا التقارب السياسي والعسكري بين قوة الجبور الناشئة والدعم العثماني لها في مياه الخليج العربي، ما جعل البرتغاليين يسعون بأقصى قوتهم إلى ترسيخ نفوذهم في المنطقة واحتلالها في أقرب وقت ممكن، ففي عام 1520م اتفقت قوات البرتغال مع مملكة هرمز من أجل احتلال جزر البحرين

---

(1) عبد اللطيف ناصر الحميدان، << التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية(1417م-1521م)>>، مجلة كلية الآداب بجامعة البصرة، السنة1980، العدد16، السلسلة14، ص78.

(2) لقد كانت إمارة البحرين تدفع إلى مملكة هرمز ما قيمته خمسة عشر ألف أشرفي من الذهب سنويا، أنظر: أحمد بوشرب، المرجع السابق، ص123.

وقد انتهز البرتغاليون في ذلك فرصة ذهاب سلطان بني جبور إلى الحج من أجل تنفيذ هجومهم العسكري، حيث انطلقت ثلاثة سفن حربية للبرتغال من جزيرة هرمز بقيادة Gomez De Sauta Mayore(جومز دي سوتا مايور)، متجهة بذلك إلى جزر البحرين لكنها تلقت مقاومة جد عنيفة قرب سواحل البحرين من طرف قوات الجبور المتواجدة هناك، مما دفع بقوات العدو البرتغالي إلى الرجوع أدراجها بعد محاصرتها لسواحل البحرين لمدة ثلاثة عشر يوم كاملة[1].

فعندما تلقى السلطان مقرن بن جابر حاكم منطقة البحرين خبر الهجوم البرتغالي على سواحله، لم يتفاجئ كثيرا من هذا الاعتداء المباغت بل انه كان على علم بمخططات البرتغاليين ضده فقد جهز العدة لمواجهة الأسطول البرتغالي قبل ذهابه إلى أداء مناسك الحج بمدينة مكة المكرمة من خلال بنائه للعديد من الحصون والقلاع الحربية على طول سواحل البحرين والقطيف مع إنشائه كذلك لصور قلعة البحرين [2]مما مكن قوات البحرين من الصمود في وجه الحملة البرتغالية الأولى في عام 1520م.

بعد صدور الأوامر الملكية إلى نائب ملك البرتغال في الهند Diogo L. De Sequeyra(دييغو لوباز دي سكويرا) من أجل إعادة محاولة احتلال منطقة البحرين للمرة الثانية وضمها إلى نفوذ وسلطة مملكة هرمز من جديد، كلف هذا القائد دييغو لوباز ابن أخ القائدAntonio Corre(أنطونيو كوريا)، من أجل التوجه لغزو منطقة البحرين في عام 1521م حيث قام هذا الأخير بتجهيز حملة عسكرية مكونة من سبع سفن برتغالية بها حوالي أربعمائة مقاتل تحت قيادته، أما مملكة هرمز فقد جهزت هي الأخرى حملة عسكرية ثانية مكونة من مائتي مركب صغير و بها حوالي ثلاثة ألاف مقاتل بقيادة الوزير" شرف الدين" [3]حيث انطلقت الحملة

---

(1) عبد اللطيف ناصر الحميدان، المرجع السابق، ص79، وأنظر أيضا:
Sousa Manuel De Farray, The History Of The Discovery And Conquêt Of India, Transe By Gohn Stevens, Vol1, Germany, 1971, p.256.
نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص226.

(2) علي عبد الله أبا حسين، المرجع السابق، ص ص(33،34).

(3) Sousa Manuel De Farray, op.cit. p.258.
نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع نفسه، ص232.

البرتغالية الهرمزية في يوم 15جويلية 1521م، لتصل بعد ذلك إلى سواحل البحرين في يوم 21جويلية 1521م.

فقد تمكنت القوات البرتغالية من محاصرة سواحل البحرين لمدة ستة أيام كاملة متحينة بذلك الفرصة المناسبة لمهاجمة قوات الجبور، منتظرة كذلك وصول المدد القادم إليها من طرف مملكة هرمز وبعدها حدثت المواجهة العسكرية بين القوتين في يوم 27جويلية1521م، بعد اشتباكات عنيفة وقعت بين الطرفين داخل مدينة هرمز تلقى خلالها السلطان مقرن بن جابر إصابة خطيرة في فخذه من طرف سلاح المدفعية البرتغالية، التي كانت سببا في وفاته مباشرة وهذا حسب رواية المؤرخ البرتغالي سوسا امانويل دي فيريبا [1]، مما أدى إلى انهيار معنويات قوات الجبور التي لم تستطع الاستمرار في إكمال القتال مدة طويلة أمام قوة هذا السلاح، لكن مؤرخ مصر ابن إياس يخبرنا بأن السلطان مقرن ابن جابر قد وقع حيا في أيدي القوات البرتغالية بعدما أصابته بنيران المدفعية البرتغالية في فخذه، فأراد مساومة البرتغاليين على حياته لكن قائد الحملة البرتغالية أنطونيو كوريا لم يرضى بذلك فقتله حيث ذكر ابن إياس ذلك فقال:<<... **وأنه ساومهم على أن يفتدي نفسه بالمال ولكنهم قتلوه صبرا...**>>[2].

كما يؤكد لنا ابن إياس كذلك بأن السلطان مقرن ابن جابر قد شارك في هذه المعركة بعد عودته من أداء مناسك الحج مضطرا بعدما أدركته أنباء الهجوم البرتغالي على البحرين فيقول:<<**...أنه لما دخل مكة والمدينة تصدق على أهلها بنحو خمسين ألف دينار، فلما كر راجعا إلى بلاده لاقته الإفرنج فقاتلهم، إلا أنهم انتصروا عليه وأسروه وحاول افتداء نفسه بألف ألف دينار فأبو وقتلوه سنة928هجرية واستولوا على بلاده...**>>[3].

---

(1) Idem, p.258.

نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص232.

(2) ابن إياس، المصدر السابق، ج5، ص431.

(3) ابن إياس، المصدر نفسه، ص43.

كذلك يخبرنا ابن إياس بأن مقتل السلطان مقرن ابن جابر قد اعتبر من بين أعظم الحوادث المؤلمة في تاريخ منطقة البحرين والخليج العربي بل ومن أهمها كذلك فيقول:<<... **كان مقتل السلطان مقرن بن جابر من أشد الحوادث في الإسلام وأعظمها...>>**[1].

بهذا احتلت القوات البرتغالية بقيادة أنطونيو كوريا منطقة البحرين في عام 1521م ليتم خلالها احتلال جميع جزر البحرين، خضعت البحرين خلالها إلى تبعية وسلطة مملكة هرمز البرتغالية وخلال ذلك قام القائد أنطونيو كوريا بحرق جميع مراكب البحرين التجارية والعسكرية التابعة لمملكة للجبو ر[2]، الجدير بالذكر أن معركة احتلال البحرين من طرف القوات البرتغالية تعتبر من بين أطول المعارك التي دارت في منطقة الخليج العربي، بداية منذ وصول البرتغاليين إلى ساحل منطقة عمان في عام 1507م، غزوهم لمملكة هرمز إلى غاية احتلال مدينة مسقط بعمان نهائيا في عام 1521م[3].

الجدير بالملاحظة كذلك أنه في كتابة تاريخ الاحتلال البرتغالي لمنطقة البحرين نلاحظ غياب المصادر المحلية العمانية والبحرينية، التي تتحدث عن هذا الاحتلال رغم كونه من بين المحطات التاريخية الهامة في تاريخ المنطقة خلال فترة العصر الحديث، بمقابل ذلك نلاحظ اهتمام العديد من المؤرخين والقادة العسكريين للبرتغال بتاريخ هذا الغزو وأطواره، أمثال امانويل سوسا وموريس ستيفان وغيرهم ممن كتبوا عن مجريات هذه الأحداث وأطوارها، مع العلم أن هذه المصادر البرتغالية لم تنصف في كتاباتها تاريخ هذا الغزو لصالح قوات الجبور، من خلال عدم إشارتها عن حيثيات تاريخية جد هامة كدور أسطول الجبور الذي أعده السلطان مقرن بن جابر بمساعدة الدولة العثمانية، لمواجهة البحرية البرتغالية قبل دخولها إلى مدينة مسقط بعمان وغيرها من التفاصيل الدقيقة التي يحتاج إليها المؤرخ لمقاربة الوقائع التاريخية ومعرفة مجريات هذا الاحتلال البرتغالي لمنطقة البحرين في عام 1521م.

---

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص431.
(2) أحمد بوشرب، المرجع السابق، ص125.
(3) سيد نوفل، المرجع السابق، ص42.

ج-الغزو البرتغالي للقطيف في ساحل الخليج العربي(1521م-1537م):

تمتاز منطقة القطيف بموقع جغرافي واستراتيجي جد ممتاز فهي تقع على ساحل الخليج العربي بين بلاد العراق وعمان، هذا ما أكسبها واجهة بحرية جد هامة لممارسة الأنشطة الملاحية بإضافة إلى كونها من بين أشهر المناطق التجارية في منطقة الخليج العربي، بسبب موانئها الحيوية والجد هامة والتي تسمح لها بإقامة أنشطة تبادلية بين السفن القادمة إليها من الشرق الأسيوي أو الذاهبة منها إلى باقي موانئ الخليج العربي، فقد كانت القطيف منذ القديم مقصدا للتجار والعلماء عبر مر الحضارات المتعاقبة عليها [(1)]، قد أطلق العديد من الرحالة العرب وعلماء الجغرافيا، على بحر الخليج العربي اسم بحر القطيف أو بحر البصرة كما سماه العثمانيون بعد دخولهم إلى المنطقة، في حكم السلطان راشد بن مغامس وأثبتوا ذلك في العديد من خرائطهم التي رسموها من قبل، كما أطلق الفرس تسمية الخليج الفارسي كذلك على بحر الخليج العربي، بحيث يسميه العلامة "ابن خلدون" أيضا باسم الخليج الأخضر [(2)].

الموقع الجغرافي: مهما اختلفت التسميات حول بحر القطيف أو البحر الفارسي أو الخليج العربي حاليا فان الموقع الجغرافي والمساحة واحدة لا تتغير بتغير الزمن والمسميات، حيث تقدر مساحة بحر الخليج العربي بمائتين وخمسين ألف كيلومتر مربع، كما يقدر طول الخليج العربي بثمان مئة كيلومتر(800 كلم)وعرضه بمائتين وتسعين كيلومتر(290كلم)، هو يمتد على شكل ذراع بحري في جنوب غرب قارة آسيا ويحده من الشرق الساحل الإيراني، من الغرب شبه الجزيرة العربية ومن الشمال جنوب العراق الذي يصله مباشرة مع نهري دجلة والفرات، من الجنوب خليج

(1) أبو الفداء، المصدر السابق، ص99، وللمزيد من الإيضاح أنظر كذلك: سليمان إبراهيم العسكري، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، ط1، مطبعة المدني، القاهرة، 1972، ص103.
(2) علي بن إبراهيم الدرورة، المرجع السابق، ص12.

عمان الجنوبي وهو يقع بين خطي طول ثمان وأربعين وسبع وخمسين درجة شرقا وبين دوائر عرض أربع وعشرين وثلاثين درجة شمالا[1].

كما أن كل ضفاف الخليج العربي كانت تحكمها مشيخات وراثية وإمارات عربية منذ القدم وإلى غاية اليوم، مما يعني أن منطقة الخليج العربي كلها عبارة عن إمارات عربية وعشائر حكمت من الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية منه بدأ من منطقة المحمرة [*]بعربستان إلى منطقة مكرم وجوادر في باكستان والتي تبعت كلها في السابق إلى حكم المملكة العمانية مدة ثلاثة قرون كاملة قبل أن تسقط في أيدي القوات البرتغالية، خلال مطلع القرن السادس عشر للميلاد.

كما يعتبر مخطط احتلال منطقة القطيف من بين أهم المخططات البرتغالية التي دعت إليها في الأصل حكومة الشاه إسماعيل الصفوي، منذ توقيع الاتفاق البرتغالي والصفوي في عام 1515م بحيث اقترح سفير الشاه إسماعيل بأن تقدم حكومة البرتغال سفنا حربية إلى حكومة الشاه بإيران كي تمكنها من غزو منطقة البحرين والقطيف معا، إلى جانب أن يقوم البرتغاليون بقمع التمرد الحاصل في منطقة مكران واحتلال منطقة جوادر بباكستان كذلك [2]، هو ما تم تنفيذه فعلا من قبل البرتغاليين بعد مرور ستة سنوات كاملة على هذا الاتفاق بحيث شرعت حكومة البرتغال في الهند بقيادة لوبو سواريز في محاولة منها لفرض سيطرتها على جميع الموانئ التجارية المتواجدة في سواحل منطقة الخليج العربي، خصوصا بعد تمكنها من إخضاع مملكة هرمز والبحرين وسواحل عمان جميعا تحت سلطتها في عام 1521م.

فقد حاولت البرتغال بذلك فرض قوانينها التجارية على جميع تجار منطقة القطيف ومملكة هرمز والبحرين، كما أرادت كذلك أن تكون لها الهيمنة والسيطرة على جميع موانئ وبنادر منطقة الخليج العربي، من خلال تعيينها للقائد لوبو سواريز ولموظفين جمركيين في سائر الموانئ

---

(1) قدري قلعجي، الخليج العربي بحر الأساطير، دار الكتاب العربي، بيروت، 1960، ص26.
(*) المحمرة: هي المنطقة الجغرافية التي تعرف اليوم باسم الأهواز أو خوزستان، أنظر: علي بن إبراهيم الدرورة، المرجع السابق، ص12.
(2) الأحمدي سامي سعيد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1985، ص14.

الخليجية ومنها إلى موانئ القطيف كذلك مما دفع بسكان القطيف وتجارها إلى الخروج في تمرد عارم عرف باسم <<**ثورة الجمارك**>>، التي انطلقت من مدينة قلهات بهرمز وانتقلت بعدها إلى كامل مناطق القطيف وباقي سواحل البحرين ومنطقة صحار، بحيث واجه البرتغاليون انتفاضات متفرقة في كامل موانئ الخليج العربي، لتعم بعدها هذه الأحداث كامل مناطق الخليج العربي في يوم30نوفمبر عام1521م[1].

الجدير بالذكر أنه بالرغم من عدم اتحاد قوة حكام الخليج العربي وكبار شيوخه وساسته بسبب تنافسهم الشديد على مناطق النفوذ والحكم والحدود الداخلية بالخليج العربي، إلا أن قيام ثورة الجمارك كان لها الأثر الايجابي على عامة الشعب وفئاته من خلال التفاف العديد من الفئات الاجتماعية المختلفة على قضية واحدة، ألا وهي مهاجمة جميع القلاع والحصون العسكرية والتجارية لمملكة البرتغال في مناطق الخليج العربي، سواء من ناحية البر أو البحر في كل من البحرين وهرمز وقلهات ومسقط وصحار والقطيف لتدميرها، فلولا قوة المدافع البرتغالية وحصانة قلاعهم لتم تدمير جميع هذه الحاميات العسكرية خلال ثورة الجمارك[2].

فقد قتل في مملكة هرمز لوحدها حوالي أزيد من ستين جندي برتغالي [3]وأسر العديد من الجنود والتجار البرتغاليين كذلك تحت قيادة كبير تجار الهرامزة، الذي أحرق سفينتين برتغاليتين كانتا راسيتين بميناء هرمز بينما فر العديد من الجنود البرتغاليين الذين كانوا داخلها إلى قلعة هرمز من أجل الاحتماء فيها وانتظار الدعم والمدد القادم إليهم من قوات البرتغال بالهند في جوا.

لكن ثورة الجمارك لم يكتب لها النجاح في الأخير لتحقيق هدفها المتمثل في التخلص من هيمنة البرتغال التجارية على موانئ القطيف والخليج العربي، من خلال إرسال نائب حاكم البرتغال

---

(1) أحمد محمد عبيد بطي، <<الصراع العثماني البرتغالي في القرن السادس عشر الميلادي >>، ط1، ندوة الثقافة والعلوم الرابعة، دبي، السنة 1991، ص189، وللمزيد من الإيضاح كذلك أنظر: محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص242.

(2) محمد حميد السلمان، المرجع نفسه، ص295.

(3) Sousa Manuel De Farray, op.cit. p.263.

نقلا عن: محمد حميد السلمان، المرجع نفسه، ص294.

في الهند Duarte De Menezes(دورانت دي مينزيس)لنجدة سريعة من ميناء جوا بقيادة Dom Gonzalo(الدوم كونزالو)، مكونة من ثمانية سفن برتغالية مجهزة بسلاح المدفعية، هدفها هو إخماد هذه الثورة والتخلص من منفذيها ودعم النفوذ البرتغالي من جديد[1]في المنطقة بحيث تمكنت هذه الحملة البرتغالية من تحرير كامل الجنود المحاصرين داخل أسوار هذه القلعة والقضاء نهائيا على ثورة الجمارك وعلى منفذيها في عام 1522م.

بهذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن ثورات السكان المحليين بالخليج العربي لم تتوقف عند هذا الحد بل واصلت مقاومتها للاحتلال البرتغالي على فترات زمنية متقطعة، فهي غالبا ما كانت تثور على سياسة الحكم البرتغالي في تسيير تجارة المنطقة من خلال فرضهم للضرائب المجحفة في حق التجار، سوء معاملة السكان الخليجيين وكثرة الاعتداءات البرتغالية على الأعراض والشرف والممتلكات وإهانة المساجد ورموز الإسلام، بهذا فان الحكم البرتغالي في منطقة الخليج العربي لم يعرف الهدوء والاستقرار بتاتا ولا الخضوع التام كذلك، من خلال تجدد المقاومات الشعبية والفردية التي تلت ثورة الجمارك منذ عام 1521م إلى غاية عام 1537م، هي سنة تسليم منطقة القطيف نهائيا إلى العثمانيين تحت سلطة راشد بن مغامس شيخ قبائل المنتفق وحاكم مدينة البصرة[2]، هذا ما أثار مخاوف البرتغاليين أنفسهم عن ظروف استقرارهم بالمنطقة وما سوف يهدد مصالحهم الاقتصادية مستقبلا بمنطقة الخليج العربي[3].

د-محاولة البحرية البرتغالية السيطرة على طريق البحر الأحمر(1513م- 1538م):

إذا كانت الظروف السياسية والعسكرية قد سايرت البرتغاليين في الذراع الأول بالخليج العربي، رغم تلقيهم لمقاومة عنيفة من طرف قوات الجبور والعمانيين بمسقط ومنطقة البحرين، فما

(1) محمد حميد السلمان، المرجع السابق، ص300.
(2) محمد نصر مهنا، الخليج العربي التطور الحديث والمعاصر، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1996، ص23.
(3) أحمد محمد عبيد بطي، المرجع السابق، ص ص(192،193).

هو حال الذراع الثاني للجزيرة العربية بمياه البحر الأحمر؟ خصوصا إذا علمنا بأن السيطرة على هذا الذراع هي من بين أولويات سياسة مملكة البرتغال اقتصاديا وعسكريا في البحار الشرقية والخليجية؟ بحيث توالت المحاولات العسكرية للبحرية البرتغالية بقيادة ألفونسو دي ألبوكيرك وغيره من القادة البرتغاليين الذين حاولوا السيطرة على هذا الطريق البحري الجد هام في تجارة الدولة المملوكية من قبل ومن بعد فتح الدولة العثمانية لمصر وبلاد الشام[1].

باعتبار أن مدينة عدن هي مدخل وبوابة البحر الأحمر فقد ظل تحصينها الطبيعي عاملا هاما في عدم سقوطها بين أيدي القوات البرتغالية لمرات عديدة، حيث سعى ألبوكيرك في عام1513م إلى احتلالها لمرات عديدة لكنها امتنعت عليه بسبب قوة تحصينها طبيعيا من جهة ولقوة المقاومة التي تلقاها من جهة ثانية، لذلك فقد شكل ظهور العثمانيين في سواحل البحر الأحمر استمرارا لسياسة الدولة المملوكية في الدفاع عن هذه المنطقة من خلال تأمينها لطرق التجارة الإسلامية ومحاربتها لجميع التهديدات البرتغالية لها بتعزيز حصونها العسكرية في سواحل البحر الأحمر ولاسيما سواحل منطقة الحجاز لكونها الطريق المؤدية إلى مكة المكرمة، حيث اتخذ العثمانيون من ميناء السويس بمصر قاعدة بحرية خلفية وعسكرية وتجارية لهم في مخرج البحر الأحمر ومن ميناء عدن باليمن قاعدة أمامية بحرية عسكرية وتجارية في مدخل البحر الأحمر [2] من أجل حماية الأماكن المقدسة بالحجاز.

لذلك فقد ظل الوضع العسكري على حاله في مياه البحر الأحمر بعد سقوط دولة المماليك بيد العثمانيين إلى غاية استنجاد أشراف مكة بخاير بك، أول والي عثماني بمصر أثر محاولة غزوها من طرف حملة برتغالية بقيادة لوبو سواريز والذي فشل في ذلك، بعد إرسال خاير بك والي مصر لأسطول حربي مع القائد العثماني حسين الرومي [*]مع ثلاثمائة جندي إلى سواحل مدينة

---

(1) عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص121.

(2) J. Hammer, op.cit. p.301.

(*) الرومي: أي التركي في المصادر اليمنية و يعتبر حسين الرومي أول نائب للدولة العثمانية بجدة، أنظر: ابن إياس، المصدر السابق، ج4، ص195.

جدة من أجل إيقاف الأسطول البرتغالي المتوجه إلى مدينة مكة، حيث كان الانتصار من حليف القوات العثمانية التي ضمت بذلك جميع المناطق التابعة لدولة المماليك من شمال بلاد الشام إلى جنوب الساحل الغربي لليمن بتهامة، إذ بقيت بذلك سلطة عدن الداخلية بيد من تبقى من سلاطين الطاهريين باليمن.

الجدير بالملاحظة هو أن فتح العثمانيين لليمن وانضمامها إلى حكم الدولة العثمانية في عام 1538م، قد أعتبر عرقلة في استكمال مشروع البحرية البرتغالية في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي، ذلك بمنع البرتغاليين من التحكم في تجارة البحر الأحمر مثلما فعلوا في السابق في مياه الخليج العربي، فما كان على قوات الأسطول البرتغالي إلا التوجه إلى ساحل البحر الأحمر الإفريقي والمقابل للساحل اليمني، من أجل تقوية دفاعاتهم وحصونهم بتجديد علاقاتهم السياسية والعسكرية مع ملوك الحبشة حلفائهم في الجهة الشرقية [1]، لاستكمال مشروعهم التوسعي الكبير في منطقة حساسة ذات أبعاد جيو إستراتيجية(GEOSTRATEGIQUE) جد هامة.

ليراقبوا كذلك تحركات الأسطول العثماني عن قرب من ميناء عدن باليمن إلى ميناء السويس بمصر، متحينين بذلك الفرصة المواتية لانقضاض على الأسطول العثماني المسيطر على مدخل البحر الأحمر لتدميره، إذ غالبا ما حالت قوة العثمانيين وسيطرتهم على مضائق وممرات الشرق الأوسط والسويس والشام والبصرة وجنوب الجزيرة العربية، دون وصول الاستغلال الاقتصادي الأوروبي إليها مثلما حدث في منطقة جنوب شرق أسيا[2] .

---

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص201.

(2) عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث، المشرق العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص28، وأنظر كذلك: أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره(1800م-1830م)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2010، ص23.

"الفصل الرابع"

جهود البحرية العثمانية للحد من الأطماع البرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي(1523م-1554م).

-أولا: الصراع العثماني البرتغالي في مياه البحر الأحمر(1523م-1549م):

أ- حملة القائد سلمان ريس ومصطفى بك عام (1523م-1527م).

ب- حملة القائد بهرام بك ومصطفى بك عام (1530م-1531م).

ج- حملة القائد سليمان باشا الخادم ومعركة ديو البحرية عام1538م.

د- حملة القائد أزدمر باشا على بلاد السودان والحبشة عام 1547م.

هـ- حملة القائد بيري ريس على ميناء عدن أطوارها ونتائجها عام 1549م:

-نبذة عن شخصية بيري ريس.

-استرجاع بيري ريس لميناء عدن.

-ثانيا: الصراع العثماني البرتغالي في مياه الخليج العربي(1534م-1554م):

أ-فشل حملة بيري ريس على جزيرة هرمز بالخليج العربي وانعكاساتها عام 1552م.

ب-ظروف إعدام بيري ريس عام 1554م.

أولا/الصراع العثماني البرتغالي في مياه البحر الأحمر (1523م-1549م):

بعد أن تمكن العثمانيون من فتح بلاد مصر في عام 1517م مكنهم هذا الفتح من الإطلال مباشرة على مياه البحر الأحمر، ما يعني تلقيهم لمسؤولية جديدة توجب عليهم إتباع نفس مسؤولية دولة المماليك في مواجهة الخطر البرتغالي وحماية المقدسات الإسلامية بالحجاز، ترى كيف سيواجه العثمانيون خطر البحرية البرتغالية في مياه البحر الأحمر؟ وهل سيكون مصير العثمانيين هو نفس مصير المماليك الذين فشلوا في إيقاف هذا الزحف البرتغالي على المنطقة والذي بدوره يهدد مصالحهم الاقتصادية والدينية والسياسية في جنوب شبه الجزيرة العربية؟.

أ- حملة القائد سلمان رئيس ومصطفى بك عام(1523م-1527م):

لقد عين السلطان العثماني سليم الأول بعد فتحه لمصر عام 1517م، سلمان ريس كقائد للبحرية العثمانية برتبة قابودان باشا (*)والذي أطلق عليه فيما بعد اسم " قائد السويس" (1)، كما أطلق عليه كذلك اسم قبطان مصر وقبطان الهند والذي سوف يتلقى بدوره مسؤولية كبيرة في مياه البحر الأحمر وجميع البحار المتصلة بهذا البحر فيما بعد، حيث كان سلمان ريس مستقلا في منصبه هذا كلواء بحري عن قائد القوات البحرية في مدينة اسطنبول، إذ كان يخضع مباشرة إلى أوامر والي مصر إبراهيم باشا في إدارة الشؤون المالية والاقتصادية للدولة، في نفس الوقت هو مسئول عن المهام العسكرية للبحرية العثمانية بالبحر الأحمر أمام السلطان العثماني في اسطنبول.

(*) قبودان باشا أو قبطان باشا: هو القائد العام لقوات البحرية العثمانية إذ كان لكل ميناء عثماني في مصر قابودان، حيث وجد قابودان الإسكندرية وقابودان رشيد وقابودان دمياط والسويس، أنظر: ليلى عبد اللطيف أحمد، الإدارة في مصر في العصر العثماني، مطبعة جامعة شمس، القاهرة، 1978، ص452، وأنظر كذلك: محمد دراج، المرجع السابق، ص44.

(1) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص324.

حيث بدأت أولى خطوات تحضيرات السلطان سليم الأول في مياه البحر الأحمر من خلال توسيعه لمصنع صناعة السفن الحربية بشكل كبير جدا، مع إنشائه لسفن حربية جديدة تصلح كذلك للإبحار في مياه البحر الأحمر الذي يختلف في شعابه عن البحار الأخرى[1]، لكن بعد وفاة السلطان سليم الأول(1512م-1520م)خلفه ابنه السلطان سليمان القانوني(1520م-1566م) الذي عمل جاهدا على استكمال مشروع أبيه في البحار الشرقية والخليجية، خلال فترة حكمه نشبت العديد من الخلافات الإدارية والعسكرية بين القائد حسين الرومي نائب حاكم مدينة جدة وبين سلمان ريس قائد الأسطول العثماني في ميناء السويس بمصر، من أجل توليهما للحكم والسلطة في مدينة زبيد باليمن، التي تمكن حسين الرومي من إخضاعها بالقوة بعد مساعدة أسطول سلمان ريس خلال حملته على مدينة زبيد باليمن، لذلك خشي حسين الرومي على نفسه من أن يقتله هذا الأخير فهرب إلى والي مصر إبراهيم باشا في عام 1524م، ليطلب الحماية منه لكن سلمان ريس نجح في تأليب والي مصر إبراهيم باشا ضده فعزله هذا الأخير من منصبه حيث يذكر لنا النهروالي ما قاله سلمان ريس لوالي مصر في قوله:<<... **بأن حسين الرومي لا يصلح لحكم مصر لأنه عاجز عن حفظها...**>>[2].

على اثر هذه الاعتداءات البرتغالية المتكررة في مياه البحر الأحمر وعلى سفن التجار المسلمين، ما ترتب عنها من خسائر مادية وبشرية خرج سلمان ريس على رأس حملة بحرية من ميناء السويس بمصر في عام 1523م من أجل تحرير جزر كاماران أو كمران المقابلة لبلاد اليمن مباشرة والتي احتلها البرتغاليون وتمكنوا من السيطرة عليها، بحيث جهز سلمان ريس لهذه الحملة حوالي أربعة ألاف جندي من المشاة بقيادة خير الدين حمزة بك وبعد مواجهة عنيفة دارت بين الطرفين تمكن العثمانيون من خلالها من إخراج القوات البرتغالية المتواجدة في هذه الجزر وإحكام سيطرتهم العسكرية عليها[3].

(1) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص146.
(2) سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص ص(134،135).
(3) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص325.

بعد ذلك قام سلمان ريس بتأسيس قاعدة عسكرية للعثمانيين في جزر كاماران وعين لها القائد خواجة صفر ريس كمسئول عليها في عام 1527م، حيث تمكن سلمان باشا من إقامة ركائز الحكم والإدارة العثمانية في بلاد اليمن إلا أن الخلاف الذي وقع بينه وبين قائده خير الدين حمزة بك على كيفية تسيير أمور الإدارة الداخلية، لشؤون البحرية العثمانية بمياه البحر الأحمر جعل الطرفان يحتكمان إلى المبارزة التي مات فيها القائد سلمان ريس على يد القائد حمزة بك حينها قام القائد العثماني مصطفى بك ابن أخ سلمان ريس بقتل القائد حمزة بك في مبارزة أخرى دارت بين الاثنين، ليعلن على إثرها الديوان العثماني تعيينه للقائد مصطفى بك كوالي على بلاد اليمن لكن تفاقم الخلافات الإدارية والعسكرية التي دارت بين مختلف قادة جيش المشاة العثماني وبين قادة الأسطول البحري في بلاد اليمن بقيادة الحاكم الجديد لليمن مصطفى بك، لم تكن لتسمح ببقاء هذا الأخير في منصبه كحاكم لبلاد اليمن بسب قتله للقائد خير الدين حمزة بك[1].

مما دفع بالديوان العثماني إلى أمر القائد مصطفى بك إلى الرجوع لحكم قاعدة كمران العسكرية، كما قام الديوان العثماني بعدها بتعيين كل من القائدين علي ريس كوالي على بلاد اليمن وأحمد بك ابن سلمان ريس كمساعد له في مكان القائد مصطفى بك، بحيث يعتبر الاثنان من بين خيرة القادة بالأسطول العثماني مما يدل بصراحة على سياسة الدولة العثمانية التي ترتكز على تنشيط قوة الأسطول البحري بمياه البحر الأحمر لصد قوة الأسطول البرتغالي المتمركز في السواحل الغربية من هذا البحر[2].

ب- حملة القائد بهرام بك ومصطفى بك عام (1530م-1531م):

توجه القائد العثماني بهرام بك ومصطفى بك ومساعدهما خواجة صفر ريس من جزيرة كمران إلى ميناء الشحر بالهند في عام 1530م، إذ التحق كل من القائد مصطفى بك ومن معه من القادة عند وصولهم إلى بلاد الهند في خدمة سلطان حاكم مدينة كجرات "بهادر شاه"، الذي

(1) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص325 .
(2) يلماز أوزتونا، المرجع نفسه، ص325.

استغاث قبل ذلك بسلطان الدولة العثمانية سليمان القانوني من أجل وضع حد للخطر البرتغالي المتواجد هناك، فأرسل له سلطان بني عثمان هذا الدعم والمدد العسكري من أجل ذلك، فقد أكرم سلطان مدينة كجرات بهادر شاه وفادت القادة الثلاثة ولقب مصطفى بك بلقب "رومي خان" وعينه لحماية ميناء ديو، لقب خواجه صفر بلقب "خوداوند خان"(1) وعينه لحماية ميناء الشحر بالهند.

بحيث منح السلطان العثماني حاكم مدينة كجرات ما يلزمه من مساعدات عسكرية من مدافع وبارود مع مائتي جندي بحارة مع قادته الثلاثة، بعد تحذيره كذلك من عدم قبول أية مساعدة برتغالية تقدم إليه مع تركه للقائد خواجة صفر هناك من أجل حماية ميناء الشحر مع أسطوله العسكري الذي تمكن بدوره من رد الحملة البرتغالية التي جاءت إلى هذا الميناء بعد عودة القائد بهرام بك إلى ميناء السويس بمصر في يوم 02 نوفمبر 1530م، بعدها غادر القائد خواجة صفر من ميناء الشحر في يوم 04 مارس 1531م، ليلتحق بعد ذلك بقائده مصطفى بك المتواجد في مدينة كجرات مع سلطانها بهادر شاه في منطقة جامبانير بديو، حيث تواجد على رأس هذا الأسطول الكجراتي الملك دوغان ابن الملك آيازبك القادم من مدينة اسطنبول(2).

خلال ذلك كان القائد البرتغالي Nono Da Cunha(نونو دا كونها) قد خرج بأسطوله الحربي من القاعدة البرتغالية في ميناء جوا بالهند يوم 06 جانفي 1531م، ليصل بعدها إلى ميناء ديو في يوم 06 فيفري 1531م على رأس قوة بحرية متكونة من مائة وتسعين سفينة حربية ومائتين وعشرة سفينة لنقل الجنود، هنالك وقعت معركة دافع فيها كل من الأميرال دوغان والقائد مصطفى بك وخواجة صفر عن مدينة ديو، ليتمكن خلالها الأسطول العثماني من إغراق حوالي أربعين سفينة برتغالية وحجز عشرين سفينة أخرى وقتل حوالي مائة وخمسين جندي برتغالي والعديد من الهندوس الذين استعان بهم البرتغاليون في شن هذه الحملة ضد حاكم مدينة ديو (3)وبعد هذا

(1) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ص(38،39).
(2) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص326.
(3) يلماز أوزتونا، المرجع نفسه، ص326.

الانتصار الذي حققته البحرية العثمانية عين حاكم كجرات بهادر شاه القائد مصطفى بك قائدا على ميناء سورات(*)، وأميرالا على منطقة خليج كامبي كذلك.

لكن بدل أن يتعاون القائد مصطفى بك مع الأميرال دوغان الذي اكتسب شهرة واسعة النطاق في مواجهة البرتغاليين بمياه المحيط الهندي، تعاون هذا الأخير مع القائد ابن سلمان ريس وابن أخيه اللذين لم تكن لهما الخبرة الكافية والدهاء الكبير كدهاء الإخوة بربروس (*)، بحيث تأمر الاثنين ضد القائد دوغان وألبوا سلطان كجرات بهادر شاه عليه فقتله، مما أنهى أمل الحصول على هيمنة عثمانية طويلة المدى في مياه المحيط الهندي [1]، نتيجة بعض الدسائس والضغائن التي انتهت كلها بفشل القائد بهرام بك في صد الخطر البرتغالي المتمركز جيدا في هذه المياه.

ج- حملة سليمان باشا الخادم ومعركة ديو البحرية عام 1538م:

إنها الحملة العثمانية الثانية التي تخرج من ميناء السويس بمصر بعد حملة الأمير حسين الكردي الأولى في عام 1509م، من أجل محاربة الخطر البرتغالي في مياه المحيط الهندي حيث كانت هذه الحملة العسكرية جد ضخمة لأهميتها الإستراتيجية لدى العثمانيين، إذ تكونت من حوالي ثمانين سفينة من مختلف الأنواع والأحجام سواء من برشة أو غربان [2]تحمل كلها حوالي عشرين ألف جندي تحت قيادة سليمان باشا الخادم والي مصر، حيث غادرت هذه الحملة ميناء السويس بمصر في يوم27جويلية1538م، لتتجه بعدها إلى سواحل بلاد الهند ويعود سبب تجهيز هذه الحملة إلى ما يلي:

(*) سورات: هي عبارة عن ميناء متواجد بساحل مليبار بالهند كان له دور هام في التبادل التجاري بالمحيط الهندي، أنظر: نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص173.

(*) الإخوة بربروس: هي صفة أطلقها الفرنسيون عليهم وتعني أصحاب اللحية الشقراء أو الحمراء، هم الإخوة عروج إسحاق ومحمد الياس وخير الدين، أنظر: أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 10، وأنظر حول دهاء وخبرة الإخوة بربروس بفن القيادة البحرية: يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص326.

(1) يلماز أوزتونا، المرجع نفسه، ص326.

(2) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص38.

–تزايد الخطر البرتغالي في مياه البحر الأحمر وبحر العرب عقب فشل حملة الأمير حسين الكردي الأولى في عام1509.

–امتداد النفوذ العثماني إلى مياه الخليج العربي بعد فتح بلاد العراق في عام 1534م، زيادة التعاون البرتغالي الصفوي ضد الدولة العثمانية في المنطقة وفق تخطيط محكم.

–قتل البرتغاليين للسلطان بهادر شاه حاكم كجرات في عام 1537م بسبب اتصاله بالعثمانيين وطلبه النجدة منهم ضد الخطر البرتغالي المتواجد هناك [1]، حيث خلف السلطان بهادر شاه في حكم كجرات بالهند ابنه السلطان "محمود بيكر مظفر شاه" بعدما نصبه البرتغاليون بدل أبيه، هذا ما أثار غضب السلطان سليمان القانوني نفسه.

لذلك رأى العثمانيون ضرورة السيطرة على بلاد اليمن وذلك حينما صدرت الأوامر السلطانية لسليمان باشا الخادم والي مصر، بتجهيز حملة بحرية استعان فيها بخبراء فنيين من بنادقة في بناء هذه السفن الحربية حيث اكتمل تجهيز هذا الأسطول الحربي في عام 1537م لكن هذه الحملة قد تحولت عن هدفها الأساسي والذي هو إعادة الاعتبار لحركة التجارة الإسلامية بمياه المحيط الهندي، لتتحول فيما بعد إلى صراع عسكري بين العثمانيين والقوى المحلية باليمن من بني طاهر من أجل تبعية بلاد اليمن تحت حكم الدولة العثمانية[2].

حيث مرت هذه الحملة العثمانية قبل وصولها إلى بلاد الهند على أمراء الأقاليم الإسلامية في سواحل البحر الأحمر واليمن، طلب قائدها سليمان باشا الخادم من حاكم عدن والشحر والطويرق الدخول تحت حكم الدولة العثمانية، فوافق الجميع لذلك إلا أن الأمير عامر بن داود الطاهري ظل يفاوض العثمانيين ولم يقبل بذلك لكن سليمان باشا الخادم غدر به وقتله بعد أن فتح الأمير عامر بن داود باب المدينة له، حيث ذكر لنا الأميرال إسماعيل سهرنك في حوادث سنة 944هجرية والموافق لعام 1537م أطوار هذه الحادثة بالتفصيل الدقيق فيقول:

---

(1) فالح حنظل، العرب والبرتغال في التاريخ، منشورات المجمع الثقافي بإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، 1997، ص334.
(2) جلال يحي، المرجع السابق، ص399.

<<استغاث بهادر شاه حاكم كجرات من بلاد الهند بالسلطان سليمان القانوني، لتعديات أساطيل البرتغال على بلاده ومنعها للمواصلات التجارية التي كانت بينها وبين الديار المصرية فأصدر السلطان أوامره إلى الخادم سليمان باشا والي مصر... فشيد ستين غرابا وثلاثين سفينة وجهزها بالمدافع والأدوات الحربية في زمن وجيز، ومر في ذهابه إلى الهند بعدن وقتل أميرها عامر بن داود وستة نفر من أصحابه ونصب عليها أحد ضباطه المسمى بهرام بك وترك معه بعض الجنود والمدافع ثم أقلع إلى الهند، ومع ما بذله من مجهود بجهات ديو لم يتمكن من طرد البرتغاليين عن تلك الأطراف...>>[1].

حيث قام الباشا سليمان الخادم بإبادة آل طاهر كلهم ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم وانتهاج أساليب قمعية وتعسفية بحجة الخيانة والتواطؤ مع العدو البرتغالي، باتهامه لآل طاهر بتقديم مختلف التسهيلات العسكرية للبرتغاليين ضد الدولة العثمانية [2]في المنطقة، ليقوم الباشا سليمان بعد ذلك بتعيين القائد بهرام بك حاكما على مدينة عدن مع إمداده بحوالي ستمائة جندي انكشاري[*]، بذلك يعتبر القائد بهرام بك أول حاكم عثماني على مدينة عدن من بعد حكم بني طاهر لها ليتجه بعدها سليمان باشا بأسطوله إلى بلاد الهند مرورا بميناء الشحر، الذي استولى فيه الباشا على ستة سفن برتغالية وأسر فيه ما يقارب مائة وستين بحارا برتغاليا كذلك ليضمهم إليه في حملته إلى بلاد الهند.

كما أرسل بعدها السلطان محمود الذي خلف أباه بهادر شاه في حكم كجرات أسطولا عسكريا كبيرا لمساعدة حملة سليمان باشا الخادم، الذي كان هدفه هو إخراج البرتغاليين من قلعة ديو التي تمكن الباشا من محاصرتها بأسطوله ومدافعه الثقيلة قرابة عشرين يوم ليلحق بعدها

---

(1) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص ص(88،89).

(2) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص327، وأنظر أيضا: فاروق عثمان أباظة، المرجع السابق، ص 141.

(*) انكشاري: كلمة تركية الأصل مركبة من كلمتين (yani) وتعني الجديد (Cery)بمعنى العسكر، أي العسكر الجديد وهو جيش من المشاة أنشئ في عهد السلطان أورخان عام 1326م، أعتمد في تأسيسه على أبناء النصارى البلقان بعد جلبهم صغارا في السن وتعليمهم تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية ثم فنون القتال بعد بلوغهم سن الرشد، كان شعارهم هو: **"الإسلام ديننا والسلطان أبونا والثكنة مسكننا"**، أنظر: عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص ص(48،49)، وأنظر كذلك: أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص19.

الأسطول العثماني بقوات القائد Antonio Da Sylverai (أنطونيو دا سيلفيريا) خسائر مادية وبشرية جد كبيرة، لكن الباشا سرعان ما رفع هذا الحصار البحري عن القلعة لأسباب سياسية أكثر مما هي عسكرية[3]حيث أمر جنوده بالانسحاب فورا من القلعة ليتجه بعدها إلى ميناء عدن باليمن بعدما وصل إليه خبر الدعم العسكري الذي أتى لمساندة القوات البرتغالية المحاصرة في قلعة ديو بالهند من طرف القوات العثمانية، هذا ما أعطى الفرصة جديدة للبرتغاليين من أجل التحالف مع القائد خداوند خان(خواجة صفر)والسلطان محمود بيكر مضفر شاه ضد الباشا سليمان الخادم خصوصا بعد تخوفهم منه بقتلهم مثلما فعل مع الأمير عامر بن داود الطاهري حاكم مدينة عدن باليمن[1].

مما تجدر بنا الإشارة إليه هنا أن سبب فشل حملة سليمان باشا الخادم ضد البرتغاليين في ميناء ديو بالهند ترجع إلى أسلوب الباشا الخطأ في التعامل مع هذه الظروف الصعبة، علما بأن الباشا بعد عودته إلى ميناء عدن باليمن قد أرسل رسالة إلى حاكم كجرات بالهند السلطان محمود يحمله فيها مسؤولية فشل الحملة التي أعدها بعناية حسب قوله، كما اتهمه كذلك فيها بالخيانة من خلال تحالفه مع البرتغاليين رغم طلبه العون من العثمانيين من قبل [2]، إضافة إلى ذلك فان أسطول هذه الحملة كانت سفنه مطابقة تماما لمواصفات سفن حوض البحر الأبيض المتوسط والتي لا يمكنها التحرك بسهولة في مياه المحيط الهندي، كذلك نلاحظ أنه لا يوجد تجانس بين

---

(3) يلماز أوزتونا، المرجع نفسه، ص328.

(1) يظهر لنا جليا بأن شخصية قائد هذه الحملة سليمان باشا الخادم لم تكن لتؤهله لقيادة هذه الحملة فقد سرى إليه ضعف العقل والرأي والتدبير، فلم يكن ذا صلة بالبحرية العثمانية فقد كان من العبيد الخصي الذين عاشوا في القصر السلطاني، كما تميز بميله إلى الغدر وسفك الدماء فما قام به مع الأمير عامر بن داود الطاهري بعث الشك والريبة في قلوب حكام مماليك الهند، أعطى صورة سيئة جدا عن الدولة العثمانية، أنظر: مصطفى محمد رمضان، المرجع السابق، ص ص(94،95)، وأنظر عن تحالف البرتغاليين مع حكام بلاد الهند ضد الباشا سليمان الخادم: يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص328، وللمزيد من الإيضاح كذلك أنظر: محمد عبد اللطيف البحراوي، المرجع السابق، ص ص(154،155).

(2) نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين في الحد من التهديد البرتغالي للنشاط التجاري في الخليج العربي من خلال الوثائق العثمانية(1538م-1559م)، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، د ت، ص08.

جنود هذه الحملة حيث نجدها تتكون من أسرى برتغاليين يكنون الحقد الدفين للعثمانيين وفنيين من بنادقة وهنود كجراتيين ما جعل هذه الحملة تفشل في تحقيق هدفها بميناء ديو بـالهند[3].

بعدما عاد سليمان باشا بأسطوله إلى ميناء عدن باليمن أبقى على قوة عثمانية ضمت حوالي خمسمائة جندي انكشاري وخمس سفن حربية هناك [4]، ذلك من أجل أن يمنع البرتغاليين من عبور مدخل البحر الأحمر في حالة ملاحقتهم له ليواصل خلالها الإبحار مع بقية أسطوله إلى ميناء السويس بمصر، كما مكث الباشا سليمان بميناء الشحر وعدن ومخا باليمن بعد أن تفقد جميع سواحل عمان وحضر موت، التي أخضعها بدوره تحت سلطة الدولة العثمانية مقدما خلالها مساعدات عسكرية إلى مسلمي اريتريا والصومال من بنادق ومدافع ضخمة، من أجل مواجهة الخطر البرتغالي هناك وحليفته مملكة الحبشة مع تعيينه للقائد مصطفى بك كوالي على بلاد اليمن[1].

بعد نهاية مهمة سليمان باشا في هذه المنطقة توجه بأسطوله إلى ميناء جدة في يوم13مارس1539م، خلالها كان الديوان العثماني باسطنبول قد أمر الباشا بالحضور فورا إلى مقر الآستانة بالقصر السلطاني من أجل تقديم تقرير مفصل عن نتائج حملة على ميناء ديو بالهند، حيث أبقى الباشا خلالها أسطوله في ميناء السويس بمصر وذهب بعدها إلى مقر الديوان العثماني باسطنبول والذي أجمع بأغلبيته على أن حملة الباشا على ميناء ديو ناجحة رغم معارضة البعض لها داخل مقر الديوان العثماني[2].

خلال ذلك كان الأسطول البرتغالي قد قرر الانتقام من حملة الباشا على ميناء ديو بالهند فقام بإحراق وتدمير بعض سفن البحرية العثمانية المتواجدة هناك في مياه البحر الأحمر، كما أحرق البرتغاليون كذلك ميناء سواكن واتجهوا بعدها من أجل تدمير أسطول الباشا المتواجد في ميناء جدة لكن البحرية العثمانية دحرتهم في معركة مصوع في عام 1540م، فكان رد البرتغاليين

(3) نبيل عبد الحي رضوان، المرجع نفسه، ص08.
(4) النهروالي، المصدر السابق، ص ص82-84.
(1) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص329.
(2) يلماز أوزتونا، المرجع نفسه، ص330.

على هذه الهزيمة النكراء بغارة بحرية جديدة على القاعدة البحرية للعثمانيين في ميناء السويس بمصر في عام 1541م، مما لفت أنظار العثمانيين على بلاد الحبشة حيث فكروا على اثر ذلك في تأسيس قاعدة عسكرية لهم فيها تشكل المنطلق من أجل حماية مدخل البحر الأحمر(3).

الجدير بالذكر أنه من بين أهم نتائج حملة الباشا سليمان الخادم على ميناء ديو بالهند انتعاش التجارة الإسلامية من جديد، في حوض البحر الأبيض المتوسط مع منطقة أقصى شرق آسيا لكن هذه الحملة قد هزت الوقت نفسه صورة الدولة العثمانية مع مسلمي بلاد الهند مما أدى إلى فشل قيام جبهة إسلامية موحدة أمام البرتغاليين، في أقصى منطقة شرق آسيا (1)خصوصا مع تجدد الصراع السياسي والعسكري بين الولاة العثمانيين والأئمة الزيديين على حكم بلاد اليمن قرابة قرن كامل(1538م-1638م)(2)، كل هذا جعل مهمة ميناء عدن باليمن لا تتعدى كونها نقطة حماية فقط للعثمانيين وليست نقطة ارتكاز للانقضاض على البحرية البرتغالية في مياه المحيط الهندي(3)، رغم تعيين السلطان العثماني سليمان القانوني لكل من القائدين بهرام بك ومصطفى بك لحكم مدينة عدن وزبيد باليمن، هذا ما يعني إنهاء حكم القوى المحلية المناوأة لهم في المناطق الداخلية باليمن والمتمثلة في الإمامة الزيدية ولو حتى مؤقتا، علية أخذت الدولة العثمانية تخطط للانفتاح على مياه المحيط الهندي من معبر جديد ألا وهو معبر الخليج العربي (4)والذي حاولت جاهدة السيطرة عليه والتحكم في مياهه الإقليمية.

د- حملة القائد أزدمر باشا على بلاد السودان والحبشة عام 1547م:

(3) نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص09.
(1) مصطفى محمد رمضان، المرجع السابق، ص95.
(2) فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن(1872م-1918م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979، ص20.
(3) محمد عبد اللطيف البحراوي، المرجع السابق، ص159.
(4) نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص09.

لقد عين السلطان سليمان القانوني على بلاد اليمن واليا جديدا في عام 1546م هو القائد أويس باشا من أجل تثبيت إستراتيجية العثمانيين في المنطقة والقائمة على الدفاع عن مدخل البحر الأحمر، العمل على توحيد بلاد اليمن خصوصا بعد عودة الاضطرابات الداخلية إليها من طرف الأئمة الزيديين، حيث تمكن أويس باشا من استرجاع مدينة تعز في نفس السنة لكن حركة التوسع العثماني في المنطقة قد توقفت بسبب مقتل أويس باشا في جنوب مدينة صنعاء وبالتحديد في منطقة ذمار في عام 1547م على يد الأئمة الزيديين، لذلك عين السلطان العثماني خلفا له القائد أزدمر باشا من أجل استكمال المهام في بلاد اليمن، حيث بسط هذا الأخير كامل سيطرته على بلاد اليمن واسترجع مدينة تعز وذمار وصنعاء من القوى الزيدية في اليمن، ليثبت رسميا في منصب والي اليمن من طرف السلطان سليمان القانوني في عام 1549م[1].

حيث يعتبر القائد أزدمر باشا أو أوزدمير بك من بين القادة الكبار الذين شاركوا في حملة سليمان باشا الخادم على ميناء ديو بالهند برتبة لواء، كما عمل أزدمر باشا في الأسطول العثماني كمستشار للباشا سليمان الخادم في القضايا العسكرية الخاصة ببلاد الحبشة وجنوب شبه الجزيرة العربية، هو من بين أتراك مصر حيث أرسله سليمان باشا قبل ذهابه إلى مدينة اسطنبول من أجل استكشاف منطقة سواكن بالبحر الحمر، مما دفع بالديوان العثماني إلى تقديم مختلف التسهيلات العسكرية لكامل ولاة مصر من أجل تعزيز هذه الجبهة الحساسة بالذات، حيث تمكن هذا الأخير من ضم منطقة اريتريا أكبر أقاليم الصومال وأجزاء من أقاليم الحبشة إلى حكم ولاية مصر[2].

مما دفع بالعثمانيين إلى تأسيس ايالة الحبشة مع تعيين القائد أزدمر باشا واليا عليها بحيث أستبعد هذا الأخير من حكم بلاد اليمن، بسبب الخلاف الذي وقع بينه وبين القائد العثماني مصطفى النشار والذي أبدى بدوره تفهما واضحا في مسايرة الأئمة الزيديين ببلاد اليمن، إذ عرفت اليمن نوعا من الاستقرار السياسي في فترة حكمه ما وفر على العثمانيين جهودا عسكرية كبيرة

---

(1) جلال يحي، المرجع السابق، ص402.
(2) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص331.

للتفرغ إلى السيطرة على منطقة الحبشة [3]، كذلك خضعت منطقة هرر بالحبشة إلى سلطة العثمانيين عسكريا بقيادة القائد إبراهيم أوغلوا أحمد غزان(1506م–1543م)، إذ هدفت سياسة العثمانيين في المنطقة إلى إبعاد مملكة الحبشة المسيحية عن التعاون مع البرتغاليين في البحار الشرقية والخليجية، التي كانت تعتبر من بين أهم الحلفاء الاستراتيجيين لمملكة البرتغال في مياه البحر الأحمر[4].

كرد فعل على ذلك عملت البرتغال على استرداد نفوذها في منطقة الحبشة من خلال إرسالها لمساعدات عسكرية إلى ملكها Glàvdédos (قلافديدوس)(1540م–1559م)، في عام 1541م تمثلت في مجموعة من البنادق والمدافع التي تمكن على أثرها الملك قلافديدوس من إلحاق الهزيمة بالقائد العثماني أحمد غزان، إجباره كذلك على الانسحاب من جزء كبير من الأراضي الحبشية، على أثر ذلك أرسل والي اليمن مصطفى باشا إلى أحمد غزان المدد العسكري المتكون من عشرة مدافع وتسعمائة جندي انكشاري [1]تمكن خلالها القائد أحمد غزان من استرداد المنطقة المسلوبة منه، أسر القائد البرتغالي Don Christopher De Gama(الدون كريستوفر دي قاما) في معركة Afla(آفلا) في عام 1542م، قام بقتله وأرسل رأسه إلى والي اليمن مصطفى باشا في مدينة زبيد ومن أهم نتائج معركة آفلا هو تقوية الوجود العثماني في بلاد الحبشة بشكل واسع لكن استمرار الغارات البرتغالية على المنطقة أدى إلى استشهاد القائد أحمد غزان بتاريخ21فيفري1543م، ليخلفه بعد ذلك الأمير عباس في حكم بلاد الحبشة حيث ألزمت الدولة العثمانية أهل الذمة الغير مسلمين على دفع ضرائب سنوية إلى خزينة الدولة باسطنبول[2].

بعد هذا الانتصار الذي حققه العثمانيون في بلاد الحبشة والسودان كان الديوان العثماني قد استدعى القائد أزدمر باشا إلى اسطنبول، ليتم ترقيته بعدها ويصبح أزدمر باشا هو المستشار السري الأول للسلطان سليمان القانوني، في تسيير شؤون حكم إفريقيا وبلاد الحبشة حيث بقي

(3) عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص ص(105،106).
(4) يلماز أوزتونا، المرجع نفسه، ص331، وأنظر كذلك: جلال يحي، المرجع نفسه، ص404.
(1) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص331.
(2) يلماز أوزتونا، المرجع نفسه، ص331.

ازدمر باشا لسنوات عديدة دون أن يكلفه السلطان العثماني بأي مهمة رسمية، ليعود بعدها إلى بلاد الحبشة للمرة الثانية أين توفي هنالك في عاصمتها مصوع عام 1562م وقد بلغ من العمر اثنين وستين سنة(3).

هـ-حملة القائد Piri Reis(بيري ريس)على ميناء عدن باليمن أطوارها ونتائجها عام 1549م:

نبذة عن شخصية بيري ريس: ترى من هو بيري ريس؟ وما هي الانجازات العسكرية والعلمية التي حققها للدولة العثمانية؟ وما أسباب إعدامه من طرف السلطان سليمان القانوني؟.

هو محي الدين بيري بن حاجي محمد ولد في مدينة غاليبولي (*) التركية لكننا لا نعرف التاريخ المحدد لولادته ربما مابين عام 1465م وعام 1470م، حيث يعتبر بيري ريس من بين أشهر البحارة الأتراك لكونه ملاح وجغرافي ماهر في رسم الخرائط الجغرافية امتلك كفاءة عسكرية جد عالية ودراية واسعة في أمور الملاحة البحرية، سبق له وأن شارك برتبة قبطان في السفينة الأميرالية التفتيشية المتوجهة إلى بلاد مصر بقيادة إبراهيم باشا، قد تقلد بيري ريس لوظائف سامية في الدولة حيث عمل كمستشار قانوني لوالي مصر في عام 1549م، كما كلف بمهمة استكمال جهود سليمان باشا الخادم العسكرية ضد البرتغاليين في مدينة عدن باليمن، لكنه لا يمكننا التحدث عن أعمال بيري ريس العسكرية دون التطرق إلى شخصية عمه كمال ريس(*)الذي عمل معه بيري

(3) يلماز أوزتونا، المرجع نفسه، ص332.
(*) غاليبولي: هي مدينة تركية تقع على الضفة الغربية من مضيق الدردنيل، هي أول موطن قدم للعثمانيين على البحار الأوروبية، شيد فيها العثمانيون ترسانة لصناعة السفن البحرية، أنظر: فيصل عبد الله الكندري، <<الملاح والجغرافي بيري ريس 1554م>>، رسائل جغرافية، السنة 1999، العدد234، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، طباعة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 06، أنظر أيضا: حول شخصية بيري ريس الدراسة الجديدة والقيمة لشخصية بيري ريس والتي رجع فيها صاحبها إلى المصادر الأصلية العثمانية لهذه الشخصية التاريخية والجغرافية للدكتور فيصل عبد الله الكندري من جامعة الكويت.
(*) كمال ريس: هو عم بيري ريس الذي يعتبر من بين أشهر الأسماء التي عملت في الجهاد البحري ضد الأساطيل الأوروبية في سواحل غرب البحر الأبيض المتوسط، رفقة ابن أخيه بيري ريس لنجدة مسلمي الأندلس اتخذ من جزيرة جربة التونسية مركزا لانطلاق حملاته البحرية وقاعدة عسكرية لتحرير مسلمي شمال المغرب العربي، عينه السلطان بايزيد الثاني قائدا للأسطول العثماني عام 1494م، شارك في عدة مواقع

ريس في العديد من المهام العسكرية للبحرية العثمانية في السواحل الغربية لحوض البحر الأبيض المتوسط، حيث تميز كمال ريس بالقوة والشجاعة خصوصا وقد أخبرنا ابن إياس عن قوة وشجاعة كمال ريس في قوله بأنه:<<... **لا يكل ولا يمل من الجهاد في الفرنج ليلا ونهارا، حتى أعي الفرنج أمره، وأنه رأس المجاهدين المرابطين في الإسلام...**>>[1].

فخلال المرحلة التي قضاها بيري ريس مع عمه كمال ريس اكتسب هذا الأخير العديد من الخبرات والتجارب في حروب البحر ومعاركه، خصوصا في معارك البحرية العثمانية ضد فرسان القديس يوحنا[*]وحروب البحرية العثمانية ضد جمهورية البندقية في عام 1502م، إلى غاية وفاة عمه كمال ريس في عام 1511م[2]ليبتعد بيري ريس بعدها عن حروب البحر الأبيض المتوسط و معاركه ويقضي معظم أوقاته في ترسانة الأسطول العثماني بمدينة غاليبولي، ربما يرجع سبب تلك العزلة التي اتخذها بيري ريس إلى حزنه الشديد على موت عمه كمال ريس لاسيما وأنه أشار إلى حزنه الشديد عن فراقه لعمه في كتاب البحرية حينما قال:<< **بأنه غادرنا إلى الحياة الآخرة وتركنا وحيدين في هذه الدنيا**>>[3].

عسكرية كموقعة ليبانتوا عام 1500م توفي سنة 1511م بعد تحطم سفينته البحرية في شرق بحر ايجة ليموت غرقا كما أخبرنا عنه بيري ريس في كتاب "البحرية" في قوله:<< **أن عمه كمال ريس خدم السلطان بايزيد الثاني بإخلاص لمدة سبعة عشر عاما إلى أن غرق في عام 1511م**>>، أنظر:

Piri Reis, Kitabi Bahriye, Ministry of Culture and Tourisme, Ankara, 1988, p.p.54-66.

وأنظر كذلك: محمد دراج، المرجع السابق، ص63، وللمزيد من الإيضاح أنظر أيضا:

Paul Kahle, <<Piri Reis The Turkish Sailor and Geographer>>, The Magazine of Pakistan Historical Society, Pakistan, 1965, vol1, p.p.05-99.

وأنظر: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص07.

(1) ابن إياس، المصدر السابق، ص119.

(*) فرسان القديس يوحنا: يعرفون عند العرب باسم الاسبتارية، هم طائفة دينية وعسكرية ظهرت أثناء فترة الحروب الصليبية في بيت المقدس خلال القرن الحادي عشر الميلادي، قاموا باستيلاء على جزيرة رودس عام 1309م ليتخذوها قاعدة عسكرية لعملياتهم الحربية ضد السفن الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط، تمكنت الدولة العثمانية من طردهم من جزيرة رودس في عام 1522م ليفروا بعدها إلى جزيرة مالطة، أنظر: عبد الرحيم العباسي، <<منح رب البرية في فتح رودس الأبية >>، تحقيق فيصل عبد الله الكندري، مجلة الرسالة، السنة1997، د ع، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ص122.

(2) Piri Reis, op.cit, p.66.

(3) فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص12.

خلال ذلك قام بيري ريس برسم خريطة العالم القديم والقارات الجديدة مع أمريكا في عام1513م بمدينة غاليبولي، التي كان قد اكتشفها قبل ذلك المستكشف الاسباني Christophe Colombus(كريستوف كولومبوس)حيث كتب بيري ريس في وسط هذه الخريطة من جهة اليسار:<< **كتبه الفقير بيري بن حاجي محمد المعروف بابن أخ كمال ريس غفر الله لهم جميعا في مدينة غاليبولي، في شهر محرم الحرام سنة1513م** >>[4].

كما استخدم بيري ريس في رسم هذه الخريطة عدة مصادر شرقية وغربية تصل إلى حد الأربع والثلاثين(34)خريطة، منها خريطة عربية عن المحيط الهندي وخرائط برتغالية وخريطة للرحالة الاسباني كريستوف كولومبوس، بعد انتهائه من رسم هذه الخريطة قام بيري ريس بعرضها على السلطان سليم الأول أثناء فترة تواجده في مدينة القاهرة بمصر عام 1517م[1]، كما أشار بيري ريس في كتابه" البحرية " بأن السلطان سليم الأول قد تكرم بقبول هذه الخريطة التي قدمت إليه من طرفه[2].

لقد أشار لنا بيري ريس في كتاب البحرية في وصف موجز كذلك لمختلف الاكتشافات البرتغالية التي تمت على يد ملاحين برتغاليين في غرب القارة الإفريقية، بفضل توجيهات الأسرة الحاكمة في مملكة البرتغال بداية من وصولهم إلى جنوب قارة إفريقيا حتى اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح ثم اتجاههم إلى غرب بلاد الهند وتهديدهم للتجارة الإسلامية وللاقتصاد الإسلامي وللأماكن المقدسة بالحجاز كذلك [3]، كما أوضح لنا بيري ريس أيضا كيفية تقدم البرتغاليين في منطقة أقصى شرق آسيا حتى وصولهم إلى مدينة ملقا بالهند، كيفية تجنبهم لمراكز المياه الحارة

---

(4) فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص13.

(1)Anderw Hess, The Evolution of Ottoman Empire in The 18Age of The Oceanic Discoveries(1453-1525), American Historical Review, vol Ixxv, America, 1970, p.1911.

وأنظر أيضا: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص15.

(2) Paul Kahle, op.cit, p.105.

(3) فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص20.

في المحيط الهندي وقدرتهم الكبيرة على تحديد مواقع سفنهم في المياه المفتوحة كذلك ونجاحهم في ذلك بالاعتماد على حركة الرياح الموسمية، أما عن منطقة الخليج العربي فقد خصص لها بيري ريس فصلا كاملا أشار فيه إلى أبرز الجزر الموجودة في مياه الخليج العربي وعن نشاط صيد اللؤلؤ هناك مشيرا في الوقت نفسه إلى سيطرة البرتغاليين على جزيرة هرمز، على حركة التجارة في المنطقة[4]حيث أنهى بيري ريس تأليف كتاب البحرية في نسخته الثانية في عام 1526م.

استرجاع بيري ريس لميناء عدن باليمن في عام 1549م:

بعدما تمكن العثمانيون من السيطرة على مدخل البحر الأحمر وساحل بلاد الحبشة وتحصين ميناء عدن في وجه الغزاة البرتغاليين، لكون ميناء عدن يمثل قاعدة عسكرية وإستراتيجية جد هامة بالنسبة العثمانيين في مياه البحر الأحمر وباعتباره القاعدة الدفاعية الأولى عن القاعدة العسكرية الثانية في ميناء السويس بمصر وعلى الأماكن المقدسة الموجودة في منطقة الحجاز[1]أيضا، لكن قيام الحركات الانفصالية [*]ضد حكم الدولة العثمانية في بلاد اليمن والتي كانت سببا مباشرا في استرجاع ميناء عدن من أيدي العثمانيين في عام 1546م، بقيادة علي بن سليمان الطولقي أحد شيوخ القبائل المجاورة لمدينة عدن باليمن والذي تمكن من طرد الحامية البرتغالية المتواجدة هناك [2]، لما وصل هذا الخبر إلى مسامع الدولة العثمانية باسطنبول قرر الديوان العثماني ضرورة استرجاع هذه القاعدة البحرية بسرعة لذلك عين الديوان العثماني القائد بيري ريس على رأس هذه الحملة العسكرية من أجل استرجاع ميناء عدن باليمن[3].

(4) Anderw Hess, op.cit, p.24.

(1) فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص26.

(*) الحركات الانفصالية: هي عبارة عن حركات استقلالية وتمردية وانفصالية عن حكم الدولة العثمانية قادها شيوخ القبائل والزعامات المحلية في البلدان العربية ضد حكم الدولة العثمانية، ذلك بتحريض من القوى الأوروبية المعادية لها وعلى رأسهم كل من روسيا والنمسا.

(2) إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص40-42.

(3) فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص27.

بعدما تم تعيين بيري ريس قائدا على هذه الحملة المكونة من ستين سفينة حربية خرج هذا الأخير من القاعدة البحرية العثمانية في ميناء السويس بمصر بتاريخ 29أكتوبر1537م، متجها بذلك إلى ميناء مخا باليمن من أجل مقابلة القائد "فرهاد باشا"، أمير أمراء اليمن الذي زوده بخمس سفن أخرى محملة بجنود الانكشارية، ليكمل بعدها بيري ريس طريقه باتجاه ميناء عدن باليمن حيث اقتضت خطة العثمانيين خلالها على أن يهاجم أمير مدينة عدن السابق "قاسم بك" المدينة من ناحية البر بينما يهاجم بيري ريس المدينة من ناحية البحر[4].

عندما اقترب أسطول بيري ريس من ميناء مدينة عدن قام الأسطول العثماني بإطلاق عدة قذائف من أجل ترهيب سكان المدينة، ليتقدم خلال ذلك الأمير قاسم بك على رأس قوة برية إلى مدينة عدن ما جعل علي بن سليمان أمير اليمن يخرج بقوة برية مكونة من ثلاثة ألاف فارس ليخوض الطرفان معا معركة عنيفة جدا، انتهت بقتل أمير اليمن علي بن سليمان على يد الجيش الانكشاري، خلالها كان محمد ابن علي بن سليمان قد راسل القوات البرتغالية ودعاهم إلى التدخل من أجل تخليص مدينة عدن من قبضة العثمانيين، لكن القوات العثمانية بقيادة بيري ريس قد فرضت حصارا بحريا وبريا محكما منع البرتغاليين من الدخول إلى ميناء المدينة بداية من يوم 19جانفي1549م[1].

خلال ذلك الحصار العسكري المضروب على مدينة عدن وميناءها من طرف البحرية العثمانية قرر بيري ريس التقرب من جهة البر المقابلة لباب اليمن، من أجل إنزال المدافع من السفن ووضعها على قمم التلال المطلة مباشرة على القلعة ليقوم بعدها الجيش العثماني بانجاز حواجز برية لحماية الجنود العثمانيين من أي خطر قادم إليهم، ليبدأ بعدها العثمانيون بقصف المدينة لمدة ثمانية عشر يوم كاملة، تمكنت خلالها القوات العثمانية من مهاجمة قلعة عدن واستردادها في يوم 03 فيفيري 1549م، ليتم بعدها قراءة الخطبة في مساجد مدينة عدن باسم

(4) فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص27.

(1) فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص27.

السلطان سليمان القانوني، على أثر ذلك النجاح العظيم الذي حققه بيري ريس قام الديوان العثماني بمنحه زعامات(*)كبيرة جدا بلغت قيمتها قرابة مائة ألف أقجة (*)(2)عرفانا له بالانجازات التي قدمها للدولة العثمانية.

بذلك يكون بيري ريس قد تمكن من استرجاع ميناء عدن والسيطرة على مدخل البحر الأحمر من جديد لمواجهة خطر الأساطيل البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية، ليعلن بعدها هذا الخبر في مدينة القاهرة وعلى اثر ذلك قام والي مصر داوود باشا بإخبار السلطان العثماني سليمان القانوني، بهذا الانتصار العظيم الذي حققه بيري ريس من خلال استرجاعه لميناء عدن من أيدي القوى المحلية باليمن في عام 1549م.

ثانيا/الصراع العثماني البرتغالي في مياه الخليج العربي(1534م-1552م):

تقع مدينة البصرة على شط العرب وعلى بعد أربعمائة وعشرين كيلومتر جنوب شرق مدينة بغداد، خلال الفترة التي كانت فيها الدولة العثمانية تسعى لتوطيد سيطرتها العسكرية على مياه البحر الأحمر، استغل البرتغاليون الفرصة من أجل ترسيخ أقدامهم في المنطقة الممتدة من جزيرة هرمز إلى جزر البحرين بالخليج العربي، كان هدف البرتغاليين من ذلك هو التحكم في حكام وأمراء جنوب شبه الجزيرة العربية وإخضاعهم لدفع الضرائب مقابل توفيرهم للحماية العسكرية لهم ومنحهم لحرية الملاحة في مياه الخليج العربي، فقد وصلت قيمة هذه الضرائب المدفوعة لخزينة

(*) زعامات: هي عبارة عن إقطاع فلاحي كبير المساحة يمنحه السلطان العثماني للفارس الذي يظهر كفاية قتالية كبيرة، كان يطلق على صاحب الزعامات زعيم ويدخل هذا الإقطاع لصاحبه دخلا معتبرا يصل إلى مائة ألف أقجة، أنظر: عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، المرجع السابق، ص132.

(*) أقجة: هي عملة فضية كانت تتداول في المعاملات النقدية للدولة العثمانية خلال تلك الفترة التاريخية، كل أقجة تحتوي على مائة ألف درهم عثماني، أنظر: محمد دراج، المرجع السابق، ص 23، وأنظر كذلك: أندري كلو، سليمان القانوني، ترجمة البشير بن سلامة، دار الجيل، بيروت، 1991، ص68.

(2) كاتب جلبي، تحفة الكبار في أسفار البحار، المطبعة البحرية، استانبول، 1329، ص61، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص29.

البرتغال بلشبونة في عام 1528م ما يقارب ستين ألف أشرفي [1]، ترى ما هي أسباب هذا الصراع؟ وما هي انعكاساته؟ وكيف ستواجه البحرية العثمانية البحرية البرتغالية المسيطرة على مدخل الخليج العربي في جزيرة هرمز؟ وهل سيتمكن العثمانيون من تحقيق نفس الانتصارات التي حققوها على البرتغاليين في مياه البحر الأحمر مع قابودان مصر والسويس بيري ريس؟

تعتبر حملة الدولة العثمانية على بلاد العراق حملة فرضتها الظروف العسكرية والمتغيرات السياسية والمتطلبات الاقتصادية كذلك، بحيث أن تجربة العثمانيين في مياه البحر الأحمر قد جعلتهم يقدرون مدى أهمية التوجه نحو ميناء البصرة بشط العرب، فالتحكم في طريق الحرير من تبريز إلى أرض روم ومنها إلى مدينة بورصة، بجانب طريق التجارة من مدينة البصرة باتجاه مدينة بغداد ثم إلى مدينة حلب يعتبر دعامة هامة لخط التجارة للاقتصاد العثماني[1].

كما أن انتزاع العثمانيين لبلاد العراق من الفرس في عام 1534م بقيادة السلطان سليمان القانوني جعل حاكم مدينة البصرة راشد بن مغامس، يسارع إلى إعلان ولائه للسلطان سليمان القانوني الذي وافق بدوره على ذلك وقام بتعين هذا الأخير كحاكم على مدينة البصرة، إضافة إلى ذلك فقد سارع شيوخ قبائل المنتفق وأمراء الجزر على شط العرب والحويز إلى إعلان ولائهم كذلك لسلطان بني عثمان، من خلال ما أرسلوه من رسائل ترحيب توضح في مضمونها رغبتهم في التعاون مع الدولة العثمانية عسكريا من أجل التصدي معا إلى العدو البرتغالي المتواجد بكثرة في مياه الخليج العربي، إضافة إلى كل ذلك فان حاجة هذه القبائل وشيوخها إلى سلطة سياسية قوية تنهي العداوة القائمة بينهم على الحدود الداخلية كان من بين الأمور التي قد اقتضتها الضرورة الملحة لذلك[2].

خلال ذلك كان السلطان سليمان القانوني قد أمر بتعين حاكم ديار بكر سليمان باشا الطويل كحاكم على مدينة بغداد بالعراق، كما أبقى فيها السلطان على حامية عسكرية عثمانية

---

(1) غسان علي رمال، المرجع السابق، ص39.

(1) نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص10.
(2) نبيل عبد الحي رضوان، المرجع نفسه، ص11.

مكونة من ألفين جندي انكشاري مزودين بمختلف الأسلحة الحربية الحديثة، فقد حرصت الدولة العثمانية على توطيد نفوذها في منطقة الإحساء والقطيف وعلى أية حال فان كلا من البرتغاليين والعثمانيين قد عملوا على تثبيت وجودهم في مناطق الخليج العربي منذ عام 1550م، حين رصد القائد البرتغالي Luis Figueira(لويس فيقورا) أربعة قدرغات [*] عثمانية بجوار منطقة رأس الحد متجهة بذلك إلى مدينة قلهات، حيث قامت السلطات البرتغالية في جزيرة هرمز بعدها بدعم دفاعات حصون مسقط وجلفار بعمان، أما العثمانيون فقد كانت الأوامر السلطانية من الباب العالي قد صدرت إلى القائد بيري ريس من أجل التوجه بأسطوله الحربي نحو مياه منطقة الخليج العربي، كما صدرت التعليمات العسكرية كذلك إلى حاكم مدينة البصرة قباد باشا من أجل الاستعداد لتجهيز السفن والجنود ويتضح من ذلك بأن هرمز هي هدف الحملة العثمانية القادمة[1].

أ/فشل حملة بيري ريس على جزيرة هرمز بالخليج العربي وانعكاساتها في عام 1552م:

ان دخول البحرية العثمانية إلى مياه الخليج العربي في النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد، جعلهم يقفون وجها لوجه مع قوات العدو البرتغالي التي تمكنت من فرض سيطرتها العسكرية على معظم مناطقها منذ عام 1507م، عندما تمكن القائد ألفونسو دي ألبوكيرك من السيطرة على موانئ الساحل العماني وعلى جزيرة هرمز وسواحل البحرين كذلك، بحيث زاد النشاط التجاري للبرتغاليين في مياه الخليج العربي خصوصا بين عامي 1550م و 1551م[2]، كما

(*) قدرغات: هي عبارة عن سفن بحرية طويلة وسريعة إذ يبلغ طولها ثلاثة وستون متر وعرضها ثمانية أمتار، هي سفن حربية شراعية كانت تستعمل قبل صنع السفن البخارية، تحتوي على خمس وعشرون مقعدا وكل مجداف يقوم بدفعة أربع أو خمس جدافين تمتاز بطولها وخفتها يتكون طاقمها من خمس وثلاثين بحار ومائة وستة وتسعين جداف ويمكنها حمل ثلاثة عشر مدفع، أنظر: محمد دراج المرجع السابق، ص 50، وللمزيد من الإيضاح كذلك أنظر: نبيل عبد الحي رضوان، <<تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر الأبيض المتوسط>>، المؤرخ المصري، العدد20، د ن، د ت، د ص، نقلا عن: نبيل عبد الحي رضوان، المرجع نفسه، ص12.

(1) نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص13.

(2) فيصل عبد الله الكندري، <<قانون نامة لواء القطيف 1552م>>، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، السنة1997، العدد15و16، زغوان، تونس، ص ص340-365.

حاولت القوات البرتغالية إخراج العثمانيين من المناطق التي فتحوها بتخريبهم لموانئ القطيف والإحساء وتحالفهم مع شيوخ القبائل العربية المناوئة للحكم العثماني في أطراف مدينة البصرة بالعراق بتشجيعهم على الوقوف في وجه العثمانيين بالخليج العربي.

كل هذا دفع بالسلطات العثمانية إلى تجهيز حملة عسكرية ضد البرتغاليين في مياه الخليج العربي، تم من خلالها اختيار بيري ريس كقائد لهذه المهمة نظرا لما يتمتع به هذا الأخير من خبرة عسكرية طويلة ودراية واسعة بأسرار البحار والمحيطات، فقد منحه السلطان سليمان القانوني لقب " قابودان مصر "[3]وتم استحداث هذه الرتبة وهذا المنصب هنا لأول مرة في الأسطول العثماني بمصر، بحيث يخضع تحت سلطته قابودان السويس والإسكندرية ودمياط وغيرهم من قادة ا لبحار في مياه البحر الأحمر، ترى ما أسباب فشل حملة بيري ريس على جزيرة هرمز بالخليج العربي؟.

بعد تكليف بيري ريس بهذه المهمة خرج مباشرة إلى جزيرة هرمز على رأس حملته عسكرية مكونة من ثلاثين سفينة بحرية من ميناء السويس بمصر في شهر ماي من عام 1552م، حيث ضم أسطول هذه الحملة أنواعا مختلفة من السفن مثل القادرغة والباشترده وقاليتة [*] وبارجة، يوجد على متن هذه السفن كلها حوالي ثمانمائة وخمسون جندي انكشاري وكانت التعليمات الموجهة إلى قائد الحملة بيري ريس تنص على ضرورة إحكام سيطرته على جزيرة هرمز في مدخل الخليج العربي ثم على سواحل جزر البحرين بعدها، ليتجه بعد إنهاء مهمته هذه إلى ميناء مدينة البصرة بالعراق أين يمكنه أن يقضي فصل الشتاء كاملا هناك، كما عليه أن يقوم بالقضاء على جميع الاضطرابات و التمردات الداخلية التي كانت تثور دائما في وجه السلطة العثمانية في مدينة البصرة بالعراق، التي كانت تدعمها دائما حكومة ملك البرتغال في الهند بجوا وبعد انتهائه من

---

(3) محمد ثريا، سجل عثماني، ج 1، استانبول، 1311، ص44، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، <<الملاح والجغرافي بيري ريس1554م>>، المرجع السابق، ص30.

(*) قاليتة: هي نوع من السفن الحربية التي كانت مستعملة قبل صنع السفن البخارية، تحتوي على عشرين إلى خمس وعشرين مقعدا وتستعمل على وجه الخصوص لمطاردة سفن العدو، أنظر: محمد دراج، المرجع السابق، ص37.

كامل هذه المهام العسكرية عليه أن يترك عشرة سفن حربية في ميناء مدينة البصرة كحاميات عسكرية للدولة العثمانية في مياه الخليج العربي قبل عودته إلى ميناء السويس بمصر [1].

بعد كل تلك التعليمات التي وجهها الديوان العثماني للقائد بيري ريس كان البرتغاليون قد علموا من طرف جواسيسهم في منطقة الخليج العربي، بكل تحركات الأسطول العثماني لذلك أرسل حاكم جزيرة هرمز القائد البرتغالي Alvaro de Noronha(ألفاروا دي نورونها)أحد قادته من أجل مراقبة تحركات الأسطول العثماني، أولا بأول في مياه الخليج العربي في شهر جوان من عام 1552م[2] خلالها كان بيري ريس وأسطوله قد تمكن من عبور مضيق باب المندب ووصل إلى ميناء عدن باليمن، من أجل تزويد أسطوله بالمواد الضرورية تحسبا لطول فترة هذه الحملة ليعبر بعدها بمنطقة الشحر أو الشهر بعدن وبالقرب منها خسر بيري ريس بعضا من سفن أسطوله بسبب سوء الأحوال الجوية هناك[1].

عند مرور بيري ريس من منطقة الشحر بعدن حذر شيوخ مدينة حضر موت من مغبة الاتصال بالبرتغاليين أو تقديم أية مساعدات عسكرية لهم [2]، في شهر أوت من عام 1552م قام بعدها بيري ريس بإرسال خمس سفن قادرغة بقيادة ابنه "محمد بك"، الذي تم تعيينه من طرف أبيه كقائد لأسطول مدينة البصرة برتبة قابودان باشا، حيث قام هذا الأخير بالتقدم إلى خليج عمان من أجل استطلاع المنطقة جيدا وبمحض الصدفة شاهدت القوات العثمانية قوات القائد البرتغالي ألفاروا دي نورونها تستطلع المنطقة كذلك، بحيث كانت رغبة بيري ريس هي عدم المجازفة بكامل

---

(1) إبراهيم بجوي، تاريخ بجوي، ج 1، استانبول، 1980، ص301، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص30، وأنظر: نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص13.

(2) فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص31.

(1) علي ريس، مرآة المماليك، دار سعادت، إقدام مطبعة سي، استانبول، ص ص(12،13)، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص31.

(2) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص333.

الأسطول العثماني في خوض غمار حرب لا يعلم فيها حجم الأسطول البرتغالي المتواجد في مياه الخليج العربي[3]، لا عن عدد الجنود ونوعية الأسلحة المستعملة فيها لدى القوات البرتغالية.

كما قام بيري ريس أيضا بإرسال ابنه "محمد بك" الذي واصل تقدمه بأسطوله الحربي إلى مدينة مسقط بعمان، أين قام بمحاصرة قلعتها التي سيطر عليها البرتغاليون منذ عام 1507م حيث توجه محمد بك إلى القلعة مع واحد وثلاثين سفينة حربية من أجل تدميرها، تمكنت خلالها البحرية العثمانية بعد ثمانية عشر يوم كاملة من أسر الحامية البرتغالية التي كان يقودها الأميرال Joao De Lisboa(جواو دي ليسبوا)، خلالها كان قائد الحملة بيري ريس قد وصل إلى قلعة مسقط في اليوم السابع من بداية القصف مع بقية الأسطول العثماني، بحيث لم يكن في نية بيري ريس الاحتفاظ بهذه القلعة لكون البرتغاليين قد تمكنوا من السيطرة عليها تماما من قواعدهم العسكرية في جزيرة هرمز وديو وجوا بالهند، ذلك لقرب هذه القلعة من جزيرة هرر التي هي قاعدة للبرتغاليين كذلك ولبعد جزيرة هرمز عن ميناء البصرة والإحساء بالعراق أيضا، لذلك اكتفى الأسطول العثماني بتخريبها فقط ليقوم بعدها بيري ريس بالتوجه نحو جزيرة هرمز [1]، بعدما أسر حوالي مائة وعشرين أسير برتغالي للعمل كمجدفين ضمن طاقم الأسطول العثماني[2].

حيث تعتبر موانئ جزيرة هرمز من بين أهم الموانئ التجارية بمياه المحيط الهندي لكونها تتحكم في مدخل الخليج العربي، بتحكم فيها يمكنك السيطرة على حركة التجارة القادمة إلى المنطقة والخارجة منها، لذلك أدرك البرتغاليون منذ اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح في عام 1498م قيمته هذه الجزيرة فسيطروا عليها منذ عام 1507م، بعدما علم حاكم هذه الجزيرة ألفاروا دي نورها بتحركات الأسطول العثماني حولها أخذ احتياطاته العسكرية من خلال تجهيزه للمئونة

---

(3) فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص 31، وأنظر أيضا: نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص14.

(1) نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص14.
(2) فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص32.

الكافية تحسبا للحصار الطويل من طرف الأسطول العثماني، تجهيزه لتسعمائة جندي مجهزين بأحدث الأسلحة الحربية من بنادق ومدافع مع طلبه للمدد من حكومة البرتغال في الهند بجوا[(3)].

بعد وصول حملة بيري ريس إلى جزيرة هرمز في شهر سبتمبر عام 1552م حاصرها مباشرة من جميع الجهات، استمر الحصار العثماني المفروض على هذه الجزيرة حوالي عشرين يوما مع القصف المتواصل برا وبحرا لقلعة الجزيرة، لينتهي في الأخير بفشل العثمانيين في دخول قلعة الجزيرة، خلال ذلك الحصار العثماني كان المدد البرتغالي قادم من ميناء جوا بالهند إلى جزيرة هرمز بمدخل الخليج العربي، ليضطر بعدها بيري ريس إلى رفع هذا الحصار البحري على هذه الجزيرة مخافة أن يحاصره البرتغاليون أيضا عند مدخل الخليج العربي، ليتجه مباشرة مع أسطوله البحري إلى جزيرة قشم أو جشم المتواجدة على الساحل الإيراني[(4)].

بعدها أكمل بيري ريس مع أسطوله الإبحار إلى غاية ميناء مدينة البصرة بالعراق ليصل في شهر أكتوبر من عام 1552م، خلالها كان المدد البرتغالي قد وصل بالفعل إلى جزيرة هرمز وهذا ما يدل على أن قرار بيري ريس كان صائبا في تحديد وقت الانسحاب من الجزيرة [(1)]ورفعه للحصار البحري المفروض عليها، بعد ذلك توقع حاكم البصرة قباد باشا بأن يقوم البرتغاليون بمهاجمة مدينة البصرة بعد تأكدهم من توجه الأسطول العثماني إلى مينائها، لذلك أرسل قباد باشا حاكم مدينة البصرة إلى بكلربك بغداد وديار بكر يطلب منهما المدد العسكري بتزويده بمختلف المدافع والأسلحة، إضافة إلى الأموال من أجل تسديد مرتبات الجنود استعدادا لمواجهة البرتغاليين في ميناء البصرة، خلال ذلك كانت السلطات العثمانية باسطنبول قد فوضت قباد باشا لاتخاذ كافة الإجراءات العسكرية والإدارية اللازمة لتوفير ما يلزمه تحسبا للمعركة، عن طريق الرسالة التي

---

(3)T. Wilson, The Persian Gulf, London, 1959, p.125.

(4) إبراهيم بجوي، المصدر السابق، ص301، وأنظر أيضا: نبيل عبد الحي رضوان، المرجع نفسه، ص14، وللمزيد من الإيضاح كذلك أنظر: فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص33.

(1) فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص 33، وأنظر: نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص14.

أرسلت إليه من طرف الديوان العثماني في يوم الأحد 05 نوفمبر 1552م، كرد له على تقريره المفصل الذي أرسله كذلك حول نتائج حملة بيري ريس على جزيرة هرمز بالخليج العربي[2].

كما أرسلت السلطات العثمانية كذلك رسالة مماثلة إلى بكلربك بغداد لإخباره عن الأموال والأسلحة التي سوف تصله، من ديار بكر وعليه أن يوصلها إلى أمير أمراء البصرة قباد باشا لحاجته الماسة إليها [3]، كما أرسل الديوان العثماني أيضا رسالة إلى بكلربك ديار بك من أجل إرساله للرصاص والنحاس مع خمس مئة بندقية وعشرة مدافع إلى بكلربك بغداد، الذي بدوره سوف يقوم بإيصالها إلى قباد باشا حاكم مدينة البصرة بالعراق[4].

أثناء تواجد بيري ريس في مدينة البصرة كانت السلطات العثمانية قد أرسلت له رسالة مع شخص يعرف باسم مصطفى في يوم الأحد 05 نوفمبر 1552م، هو نفس الشخص الذي كان يرسله قباد باشا حاكم مدينة البصرة لينقل رسائله إلى الديوان العثماني باسطنبول، تنص هذه الرسالة في مضمونها على شكر الديوان العثماني لمجهودات بيري ريس في قلعتي مسقط وهرمز وتمكنه من الاحتفاظ بالأسرى البرتغاليين كمجدفين، كما أبلغته أيضا عن وصول الرسالة التي طلب فيها من الديوان العثماني إبقاء الأسطول العثماني في مياه الخليج العربي، مبديتا موافقة الديوان على ذلك الطلب بإبقاء عشرة سفن حربية من الأسطول العثماني في فصل الشتاء بميناء البصرة لتقوم بحراسته مع إرجاع السفن المتبقية سالمة إلى ميناء السويس بمصر[1].

من جهة أخرى حذرت السلطات العثمانية ونبهت بيري ريس من مغبة وقوعه في كمين البرتغاليين بمضيق هرمز بمدخل الخليج العربي، ما يكلفه خسارة الأسطول والأسلحة والمعدات ككل لذا عليه أن يتشاور مع قباد باشا حاكم مدينة البصرة للوصول إلى أفضل السبل من اجل إعادة هذا الأسطول سالما إلى ميناء السويس بمصر، أن لا يتعجل في اتخاذ قرار غير مدروس

(2) أنظر: ترجمة الوثيقة العثمانية رقم 01 في الملاحق.
(3) أنظر: ترجمة الوثيقة العثمانية رقم 01 و04 في الملاحق.
(4) أنظر: ترجمة الوثيقة العثمانية رقم 03 في الملاحق.

يكلفه عواقب وخيمة [2]، عند إذن خشي بيري ريس على أن يقطع البرتغاليون عليه طريق عودته إلى ميناء السويس في مضيق هرمز، مع العلم أن كامل الأسطول البرتغالي الذي قدم للنجدة من ميناء جوا بالهند لا يزال موجودا في قلعة هرمز، بعد تشاور بيري ريس مع قباد باشا حاكم مدينة البصرة اتفق الاثنان على أن يأخذ بيري ريس ثلاثة سفن حربية فقط من نوع قادرغة [3]من أجل رجوعه إلى ميناء السويس بمصر، إلى أن إحدى سفنه الثلاثة قد تحطمت عند سواحل البحرين[4]ما أجبره على الوصول إلى ميناء السويس بمصر بسفينتين فقط [5]، ترى ماهي الاستنتاجات المتوقعة لكل هذه الوقائع والأحداث التي عرفتها حملة بيري ريس على جزيرة هرمز بمدخل الخليج العربي؟.

من خلال المقاربة التاريخية يمكننا أن نستنتج بأن نتائج حملة بيري ريس على جزيرة هرمز في عام 1552م، لم تكن في مستوى تطلعات الديوان العثماني باسطنبول عكس حملة السابقة على ميناء عدن باليمن والتي تمكن فيها من استرجاع المدينة وتحرير مينائها كذلك في عام 1549م حيث قام الديوان العثماني بتحذير بيري ريس مسبقا من مغبة وقوع الأسطول العثماني في أيدي العدو البرتغالي، عبر الرسالة التي أرسلها الديوان العثماني إليه محذرا إياه من العواقب الوخيمة التي سوف تنجر عليه في حالة تحطم الأسطول العثماني في مضيق هرمز.

ب- ظروف إعدام بيري ريس في عام 1552م:

هنالك قراءات عديدة ومختلفة عن حقيقة إعدام بيري ريس والأسباب التي دفعت إلى إعدام هذه الشخصية العظيمة، التي يشهد لها التاريخ اليوم على ما حققته من انجازات في الجانب العلمي والجغرافي والعسكري للدولة العثمانية، إلى درجة أن الجغرافيين الأوروبيين يعتبرونه" **أب**

---

(1) فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص35.
(2) أنظر: ترجمة الوثيقة العثمانية رقم 02 في الملاحق.
(3) إبراهيم بجوي، المصدر السابق، ص301، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص36.
(4) علي ريس، المصدر السابق، ص13، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص36.
(5) إبراهيم بجوي، المصدر نفسه، ص302، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص36.

الجغرافيا البصرية "، ترى ماهي الأسباب والدوافع التي كانت سببا في اتخاذ قرار إعدام بيري ريس من طرف السلطان سليمان القانوني بعد فشل حملته على جزيرة هرمز بمضيق الخليج العربي؟.

عند وصول بيري ريس إلى مدينة القاهرة بمصر لم يستقبله بكلربك(أمير الأمراء أو الوالي) مصر داوود باشا بحفاوة كبيرة كما كان يفعل معه من قبل [(1)]، حيث أمر داوود باشا والي مصر بسجن بيري ريس مباشرة بعد ذلك على اعتبار أن هذا الأخير هو المسئول الأول عن فشل حملة الأسطول العثماني على جزيرة هرمز، موجها له بذلك تهمة المغادرة والهروب من ساحة المعركة بعد رفعه للحصار البحري عن هذه الجزيرة، ترك الأسطول العثماني لوحده في ميناء البصرة بالعراق ورجوعه بسفينتين فقط إلى ميناء السويس بمصر، ليقوم بعدها والي مصر داوود باشا بإخبار الديوان العثماني بذلك من خلال إرساله لرسالة خطية إلى السلطان سليمان القانوني كتب له فيها تقرير مفصلا عن أسباب وظروف فشل هذه الحملة هو وحاكم مدينة البصرة قباد باشا[(2)]الذي كان له الدور الكبير والمؤثر في إعدام بيري ريس.

كما أشارا في هذان التقريران إلى اتهامه بسلب الأموال وجمع الهدايا باسم الدولة العثمانية من سكان جزيرة هرمز مقابل إعطائهم لوعود بتحريرها من العدو البرتغالي أثناء فترة حصاره للجزيرة من جهة، ثم قيامه بعد ذلك برفع هذا الحصار البحري عنها بعد تلقيه للأموال والهدايا من طرف حكومة البرتغال في الهند بجوا من جهة ثانية [(1)]، لكنه يجب علينا أن نستبعد كل هذه الاحتمالات عنه كليا لكون مسألة رفع الحصار البحري عن جزيرة هرمز قد حدثت لأسباب إستراتيجية وعسكرية بحتة خصوصا إذا كان قائد هذه الحملة بيري ريس قد علم بوصول نجدة برتغالية من حكومة البرتغال بالهند في جوا إلى جزيرة هرمز المحاصرة من طرفه[(2)].

---

(1) كاتب جلبي، المصدر السابق، ص61، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص36.
(2) نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص15.

(1) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، مكتبة عمرو توران، المملكة العربية السعودية، 2008، ص250.
(2) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، المرجع نفسه، ص250.

إلا أن المؤرخ التركي" إبراهيم بجوي" يؤكد لنا بأن مسألة رفع الحصار البحري عن قلعة هرمز من طرف بيري ريس، كانت بسبب ما تلقاه هذا الأخير من أموال وهدايا طائلة تدفع إلى خزينة الدولة العثمانية باسطنبول حيث يذكر لنا ذلك في قوله بأن<<... **فتح قلعة هرمز بات قريبا، لكن بيري ريس عقد اتفاقية مع البرتغاليين رفع بموجبها الحصار عن القلعة، مقابل مبالغ وهدايا تدفع للدولة العثمانية** ...>>[3]، هذا ما يعني عدم استشارة بيري ريس للديوان العثماني باسطنبول قبل عقده لهذه الاتفاقية مع البرتغاليين، خصوصا وأن مثل هذه الإجراءات العسكرية لا يجب اتخاذها دون موافقة الديوان العثماني عليها، مع العلم بأنه كان من الجدير به محاربة البرتغاليين والقضاء على نفوذهم وهيمنتهم في مدخل الخليج العربي.

كما يؤكد لنا هذا الطرح المستشرق الألماني النمساوي Von Hammer(فون هامر)حين يقول بأن:<< **بيري ريس قد فتن بالهدايا المقدمة إليه، فرفع الحصار عن القلعة** >>[4]، لكن المؤرخ التركي "كاتب جلبي" يدحض لنا هذا القول حيث يؤكد لنا بأن<< **بيري ريس اضطر لرفع الحصار عن القلعة على اثر تلك الشائعات التي تقوم حول توجه قوات النجدة البرتغالية إلى هرمز**>>[5].

كذلك فأن فرضية اتهام بيري ريس بالهروب إلى ميناء السويس بمصر وتركه للأسطول العثماني كاملا في ميناء البصرة بالعراق، ترجع إلى تخوف بيري ريس من تحطم كامل الأسطول العثماني في مدخل الخليج العربي من طرف البحرية البرتغالية، كما يبينه لنا المؤرخ الألماني "جوزيف فون هامر" في قوله:<< **عندما وصل بيري ريس إلى ميناء البصرة بعد رفعه للحصار**

---

(3) إبراهيم بجوي، المصدر السابق، ص ص 350-352، وللمزيد من الإيضاح أنظر كذلك: أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، المرجع نفسه، ص251.

(4) J. Hammer, op.cit. p.119.

وأنظر أيضا: أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، المرجع نفسه، ص251.

(5) كاتب جلبي، كتابي جيهان نومة، ص 11، وأنظر كذلك: كاتب جلبي، تحفة الكبار في أسفار البحار، المصدر السابق، ص61، نقلا عن: أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، المرجع نفسه، ص251.

وصلته الأخبار حول توجه الأسطول البرتغالي إليه، لسد خليج البصرة لذلك اضطر إلى الهروب مع ثلاثة سفن شراعية كبيرة أخذها معه وهي محملة بالخزائن الثمينة>>[1].

والجدير بالملاحظة هنا أنه يمكننا النظر من الزاوية الإستراتيجية والعسكرية لمعرفة الأسباب الحقيقية التي دفعت ببيري ريس إلى رفع هذا الحصار البحري المفروض على جزيرة هرمز، كما بينه لنا المؤرخ الألماني هامر عند إدراك بيري ريس محاولة البحرية البرتغالية سد مدخل الخليج العربي في وجه الأسطول العثماني، المتواجد في ميناء مدينة البصرة بالعراق لذلك ترك بيري ريس كامل الأسطول العثماني هناك وأخذ معه ثلاثة سفن حربية فقط محملة بالأموال والهدايا إلى ميناء السويس بمصر، خوفا من المخاطرة بكامل أسطوله من جهة ومحافظة على أرواح جنوده من جهة ثانية.

كما أنه إذا لم يقم بيري ريس بالهروب مع السفن الثلاثة فسوف يبقى محاصرا هنالك في ميناء البصرة، مع العلم بأن تهمة تلقي بيري ريس للرشوة باطلة عند تقييمنا لها لأن خصومه وأعدائه هم من وضعوها له في تقاريرهم المرسلة إلى السلطان سليمان القانوني كأمثال قباد باشا حاكم مدينة البصرة[2]، لكون بيري ريس كان قد بلغ من العمر حينها ما يقارب الثمانين سنة فقد كان غنيا لذا يستبعد أن يقوم بأخذ رشوة من البرتغاليين، لكن يحتمل أن يقوم بجمع كل هذه الأموال والهدايا كخراج للدولة العثمانية فقط[3].

لكن أعداء بيري ريس قد استطاعوا إقناع السلطان العثماني بفشل حملته على جزيرة هرمز وألصقوا به تهمة الخيانة، خصوصا وأن العداوة التي كانت بين قباد باشا حاكم البصرة وبيري ريس بعد اتهام قباد باشا لبيري ريس بسلب أموال المسلمين وظلمهم في جزيرة هرمز، امتناع قباد باشا حاكم مدينة البصرة عن تقديم يد المساعدة لبيري ريس عند رفعه للحصار البحري على جزيرة

(1) J. Hammer, op.cit, p.119.

(2) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص251.

(3) فؤاد أوزكو، بيري ريس، دائرة المعارف الإسلامية لوزارة التعليم التركية، ج 9، ص ص 261-265، وأنظر كذلك: أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، المرجع نفسه، ص251.

هرمز بعد وصوله إلى ميناء مدينة البصرة بالعراق، متحججا في ذلك بهذه التهمة التي ألصقها به كما أن جمع بيري ريس لتلك الأموال والهدايا كلها من سكان جزيرة هرمز، قد كان بحجة مساعدتهم للبرتغاليين ضد العثمانيين في مياه الخليج العربي[1].

لقد قام والي مصر بعد عودة بيري ريس مباشرة من ميناء البصرة باحتجازه ثم سجنه ليرسل خلالها عريضة إلى الصدارة العظمى باسطنبول، يبين فيها النتائج السلبية لحملة بيري ريس في مياه الخليج العربي من خلال قيامه برفع الحصار البحري على جزيرة هرمز، تركه لسفن الأسطول العثماني والجنود في ميناء مدينة البصرة كدليل على عدم جديته وكفاءته في قيادة هذا الأسطول[2]، فراره من ساحة المعركة ما يعني عدم تحمله للمسؤولية الملقاة على عاتقه لينفذ حكم الإعدام في حقه في عام 1554م[3]، بساحة ديوان القاهرة في مصر حيث قامت السلطات العثمانية في مصر بمصادرة جميع أمواله وممتلكاته لترسلها بعد ذلك إلى خزينة الدولة العثمانية باسطنبول[4].

بهذا الصدد تجدر بنا الإشارة إلى أننا لا نعلم على وجه الدقة والتحديد تاريخ تنفيذ حكم الإعدام في حق بيري ريس نظرا لأن الوالي الذي اتخذ قرار الإعدام ضد بيري ريس هو داوود باشا والي مصر، الذي تولى هذا المنصب في عام 1538م وتوفي في عام 1539م، ليخلفه بعد ذلك علي باشا الوزير في عام 1539م إلى غاية عام 1554م، ثم خلفه بعد ذلك محمد باشا في ولاية مصر منذ عام 1554م إلى غاية عام 1556م، بما أننا لا نعلم على وجه الدقة تاريخ تنفيذ

(1) محمد ثريا، سجل عثماني، ج 1، استانبول، 1311، ص44، نقلا عن: أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص252.
(2) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، المرجع نفسه، ص252.
(3) إبراهيم بجوي، المصدر السابق، ص44، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص37.
(4) كاتب جلبي، المصدر السابق، ص61، وأنظر: أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، المرجع نفسه، ص252.

حكم الإعدام لا نستطيع أن نجزم بأن الحكم قد نفذ في عهد علي باشا أو محمد باشا [1]حيث تتناقض المصادر التاريخية مع بعضها البعض حول هذه الوقائع.

الجدير بالملاحظة كذلك أن العديد من المؤرخين الأتراك والمعاصرين لفترة بيري ريس لم يعلقوا عن حادثة إعدامه، بل تجاهلها العديد منهم من أمثال المؤرخ التركي إبراهيم بجوي الذي سكت سكوتا يثير الدهشة والاستغراب في نفس الوقت [2]، أما البحار والعالم الجغرافي سيد علي ريس صاحب كتاب "مرآة المماليك" الذي عين لمهمة استرجاع أسطول بيري ريس من ميناء البصرة بالعراق إلى ميناء السويس بمصر، لم يذكر لنا أي شيء عن حادثة إعدام بيري ريس في مدينة القاهرة بمصر، علما بأنه تتوفر لديه معلومات جد هامة عن أحوال المنطقة والظروف التي مرت بها خلال تلك المرحلة، لكونه سافر من ميناء السويس بمصر إلى ميناء البصرة بالعراق وتواجه مع البرتغاليين في أكثر من موقعة حربية في مياه الخليج العربي[3].

أما المؤرخ التركي كاتب جلبي صاحب كتاب" تحفة الكبار في أسفار البحار" فقد مر على حادثة إعدام بيري ريس مرور الكرام، إلا أنه أشار فقط في كتابه إلى مكانة بيري ريس العلمية في هذه العبارات التالية:<< **ألف المذكور بيري ريس كتاب البحرية، أوضح فيه أحوال البحر الأبيض المتوسط، لا يوجد غيره من المسلمين ممن كتب في هذا الفن وأكثر البحارة ممن يجوبون البحار يرجعون إليه**>>[4]، كما وصفه المؤرخ التركي محمد ثريا بأنه كان مجاهدا عظيما [5]لكونه

(1) محمد بن أبي السرور البكري الصديقي، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، تحقيق ليلى الصباغ، مطبوعات مركز جامعة الماجد، دمشق، 1995، ص ص160-166، وأنظر كذلك: أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري، أوضح الإشارات في من تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان، د ن، القاهرة، 1995، ص ص 58-60، وأنظر أيضا: يوسف الملواني، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان، د ن، القاهرة، 1998، ص ص(102،103)، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص37.

(2) إبراهيم بجوي، المصدر السابق، ص302، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص38.

(3) فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص38.

(4) كاتب جلبي، المصدر السابق، ص61، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص38.

(5) محمد ثريا، المصدر السابق، ص44، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع نفسه، ص38.

قد أفنى حياته كلها في الجهاد ومحاربة أعداء الدولة العثمانية، في حوض البحر البيض المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي.

من خلال المقاربة التاريخية التي قمنا بها نستنتج أنه من بين الأخطاء التاريخية الكبيرة التي وقعت فيها الدولة العثمانية وسلطانها سليمان القانوني، هو إعدامه للعالم الجغرافي والملاح والقائد العسكري بيري ريس الذي لم تتح له الفرصة للأسف الشديد للدفاع عن نفسه، فكان الأجدر بالسلطان سليمان القانوني هو استدعاء هذا الأخير والسماع إلى أقواله لا الحكم عليه غيابيا وهو مسجون في سجن القاهرة بمصر، فليس من المعقول مكافئة هذه الشخصية العظيمة التي أفنت حياتها في خدمة الأسطول العثماني والبحرية العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط وميناء عدن باليمن والخليج العربي ضد أعداء الإسلام بهذه الطريقة البشعة.

بهذا الصدد تجدر بنا الإشارة إلى أن الدولة العثمانية قد خسرت واحدا من بين أبرز الشخصيات الجغرافية والعلمية في تاريخها الحديث، التي قد ساهمت إلى حد كبير في إماطة اللثام عن العديد من القضايا الجغرافية والتاريخية التي كانت مجهولة في السابق عن مناطق عديدة في العالم، سواء في حوض البحر الأبيض المتوسط أو مياه البحر الأحمر أو الخليج العربي، حيث عمل بيري ريس طيلة فترة اشتغاله في أسطول الدولة العثمانية وعند كامل تنقلاته على تدوين جميع الملاحظات والمعلومات التاريخية والجغرافية عن المناطق التي زارها، خصوصا ما كان يكتبه أو يرسمه في كتاب البحرية كخريطة العالم في عام 1513م، أو خريطة سواحل تونس وجزيرة جربة في البحر الأبيض المتوسط أو لنهر النيل في مصر أو لجزيرة قبرص في بحر ايجة الشرقي للبحر الأبيض المتوسط أو لسواحل بلاد الشام واللاذقية أو لأمريكا الشمالية خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، إذ يعتبر بيري ريس من بين خيرة الجغرافيين الذين ارتكزوا على الملاحظة والدقة العلمية لذلك كان مصدرا بالنسبة للعديد من الجغرافيين الأوروبيين.

Conclusion

"الخاتمة"

الخاتمة:استنتاج وتقييم:

يتضح لنا من خلال هذه الدراسة جملة من الاستنتاجات الهامة والتي منها يلي:

–لقد كان للمسلمين الأثر البالغ والكبير في حركة النهضة الأوروبية والكشوف الجغرافية خلال العصر الحديث، لما ألفوه من كتب ومصنفات في العلوم الجغرافية الوصفية منها والفلكية حيث ترجمت أغلبها إلى مختلف اللغات واللهجات كاللاتينية وغيرها من اللغات، التي أصبحت مرجعا أساسيا للرحالة الأوروبيين والبرتغاليين خاصة في اكتشافهم لطريق بلاد الهند حيث سعى البرتغاليون منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، إلى التعرف على علوم المسلمين في أسرار الملاحة والبحر وآلات الرصد كالإسطرلاب، لمعرفة قياس ارتفاع الشمس والنجوم وتحديد الوقت والاتجاهات وخطوط الطول والعرض، من خلال مصادرتهم للخرائط والمخطوطات والأدوات البحرية في أثناء حروبهم مع المسلمين سواء في بلاد المشرق أو المغرب العربي.

–لقد اجتمعت عدة عوامل طبيعية وسياسية وعسكرية واقتصادية ودينية وعلمية تحكمت كلها في قيام حركة الكشف الجغرافي لمملكة البرتغال، قبل غيرها من ممالك ودول العالم من أهمها الموقع الجغرافي والاستراتيجي الممتاز، سعي البرتغال إلى الخروج من الأزمة النقدية التي وقعت فيها أوروبا ككل بقلة معدن الذهب...وغيرها من العوامل الأخرى التي كانت سببا في قيام هذه النهضة الكشفية للبرتغال قبل غيرها من دول وممالك أوروبا.

–أن دوافع الكشوفات البرتغالية لم تكن في حقيقة الأمر بدافع الفضول العلمي وحب المغامرة واكتشاف المجهول فقط، بل كانت تحركها أسباب ودوافع دينية محضة من خلال محاولة البرتغال القضاء على الإسلام، بدافع الكره والحقد الصليبي على الدين الإسلامي الذي غذته ودعمته الروح الصليبية التي مقرها الكنيسة البابوية بروما معنويا وروحيا وماديا كذلك، بتشجيعها للجنود المحاربين في القضاء على ما أسمته << **بطاعون الإسلام**>>(LA PESTE ISLAMIQUE) مستغلة في ذلك سياسة الترغيب والترهيب من خلال نشر أكاذيبها في أوساط الرعية على أن من

يقتل في أرض المعركة يعد شهيدا في سبيل نشر الديانة المسيحية، كما دعمت الكنيسة البابوية بروما هذه الكشوفات ماديا من خلال تقديمها للأموال الطائلة لهذه الحملات العسكرية الكشفية لخدمة مصالحها لأغراض دينية بحتة، محاولة في نفس الوقت تخليص نفسها من فضائحها الأخلاقية التي وقعت فيها عن طريق إلهائها للرأي العام الأوروبي عن عيوبها.

-نلاحظ أن النزعة الدينية قد طغت على هذه الكشوفات البرتغالية من خلال ما لمسناه في العديد من خطابات القادة العسكريين لملوكهم بالبرتغال، في تقاريرهم ومراسلاتهم العسكرية التي كانوا يرسلونها حول خططهم في البحار الشرقية والخليجية، التي تميزت بلهجة عنيفة يملئها الكره والحقد على رموز الدين الإسلامي خاصة في محاولتهم لتدمير الحرمين الشريفين بمكة والقدس.

-لقد تغلفت هذه الروح الصليبية للكشوفات البرتغالية بدافع اقتصادي وعسكري بدرجة ثانية، يظهر لنا هذا جليا من خلال محاولة البرتغاليين السيطرة على عصب الاقتصاد الإسلامي وطرق التجارة فيه برا وبحرا، إنشائها لعدة قواعد عسكرية وتجارية على طول السواحل الممتدة من ميناء ريستلوا بلشبونة إلى غاية ميناء جوا بالهند، في محاولة منها لقطع شريان الاتصال التجاري بين السلع الأسيوية القادمة من جزر التوابل والحرير بأقصى الشرق الأسيوي إلى موانئ المماليك ثم البنادقة.

-كما لاحظنا من خلال تقييمنا لهذا البحث وجود اختلاف في العديد من المواضع التاريخية بين بعض المؤرخين الغربيين في تقييمهم لدوافع هذه الكشوفات البرتغالية، من أمثال المؤرخ البلجيكيHenry Perrin(هنري بيرين)والمؤرخ الفرنسي Roland mucineux(رولان موسينيه)من حيث تشخيصهم وطرحهم لأسباب ودوافع هذه الكشوفات البرتغالية بحيث يختلف الاثنان في وجهة نظرهم كون توسع العثمانيين في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وقطعهم لطرق التجارة القديمة مع بلاد الهند، قد يشكل أو لا يشكل سببا في توجه البرتغاليين إلى هذه البحار الشرقية والخليجية مع مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

-ان التغلغل البرتغالي في المشرق الإسلامي قد شكل النواة الأولى للغزو الأوروبي في العالم الإسلامي، بمختلف وجوهه وأشكاله الاقتصادية والدينية والعسكرية والسياسية.

-لقد ساعد البرتغال على توسيع حركة الكشف الجغرافي في البحار الشرقية والخليجية ذلك الدور التنافسي الذي لعبته مع اسبانيا، الذي زاد من حدة التسابق نحو اكتشاف أكبر قدر ممكن من المناطق وإخضاعها تحت سيطرة كل من البرتغال أو اسبانيا، هذا ما يسمى بالسباق نحو مناطق النفوذ.

-ان معاهدة Touredisselas(توردیسیلاس) بين مملكة اسبانيا والبرتغال تعتبر حقا من بين أغرب المعاهدات الدولية في القرن السادس عشر الميلادي، لكونها تخول لكل من المملكتين حق اقتسام العالم والمناطق المكتشفة فيه شرقا للبرتغال وغربا لاسبانيا بدعم وتأييد من الكنسية البابوية بروما متجاهلة بذلك كل الاعتبارات السياسية والدينية لشعوب ودول العالم.

-رغم كل الخلافات العقائدية والمذهبية بين المذهبين الكاثوليكي للبرتغاليين والأرثوذكسي للأحباش، إلا أن روح الانتصار الصليبية رجحت لدى كبار رجال الدين والقساوسة ضرورة التحالف والتكتل معا، من أجل محاربة المسلمين وتكسير شوكتهم وهذا من خلال عقدهم لعدة تحالفات مع بعضهم البعض ضد المسلمين أنفسهم في منطقة المشرق العربي وشبه الجزيرة العربية عكس ما ذهب إليه رجال المذهب الشيعي للصفويين من تكفير للمسلمين السنة داخل الدولة العثمانية، من خلال محاربتهم وتقتيلهم ما أحدث فتنة كبيرة بين القوتين انتهت بصدام عسكري بين الطرفين في معركة جال ديران عام 1514م والتي انتهت بانتصار العثمانيين في الأخير.

-ان التخلص من الرسوم الجمركية التي فرضها تجار المماليك والبنادقة معا على السلع الأسيوية ولعبهم دور الوسيط التجاري، مع التجار الهنود ببيعهم للسلع التي يشترونها منهم بثلاثة أضعاف ثمنها الأصلي، ما خلق احتكارا تجاريا مفروضا على هذه السلع الشرقية من طرفهم مؤديا في الوقت نفسه، إلى تزايد رغبة هؤلاء التجار الأوروبيين في انتزاع مصادر هذه التجارة من المسلمين وتحريرها من أيديهم، لعل البرتغاليين هم أكثر من تحمس إلى إنهاء تلك الوساطة فكان لهم ذاك من خلال اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح.

-ان الحاجة الماسة لهذه التوابل والبهارات ومختلف العطور من ماء الورد وغيرها من السلع الشرقية التي تلهب حماس التجار الباحثين عن الربح السريع، التي كانت تصل بأسعار باهظة الثمن إلى التجار الأوروبيين أنفسهم بسبب تعدد الوسطاء العاملين عليها من مناطق إنتاجها إلى مناطق تحميلها، ثم إلى غاية وصولها إلى مستهلكيها في أوروبا جعلها محل جدل دائم للتخلص من محتكريها(المماليك والبنادقة).

-لاحظنا في بحثنا هذا وجود تناقض كبير بين بعض المصادر العربية والبرتغالية حول قضية من قام بإرشاد فاسكوا دي غاما إلى بلاد الهند، هذا ما طرحه كل من المؤرخ البرتغالي سوسا دي فيريرا والمؤرخ العربي قطب الدين النهروالي المكي حول دور ابن ماجد في وصول فاسكوا دي غاما إلى بلاد الهند، لكن النهروالي أكد لنا صحة طرحه بما نقله على لسان ابن ماجد وما دار بينه وبين دي غاما نفسه من نصح وإرشاد فقط وليس قيادة.

-لقد كان لتحول التجارة العالمية عن طريقها القديم والتقليدي عبر البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي ، الأثر البالغ والعظيم على مصادر الخزينة للدولة المملوكية بعد أن قل التصدير من موانئها بالقاهرة والإسكندرية إلى جمهورية البندقية وجنوة، من هنا جاءت أسبقية هذه الدولة عن غيرها من الدول الإسلامية في الدفاع والتصدي للمشروع البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي.

-يمكننا اعتبار وجود الخطر البرتغالي في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي عاملا مهما في توحيد صفوف عدة جبهات إسلامية سياسيا وعسكريا، هذا ما لحظناه بتوحد كل من قوة المماليك والعثمانيين ومسلمي الهند، وقوفهم وقفة رجل واحد ضد هذا الغزو العسكري والاقتصادي الذي يهدد مصالحهم المشتركة معا في المنطقة، خصوصا مع تزايد نداءات مسلمي الهند وعرب جنوب شبه الجزيرة العربية ومسلمي شرق إفريقيا لوقف هذا الخطر البرتغالي.

- يمكننا اعتبار معركة ديو عام 1538م من بين أهم المعارك التي رجحت انتقال الكفة من المسلمين إلى البرتغاليين في البحار الشرقية والخليجية، بعد تثبيت البرتغاليين لوجودهم في ميناء

ديو بالهند مما يشكل خطرا حقيقيا على تجارة المسلمين في المنطقة لتعرف بعدها طرق التجارة البحرية انقطاعا في حركة التجارة عن بلاد الشام ومصر، التي ستفقد مع مرور الوقت دورها التجاري من جراء انخفاض إيراداتها المالية من تجارة التوابل والبهارات، باعتبارها الوسيط التجاري بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي الممثل في جمهورية البندقية وجنوة.

–ان سياسة الدعم العسكري والمادي التي تبنتها الدولة العثمانية مع المماليك في بداية مواجهتها للخطر البرتغالي، فاشلة من حيث تحقيق النتائج المرجوة من طرف العثمانيين أنفسهم مقارنة بقوة البرتغاليين في المواجهات البحرية، نظرا لتطور سفنهم من جهة وامتلاكهم للأسلحة الحديثة من مدافع وبنادق وسفن بحرية متطورة من جهة أخرى، عكس المماليك الذين لازالوا يستعملون الرماح والسيوف ولم يقوموا بتطوير أسلحتهم الحربية وتحديثها.

–لقد اكتشفنا من خلال هذا البحث أن مملكة البرتغال قد حظيت في تحقيق هيمنتها وسيطرتها على طرق التجارة بالبحر الأحمر والخليج العربي، بقوة وتخطيط قادة عسكريين جد متمكنين في تحضير الخطط والإستراتيجيات الحربية من أمثال Francisco d'almida (فرانسيسكو دالميدا)وAlfonso de Albuquerque(ألفونسو دي ألبوكيرك)، الذي استطاع أن يؤسس للبرتغال إمبراطورية في بحار الشرق بفضل سياسته التخريبية والقمعية التي تميز بها، عكس ما افتقدته العديد من الدول الإسلامية الأخرى، كدولة المماليك التي لم تملك قادة عسكريين قادرين على رد هذا الزحف البرتغالي الذي يهدد المقدسات الدينية ومصالحهم الاقتصادية في المنطقة.

–أعتبر ميناء عدن باليمن عقبة حقيقية في وجه جميع القادة البرتغاليين الذين حاولوا مرارا وتكرارا السيطرة عليه لكنهم فشلوا في تحقيق ذلك بسبب حصانة هذا الميناء طبيعيا وصعوبة اختراق المدينة أيضا، كما ظلت مدينة جدة والأماكن المقدسة بها محور اهتمام العديد من القادة البرتغاليين من أجل تدميرها لكنهم فشلوا حتى في الاقتراب منها بسبب ما حظيت به من اهتمام كبير من طرف حكام دولة المماليك سابقا ثم العثمانيين من بعدهم.

–لقد ساهم الوضع السياسي المتردي من نزاع وصراع بين القوى السياسية الكبرى على زعامة العالم الإسلامي، الممثلة في الدولة العثمانية والدولة الصفوية والمماليك في ترسيخ الوجود البرتغالي بالبحار الشرقية والخليجية لعقود طويلة من الزمن حيث استغل البرتغاليون هذا التشرذم والانقسام في توسيع مراكزهم الحربية والتجارية بصورة متزايدة.

–ان ما ساعد البرتغال على تنفيذ مخططها السياسي والاقتصادي داخليا هو عدم اتحاد القوى المحلية بالخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، لمقاومة هذا الغزو والممثلة في عشائره القبلية ومشيخاته الوراثية وإماراته العربية التي راحت تتقاتل فيما بينها من أجل الحكم والسلطة أو قضية الحدود الداخلية التي تفصل بينها، مثل ما وقع بين الطاهريين والزيديين في اليمن النبهانيين وبين إمارة الجبور ومملكة هرمز وبين الطاهريين والمماليك كذلك والإمامة الإباضيين والنبهانيين في عمان، كون ضعف العالم الإسلامي قد بدأ من الداخل ليستغله البرتغاليين من الخارج فكان الأجدر بهم هو مواجهة البرتغاليين وترك هذه المسائل جانبا.

–لقد غيرت الدولة العثمانية من إستراتيجيتها وسياستها التوسعية في شرق أوروبا في عهد السلطان سليم الأول بعد إعطائه الأولوية للتوسع في قارتي آسيا وإفريقيا بدلا من أوروبا، لظروف وأسباب إستراتيجية بدرجة أولى فعندما ندقق النظر في هذه السياسة العثمانية نجدها تبحث عن وحدة إسلامية بقيادة سنية عثمانية من جهة، مع حرصها على تأمين جبهتها الجنوبية من الخطر البرتغالي من جهة أخرى.

–ان التوسع العثماني في بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن والعراق ضرورة نادت بها المعطيات الجديدة والمتغيرات السياسية والدينية والاقتصادية كذلك، خصوصا بعد فشل المماليك والقوى المحلية بالهند واليمن في صد ووقف هذا المد البرتغالي الذي يهدد الوجود الإسلامي والدولة العثمانية في نفس الوقت.

–ان الفتح العثماني للبلاد العربية مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي يعتبر نتيجة حتمية من نتائج الصراع السياسي والمذهبي والعقائدي ببين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، التي راحت

تحارب وتنافس العثمانيين في منطقة الأناضول وتثير الفتن والنعرات بين مسلمي السنة والشيعة وتحاول الاتصال بالبنادقة والبرتغاليين والمماليك كذلك، من أجل إيجاد حلفاء لها ضد الدولة العثمانية لكنها فشلت في الأخير في تنفيذ مخططاتها الدينية والسياسية.

-تعتبر قضية انتقال الخلافة الإسلامية من الحجاز إلى اسطنبول محل اختلاف العديد من المؤرخين، بعد أن ذهب البعض منهم إلى كون السلطان سليم الأول قد أصدر حكما في حق الخليفة العباسي المتوكل بالله، ينص على وضعه تحت الإقامة الجبرية باسطنبول حسب ما يشير إليه مثلا المؤرخ يلماز أوزتونا وكذلك المؤرخ إسماعيل أحمد ياغي عن حقيقة تنازل الخليفة العباسي المتوكل بالله لمنصب الخلافة للسلطان سليم الأول، فمنهم من استدل على ذلك من خلال حمل السلطان العثماني للآثار الخاصة بشعار الخلافة معه إلى اسطنبول وبالتحديد في مراسيم التسليم التي جرت بين المتوكل بالله والسلطان سليم الأول بمسجد آيا صوفيا، إلا أن ابن إياس مؤرخ مصر المعاصر لهذه الفترة لم يذكر لنا شيئا عن هذه القضية بالذات، من خلال كتاباته كلها عن المنطقة وتناوله لكل أخبار السلطان سليم الأول بالتفصيل الدقيق، لكنه في كل مرة يسمي المتوكل بالله باسم الخليفة ويسمي سليم الأول باسم السلطان.

-لقد تأثرت طرق التجارة العالمية برا وبحرا في عهد دولة المماليك وتجارتها مع كل من جمهورية البندقية وجنوة معا، تأثرا كبيرا انعكس بصورة واضحة وجلية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان في مصر وبلاد الشام، تحت ظل حكم سلطانهم قانصوه الغوري الذي انتهج سياسة احتكارية مجحفة في حق التجار والفلاحين، حيث عرفت السلع الشرقية ندرة كبيرة في أسواق وموانئ مصر والشام ما نتج عنه ضعف وإنهاك للقدرات الاقتصادية لدولة المماليك والبنادقة معا بسبب اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح بجنوب القارة الإفريقية.

-تعتبر مسألة رفع الحصار البحري عن جزيرة هرمز من طرف بيري ريس مسألة أثارت الكثير من الجدل حولها، حيث يرجعها بعض المؤرخين لعدة أسباب إستراتيجية وعسكرية بحتة واستدلوا على ذلك كون بيري ريس يعلم بوصول نجدة برتغالية قادمة من ميناء جوا بالهند إلى جزيرة هرمز

المحاصرة من طرفه ومن أصحاب هذا الطرح المؤرخ التركي كاتب جلبي والمؤرخ الألماني جوزيف فون هامر الذي أبقى الباب مفتوحا حول عدة احتمالات وفرضيات لرفع هذا الحصار، رغم تضارب أراء العديد من المؤرخين الأتراك حول هذه الحادثة التاريخية حيث يتفق كل من المؤرخين إبراهيم بجوي وفون هامر حول أسباب رفع هذا الحصار البحري على الجزيرة، بينما يختلف معهما المؤرخ التركي كاتب جلبي في أسباب ذلك.

-كما لاحظنا من خلال هذا البحث سكوت العديد من المؤرخين الأتراك والقادة العسكريين الذين عايشوا حادثة إعدام بيري ريس عن التعليق عنها، حيث سكت عنها كل من المؤرخ التركي إبراهيم بجوي وكاتب جلبي ومحمد ثريا والقائد والعالم الجغرافي سيد علي ريس كذلك، هذا ما يثير العديد من الشكوك والتساؤلات التي تدفع الباحث إلى تقصي الحقيقة التاريخية لمعرفة جوهرها.

-ان قضية إعدام قابودان مصر والسويس بيري ريس تعتبر واحدة من بين أكبر الأخطاء التاريخية التي وقعت فيها السلطة العثمانية وسلطانها سليمان القانوني خلال فترة حكمه، هو إعدامه للعالم الجغرافي والملاح والقائد العسكري بيري ريس، الذي لم تتح له الفرصة للأسف الشديد للدفاع عن نفسه فكان الأجدر بالسلطان سليمان القانوني هو استدعاء هذا الأخير والسماع إلى أقواله لا الحكم عليه غيابيا، هو مسجون في سجن مدينة القاهرة بمصر فليس من المعقول مكافئة هذه الشخصية العظيمة التي أفنت حياتها في خدمة الأسطول العثماني، البحرية العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط وميناء عدن باليمن والخليج العربي ضد أعداء الإسلام بهذه الطريقة البشعة، لذلك وجب علينا البحث بجدية حول حقيقة هذه التهم الموجهة إلى بيري ريس بعد فشل حملته على جزيرة هرمز بالخليج العربي، من خلال الكشف عن الحقائق التاريخية الغائبة عنا لذا يبقى مجال البحث مفتوحا بين الباحثين والمؤرخين من أجل مقاربة الحقيقة التاريخية.

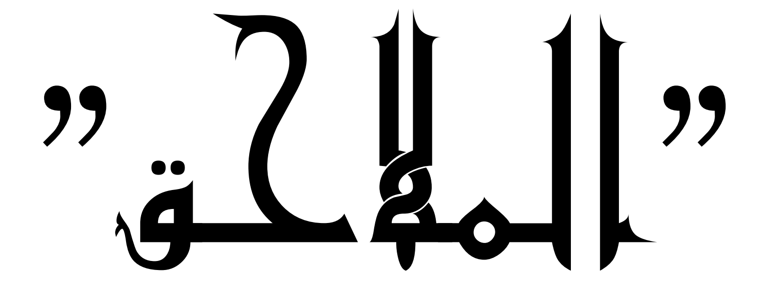
-أن الدولة العثمانية قد خسرت واحدا من بين أبرز الشخصيات الجغرافية والعلمية في تاريخها الحديث، التي قد ساهمت إلى حد كبير في إماطة اللثام عن العديد من القضايا الجغرافية والتاريخية التي كانت مجهولة في السابق عن مناطق عديدة في العالم، سواء في حوض البحر

الأبيض المتوسط أو مياه البحر الأحمر أو الخليج العربي، حيث عمل بيري ريس طيلة فترة اشتغاله في أسطول الدولة العثمانية وعند كامل تنقلاته على تدوين جميع الملاحظات والمعلومات التاريخية والجغرافية عن المناطق التي زارها، خصوصا ما كان يكتبه أو يرسمه في كتاب البحرية كخريطة العالم في عام 1513م، أو خريطة سواحل تونس وجزيرة جربة في البحر الأبيض المتوسط أو لنهر النيل في مصر أو لجزيرة قبرص في بحر ايجة الشرقي للبحر الأبيض المتوسط أو لسواحل بلاد الشام واللاذقية أو لأمريكا الشمالية خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، إذ يعتبر بيري ريس من بين خيرة الجغرافيين الذين ارتكزوا على الملاحظة والدقة العلمية لذلك كان مصدرا بالنسبة للعديد من الجغرافيين الأوروبيين.

-يعتبر الوجود العثماني في مياه البحار الشرقية والخليجية بمثابة الحجر الذي عرقل تغلغل البرتغاليين في هذه البحار وحد من أطماعهم، بعد تخريبهم لحركة التجارة في الموانئ الإسلامية وتهديدهم أيضا للأماكن المقدسة بالحجاز، ونشرهم للديانة المسيحية على حساب الدين الإسلامي ما جعل هذه الكشوفات البرتغالية تعتبر غزوا حقيقيا على العالم الإسلامي بجميع وجوهه وأشكاله الاقتصادية والعسكرية والدينية والسياسية، ليكون الغزو البرتغالي بمثابة النواة الأولى لبداية التكالب الأوروبي على دول العالم الإسلامي مع مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

ان كل هذه الاستنتاجات والتقييمات التي توصلنا إليها في نهاية بحثنا هذا لا تعتبر أحكاما مطلقة ونهائية، بل هي بحاجة إلى المزيد من المناقشة والنقد والإثراء من طرف كل من يهمه هذا الموضوع التاريخي الحساس والمهم في جانب البحث التاريخي والجيوسياسي والإقليمي كذلك.

Supplèments



قائمة الملاحق:

الملحق رقم 01: رسالة حاكم مدينة البصرة قباد باشا إلى حاكم مدينة بغداد وديار بكر في يوم05 نوفمبر1552م.

الملحق رقم 02: رسالة الديوان العثماني إلى قائد أسطول السويس بيري ريس في يوم 05نوفمبر 1552م.

الملحق رقم 03: رسالة الديوان العثماني إلى حاكم مدينة ديار بكر في يوم 05نوفمبر1552م.

الملحق رقم 04: رسالة الديوان العثماني إلى أمير أمراء مدينة بغداد في يوم 05نوفمبر1552م.

الملحق رقم 05: رسالة الديوان العثماني إلى وزير مصر محمد باشا.

الملحق رقم 06: رسالة الديوان العثماني إلى حاكم مدينة الإحساء ببغداد.

الملحق رقم 07: ترجمة رسالة حاكم مدينة البصرة قباد باشا إلى حاكم مدينة بغداد وديار بكر في يوم05 نوفمبر1552م.

الملحق رقم 08: ترجمة رسالة الديوان العثماني إلى قائد أسطول السويس بيري ريس في يوم05نوفمبر 1552م.

الملحق رقم 09: ترجمة رسالة الديوان العثماني إلى حاكم مدينة ديار بكر في يوم 05نوفمبر1552م.

الملحق رقم 10: ترجمة رسالة الديوان العثماني إلى أمير أمراء مدينة بغداد في يوم 05نوفمبر1552م.

الملحق رقم 11: ترجمة رسالة الديوان العثماني إلى وزير مصر محمد باشا.

الملحق رقم 12: ترجمة رسالة الديوان العثماني إلى حاكم مدينة الإحساء ببغداد.

الملحق رقم 13: خريطة تبين كيفية فتح الدولة العثمانية لبلاد الشام ومصر في معركتي مرج دابق والريدانية بين عامي 1516م و1517م.

الملحق رقم 14: خريطة توضح معركة ديو البحرية بين الأسطول العثماني والأسطول البرتغالي في عام 1538م.

الملحق رقم 15: خريطة توضح حدود الإمبراطورية العثمانية في أقصى اتساعها خلال القرن السادس عشر للميلاد.

الملحق رقم 16: خريطة العالم الأولى التي رسمها بيري ريس في عام 1513م.

الملحق رقم 17: خريطة العالم الثانية التي رسمها بيري ريس في عام 1528م.

الملحق رقم 18: خريطة بيري ريس لمجرى نهر النيل بمصر.

الملحق رقم 19: خريطة بيري ريس لجزيرة قبرص.

الملحق رقم 20: خريطة بيري ريس لسواحل تونس وجزيرة جربة.

الملحق رقم 21: خريطة بيري ريس لسواحل بلاد الشام واللاذقية.

الملحق رقم 22: الورقة الأولى من كتاب البحرية لبيري ريس في عام 1517م.

الملحق رقم 23: الورقة الأخيرة من كتاب البحرية لبيري ريس.

أولا/النصوص والوثائق العثمانية الأصلية والمترجمة:

الملحق رقم:01

رسالة حاكم مدينة البصرة قباد باشا إلى حاكم مدينة بغداد وديار بكر في يوم05 نوفمبر1552م[1].

(1) المصدر المعتمد: غوشلر 888 ص 487 ب، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص73.

الملحق رقم:02

رسالة الديوان العثماني إلى قائد أسطول السويس بيري ريس في يوم05نوفمبر1552م[1].

(1) المصدر المعتمد: غوشلر 888 ص 488 ب، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص74.

الملحق رقم:03

رسالة الديوان العثماني إلى حاكم مدينة ديار بكر في يوم 05نوفمبر1552م [1].

(1) المصدر المعتمد: غوشلر 888 ص 489 أ، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص75.

الملحق رقم:04

رسالة الديوان العثماني إلى أمير أمراء مدينة بغداد في يوم 05نوفمبر1552م[1].

بو داخي مزبور مصطفى يه ورلدي في يوم مزبور)

بغداد بكلربكيسنه ...[؟] سنجاغي بكي ناظر الأموال جعفر حكم كه

حاليا قباد پاشا مكتوب گوندروب مصردن دونانمه ايله هند قبوداني گلوب

هرمز شهرنه داخل اولوب مبارك ذي الحجة غايته سن صكره گلن قوله علوفه

لازمدر ديو بلدرمش . إمدي ديار بكر خزينه سندن يكرمي بيك التون دركيسه

ايدوب بغداده إرسال ايليه سن ديو ديار بكر دفتردارنه حكم شريفم گوندرلشدر

---

(1) المصدر المعتمد: غوشلر 888 ص 489 أ، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص62.

الملحق رقم:05

رسالة الديوان العثماني إلى وزير مصر محمد باشا [1].

دفتر الأمور المهمة رقم 3 ، ص258 ، رقم الأمر 747

(1) المصدر المعتمد: دفتر الأمور المهمة رقم 03، ص رقم 258، رقم الأمر 747، نقلا عن: نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص37.

الملحق رقم:06

رسالة الديوان العثماني إلى حاكم مدينة الإحساء ببغداد[1].

دفتر المهمة رقم 3 ، ص381 ، حكم : 1129

دفتر المهمة رقم ٣ ، ص ٣٨١ ، حكم: ١١٢٩، ١١٢٨

(1) المصدر المعتمد: دفتر الأمور المهمة رقم 03، ص 381، حكم رقم 1129، نقلا عن: نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص39.

الملحق رقم:07

ترجمة الوثيقة الأولى التي تبين لنا طلب قباد باشا المدد والعون العسكري والمالي من حاكم مدينة بغداد وديار بكر، مع منح الديوان العثماني له كامل الصلاحيات لاتخاذ كافة الإجراءات العسكرية من أجل صد الخطر البرتغالي المتواجد في مياه الخليج العربي[1].

كُتب يوم الأحد ١٨ ذي القعدة ٩٥٩هـ [٥ نوفمبر ١٥٥٢م]

أعطي للمدعو مصطفى وهو قادم من طرف المشار إليه في التاريخ المذكور

الحكم [الموجه] إلى بكلر بك الجزائر والمدينة قباد باشا

أرسلت رسالة إلى باب السعادة ووصلت جاء المدعو محمد ريس إلى البصرة [على متن] سفينة [من نوع] قاليته إلى البصرة وذلك يوم ٢١ شوال المبارك مع الأسطول الهمايوني المرسل من مصر إلى البحر الهندي (درياي هند م) ووردت الرسالة الخاصة بالقبودان پيري دام عزه حيث خرجت الأساطيل السلطانية من ميناء السويس في شهر جماديالأولى إلى جدة، ومنها إلى عدن، ثم رأس الحد، وهناك يوجد ميناء للكفار [البرتغاليين] يعرف باسم مسكت، فتم محاصرة القلعة وقصفها لمدة ستة أو سبعة أيام، وفي اليوم السابع تم فتح القلعة، وتم القضاء على الكفار

---

(1) المصدر المعتمد: غوشلر 888، ص473، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص48.

المحاصرين بالقلعة باستثناء ١٢٠ كافر وتم تقييدهم بالحديد ، وتم وضعهم للعمل كمجدفين (گورکه قوشلوب) في سفن الأسطول .

والآن فـإن الأسطول السلطاني وصل إلى هرمـز وهو مكون من ٢٤ سـفـينة قادرغه و ٤ سفن باره ويعسكر مقداره ٨٥٠ جندي ، وتم حصار المدينة (هرمز شهرنه داخل اولوب) ودخل كفار هرمز إلى القلعة ، وإنشاء الله سيتم فتحها .

وتم منح الجنود في الأسطول مرتباتهم حتى نهاية شهر ذي الحجة وإلى الآن لم يعطوا أية نقود أخرى ، وهذا شئ مزعج .

وفكرت بأن تستقطع بعض الأموال من الموانئ الموجـودة في الجانب العربي والتابعة لهرمز ، وأن يتم تخريب الموانئ التي لا تتبعـها ، وبعدها يمكن الزحف والإستيلاء على البحرين ، وإلا أن تُستقطع بعض الأمـوال وتخصص لاحتلال والسيطرة على البحرين .

أما إذا قدر وفتحت هرمز فإن [المنطقة ستظل] تحت رعاية واهتمام علي بك سنجاق بك القطيف بجانب الأسطول السلطاني الموجـود في مصـر ، وعن طريق التناوب سيظل الأسطول مع قبودانه وعسكره متواجد في هذا البحر للسيطرة على الموانئ [الأخرى] ، [وهذه الموانئ] مع بقية الجزر الأخرى ستوفر [المال اللازم] لدفع مرتبات الجنود في الأسطول ، وستوفر للخزينة أموال كثيرة ومنافع عديدة .

وإذا لم تتم الأمور بهذه الصورة ، فإن الكفار باستطاعتهم أن يزحفوا من هذا البحر من جديد على البصرة ، وهذا سيسبب اضطراب كلي [للمنطقة] . والآن فإن وجود قبودان مع الأسطول والعساكر في هذا البحر يلزمه أمر ليقوم بالمحافظة [على هذه المنطقة] ونرجو التكرم باصدار أمر شريف لإبقاء أسطول دائم في هذا البحر لأنه من أهم الأعمال ، [وسيقوم] بحفظ البصرة وحماية جزائرها ، وسيراقب تحركات أهالي فارس (قزلباش بد معاش حركتنه كلي سعي[؟] اولوب) وماهو

الأمر الشريف في حالة فتح هرمز والبحرين ؟ .

والآن نفوضك باتخاذ الإجراءات الصائبة لتوفير المواد الغذائية والمرتبات اللازمة للأسطول السلطاني الموجود في البصرة بأي طريقة كانت ، ولم يتم توضيح فيما إذا كانت الولاية المذكورة تستطيع توفير المواد الغذائية ومرتبات العساكر ، وعليك معرفة تفاصيل جملة الأمور المتعلقة بتلك المنطقة .

وأمرنا بإرسال خبر مع قبودان الهند بأنه هل سيظل الأسطول في ذلك البحر بعد الإنتهاء من هرمز ، أو أن يصل إلى ذلك المكان مع [بداية] الموسم ، ومهما يكن فليتم عمل ما هو مناسب . وعليك إظهار مساعيك الجميلة لحماية الأسطول السلطاني والجنود وهذا سيتم بعناية الحق سبحانه وتعالى . وعليك أن تهيء كل ما هو ضروري ، وأن تبعد أي ضيق عن الجنود القادمين مع الأسطول السلطاني إلى ذلك البحر .

وتم إرسال حكمنا الشريف إلى بكلر بك ودفتردار ديار بكر ليرسلوا إلى بغداد على وجه السرعة عشرون ألف قطعة ذهب (التون) ، كما أرسل حكمنا الشريف إلى بكلر بك بغداد بأنه قبل التحصيل من خزينة ديار بكر لو جاء الأسطول إلى البصرة فيلزم تحصيل المبلغ على سبيل القرض من خزينة بغداد ، [والأموال القادمة] من ديار بكر توضع مكان الخارجة إلى البصرة . وبعناية الله تعالي سيكون فتح هرمز ميسر ، وبناء على ما تم عرضه فيما يتعلق بسنجاق القطيف فإنه تم تعيين علي بك دام عزه والقادم مع الأسطول السلطاني بطريق التناوب مع أمراء السناجق في مصر . وعليك عرض المصالح الهامة التي تأتي إليك من تلك المناطق وألا تتأخر أو تعيق أي أمر يأتيك وعليك القيام بما هو لائق ومناسب لدولة السلطان (دولت همايونه)، وكنا قد أمرنا بإرسال بعض المعدات العسكرية وأخبرتنا بأنها لم تصلك إلى الآن .

والآن فقد وردت عريضة من أمير ديار بكر (دياربكر بكيسند) وأخبرنا عن إرساله للأسلحة إلى بغداد ، فهل وصلت أم لم تصل ؛ كما صدرت الأوامر الآن

بإرسال مزيد من الأسلحة اللازمة من ديار بكر إلى بغداد ، [كما] أرسل أمرنا إلى أمير أمراء بغداد بأنه إذا لزم [إرسال] أسلحة ومعدات إليك [فعليه إرسالها] دون تأخير . [كما] أن عزب ومستحفظان المدينة غير مقيدين في الدفتر الذي سبق إرساله إلى الأستانة ، كما أن نصفهم غير موجودين .

كما أخبرتنا بأن الحاجة تقتضي إرسال ٤٠٠ إنكشاري من بغداد بطريق التناوب، وعرضت [علينا] أخذ ٧٠٠ شخص بطريق التناوب وكان عودتهم إلى بغداد ضرورية وأرسل الأمر بأنه إذا لم يكن هناك عمل لهم في الجزائر [عليك إرجاعهم] وإذا كان وجودهم ضروري (جزايرده خدمت يوغسه گتوره سن وارسه) فارجع نصفهم الذين انتهت مدتهم واترك البقية [هناك] .

والآن فقد تم عرض حاجتك وتم كتابة وإرسال حكمنا الشريف إلى بكلر بك بغداد بضرورة وضع ٤٠٠ نفر بطريق التناوب في الجزائر ، وإذا كان هناك [عدد] كبير في بغداد فقيد ٢٠٠ نفر سواء كانوا مبدئين أو قدماء اگر ترقيدر واگر ابتدادر) ولم توضح هل تستطيع خزينة تلك الولاية أو هذه الولاية [أن تتحمل رواتبهم] ولايتك خزينه سي مساعد اولوب برودن خزينه گلملي ، وعليك أن تقوم بما هو مناسب للمملكة وألا تغفل عن الأعداء ، وأن تظهر شجاعتك لحفظ وحراسة الولاية.

وهكذا عند الحاجة لإخطارنا بأمر بالغ الأهمية (بر مهم مصلحت دوشوب) فإن الشخص المرسل إلى عتباتنا (قبويه) يلزمه الحضور على حصانه الخاص ، وفي حالة وجود خوف أو ضرر ما فيلزمك إرسال رسول (اولاق) . وعندما لا تكون هناك حاجة ملحة (انوك گبي غايتلي مهم دوشماينجه) لا يلزمك أرسال رسول .

[كما] يجب عليك أن ترسل مع الرسول شخص أمين وعلى علم بأحوال الأمور (آحوال واقف كمسنه يه) من بين الأشخاص الذين جاءوا مع الأسطول ،

وعندما يأتي الأسطول فإنه من الضروري تجهيز وتحضير الأطعمة والبقسماط (بكسمادلري وذخيره لري) . .... [؟]

والحكم المرسل إلى قبودان الهند پيري دام عزه قد أُرسل إليك ، وعليك معرفة فيما إذا وصل إليه ، وهل ممكن العودة في الموسم بعد إنجاز المهمة (واگر بر مصلحت بر طرف اولدقدن صكره موسميله عودت اتمكدر) وعليك] القيام بما هو أفضل وانسب (اليقي واولى نه سه انوكلي عمل ايده سن).

الملحق رقم:08

ترجمة الوثيقة الثانية التي وجهها الديوان العثماني إلى قابودان مصر بيري ريس ليحذره فيها من مغبة وقوع الأسطول العثماني في قبضة البرتغاليين بمضيق هرمز، كما حثته كذلك على مشاورة قباد باشا حاكم مدينة البصرة من أجل إيجاد الحلول الكفيلة لذلك(1).

أعطيت لمصطفى رسول قباد باشا في ١٨ ذي القعدة سنة ٩٥٩هـ [٥ نوفمبر ١٥٥٢م]
الحكم [الموجه] إلى قبودان الهند پيري بك :

أرسل حاليا قباد باشا أمير أمراء الجزائر والمدينة والبصرة رسالة يعلمنا عن دخول مدينة هرمز بأربع وعشرين سفينة، وتم محاصرة الكفار الملاعين داخل القلعة، وفي الطريق تم إحدى قلاع الكفار، وتمكن بعض مقاتليهم من الفرار من السيف [أي القتل] (بعضي قليچه دن گچوب) أما البقية فتم وضعهم كمجدفين (ما عدا سي گوركه قولندغن) والشخص (قولق) القادم بعد انتهاء ذي الحجة أخبرنا عن الحاجة لرواتب [الجند] كما أرسلت [معه] نفس الخطاب الواصل إليك. كل ما قيل فقد وصل بالتفصيل إلى علمنا الشريف، وبيّض الله وجهك على قيامك بكل ما جيد وعلى حسن تدبيرك وعلى إعلامنا [بالأحداث].

ورد في خطاب المشار إليه قباد باشا بأن الأسطول السلطاني جاء إلى الموانئ الموجودة على بر العرب والتابعة لهرمز، واستولى على أموالها (ماله كسوب) وقام بهدم وتخريب القلاع الغير تابعة لها، ومنها زحف على البحرين، ويمكن الإستيلاء عليها، فإنه بالإمكان أخذ أموالها، وأثناء ذلك صدرت أوامر بالإستيلاء عليها، وأن

(1) المصدر المعتمد: غوشلر 888، ص488، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص52.

يبقى الأسطول والعساكر في هذا البحر ، وسيحصل الأسطول على رواتبه (علوفه لري) وأموال وفوائد جمة من الجزر الموجودة على هذا الجانب ، ويمكن فتح عدة [مناطق] بسهولة . وإذا غاب الأسطول عن التواجد في هذا البحر بهذه الطريقة فبإمكان الكفار العودة إلى البصرة وإحداث أضرار بها ، [وواضح] إلمامك بأحوال البحر وقد فوّضناك يا عبدنا (قولوم) في الأمور الواردة و [متابعة] أحوال الأسطول .

إذا أمكن الأسطول السلطاني أن يبقى الشتاء في البصرة فليبق ، وأرسل حكمنا السلطاني إلى قباد باشا بأن يعتني بمؤونة ومرتبات العساكر التي معك . ولكن بعد اجتياز هرمز إذا كان هناك احتمالية تعرض الأسطول لأي ضرر أثناء بقائه في البصرة، وإذا تيسر طريق العودة في موسم [السفر] فإن أمانة وسلامة الأسلحة والمعدات راجع إليك (امين وسالم دونانمه ييليشكري ويراقي ايلده سن) ، وعُرض [علينا] بأن البصرة بحاجة إلى قطع من الأسطول ، والأصل مراعاة مصلحة الأسطول ، [ولكن] مراعاة لمصلحة هرمز فاترك ١٠ قطع [من] الأسطول ، وأرجع البقية إذا تيسر ذلك (ما عدا سيله گتمك مناسب ايسه ايله ايده سن) . ولكنك لم تبيّن فيما إذا جاء الموسم وتربص الكفار الملاعين بطريقكم خارج مضيق البصرة ، وعليك أن تعرف تفاصيل [هذه النقطة] ، وعليك أن تعمل بموجب أمرنا الشريف مهما كان ، وعليك أن لا تغفل عن خدع وحيل أعدائنا الذين لا دين لهم ، وألا تضيّع الأسلحة والمعدات ، وأن تسعى لإيصال الأسطول السلطاني إلى مصر [؟] . وعليك أن تشاور المشار إليه قبادپاشا ، وأن تقوم ما هو أنفع وأولى بأمور البصرة ، وإذا لزم إعادة بقية الأسطول إلى مصر فعليك أن تحتاط في الخروج (اگر برو مصر جانبه گلمك لازم گلوب دونانمه ايرلماعلي ما عداسي واروب چقمقده احتياط وار ايسه عرض ايليه سن) ، وأن تعرض علينا الأمر ،لوعليك أن تعمل ما فيه صالح دولت سلطاننا (دولت همايونمه) .

الملحق رقم:09

ترجمة الوثيقة الثالثة التي أرسلها الديوان العثماني إلى بكلربك مدينة ديار بكر من أجل إرساله للنحاس والرصاص والأموال إلى حاكم مدينة بغداد والذي بدوره سوف يقوم بإرسالها إلى قباد باشا حاكم مدينة البصرة[1].

وهذا أيضا أُعطي للمذكور مصطفى في اليوم المذكور [٥ نوفمبر ١٥٥٢م]
الحكم [الموجه] إلى أمير أمراء دياربكر

أرسل قباد باشا حاليا رسالة يعرض علينا بأن قبودان الهند مع الأسطول السلطاني المرسل من مصر دخل ميناء هرمز بأربع عشرين قطعة قادرغه وثلاث سفن [من نوع] بارجه، وتم بالفعل محاصرة القلعة المذكورة، والعساكر القادمة مع الأسطول بحاجة إلى رواتبهم من بعد نهاية [شهر] ذي الحجة بطريق القرض.

والآن رسمنا بأنه عند وصول حكمنا الشريف بأن تخرج من خزينة دياربكر ٢٠٠٠٠ التون وتضعها في كيس (در كيسه)، وأن ترسلها مع شخص أمين إلى أمير أمراء بغداد، ليرسلها [من جانبه] إلى البصرة. وعليك أن تنبه على الشخص المرسل مع الذهب (التون) بأن يأتي بالأخبار الصحيحة من تلك النواحي عند الوصول، وفي حالة عودة الأسطول السلطاني من جديد إلى مصر يحمل معه الذهب، وفي حالة عدم خروجه يعود الذهب ويسلّم إلى خزينة دياربكر.

وإذا كانت خزينة دياربكر بحاجة إلى ذهب بدل [الكمية المذكورة] فعليك أن تعرض علينا ذلك ليتم إرسال عوضا عنه من الخزينة العامرة. كما صدر أمر في وقت سابق بإرسال بعض الرصاص والنحاس وبنادق (توفنك) وأسلحة، وفي رسالة أمير أمراء البصرة أخبرنا بأن الأسلحة لم تصل بعد، كما لم يصله بعد العشرة مدافع (ضربزن) والخمسين قنطار من الرصاص، ونوّه بأن الأسلحة والرصاص ستستخدم في الجزائر وهناك حاجة [ماسة] لها.

وعليك أن توضح نوعية ومقدار الأسلحة المرسلة – إن كانت قد أرسلت – وتاريخ الإرسال، وعليك أن تقيد ذلك في سجل (دفتر) وأن ترسل صورة من السجل إلي قباد باشا المشار إليه مع فرماننا الشريف وتسلمها للشخص القادم، وأن

---

(1) المصدر المعتمد: غوشلر888، ص489 أ، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص54.

ترسل صـــورة منه إلى ديواننا (سـده ء سـعـادتمه) . وإذا لم يتم إرسـال الأسلحـة [بموجب] أمرنا الصادر فعجل في إيصـالها ، كما [عليك أن] توصل الذهب بصورة أمينـة وسالمة وأن تتـجنب أخطار الطريق . وعليك أن ترسل خـمـسـمائة قطعة من البنادق (توفنك) الموجودة أمـانة في خـزينة آمـد إلى أمـير أمراء بغـداد ، ليقـوم بدوره بإيصالها إلى أمير أمراء الجزائر والمدينة .

الملحق رقم:10

ترجمة الوثيقة الرابعة التي أرسلها الديوان العثماني إلى أمير أمراء مدينة بغداد والتي يخبره فيها عن مختلف الأسلحة والأموال التي سوف تصل إليه من طرف حاكم ديار بكر، عليه أن يسلمها بدوره إلى أمير أمراء مدينة البصرة قباد باشا[1].

وهذا أيضا أعطي للمذكور مصطفى في اليوم المذكور [٥ نوفمبر ١٥٥٢م]

الحكم [الموجه] إلى أمير أمراء بغداد وأمير (سنجاق بك) وجعفر ناظر الأموال

أرسل حاليا قباد باشا رسالة يخبرنا بأن الأسطول القادم من مصر مع قبودان الهند جاء وحاصر مدينة هرمز، وأنهم دفعوا مرتبات (علوفة) لغاية أواخر ذي الحجة، وهم بحاجة إلى أموال.

والآن ضع ٢٠,٠٠٠ التون [أي ذهب] من خزينة ديار بكر إذا توفر المبلغ في كيس وأرسلها إلى بغداد، هذا أمرنا الشريف الذي أرسل إلى بكلر بك ودفتر دار ديار بكر.

وأمرنا بأنه إذا وصلت الأموال إلى بغداد، وإذا جاء شخص من قبل أمير أمراء البصرة لطلب الذهب [أو الأموال] للعساكر الموجودة في الأسطول، فعليك أن تخرجها من خزينة بغداد وترسلها أمينة وسالمة. والذهب القادم من ديار بكر فضعه مكان هذه [في الخزينة] ومثل ذلك عليك إرسال المعدات والمواد الغذائية وكل ما هو لازم، ومن أجل إرسال المواد اللازمة إلى بغداد فقد أرسل حكما الشريف إلى بكلر بك ديار بكر.

---

(1) المصدر المعتمد: غوشلر888، ص489 أ، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص55.

الملحق رقم: 11

ترجمة الوثيقة الخامسة التي أرسلها الديوان العثماني إلى وزير مصر محمد باشا من أجل تجهيز وبناء سفن الأسطول العثماني، لإرسالها إلى جزيرة أتالي بالبحرين بغرض استعادة هذه الجزيرة وسفن حاكم قلعة البحرين مراد ريس التي سلبت منه من طرف القوات البرتغالية المتواجد هناك[1].

ترجمة الوثيقة رقم 3 ، ص258 رقم الأمر 747 .

إلى الوزير محمد باشا :

فقد بلغني أن أمير الأحساء (محمد) قد خرج بعساكره قاصداً جزيرة البحرين بدون أمر مني في هذا وذلك بغرض الاستيلاء على قلعة الرئيس مراد حاكم البحرين مما دعا الرئيس مراد إلى الاستنجاد بالكفار والاستعانة بهم عليه وقد ترتب على ذلك استيلاؤهم على سفن أهل الإسلام وإقامتهم في جزيرة أتالي وقد وصلتنا رسالة من المذكور بهذا الصدد وقد كنت أبلغت أمير البصرة بهذا العلم ، وقد صدر الأمر السامي بما هو أت :

إنشاء السفن وتجهيزها وإرسالها إلى هناك على وجه السرعة وسيصلك أمرنا إلى المالية بهذا الخصوص ومرسل طيه الرسالة التي جاءتنا بهذا الصدد من المذكور " والمشار إليه وقد أمرنا بما هو آت :

من أجل إتمام بناء السفن وتجهيزها بالمهمات والمعدات على أكمل وجه وأتم سرعة خذ من خزينة مصر مائتي ألف ذهب وأرسل منها مائة ألف إلى المذكور .

وقد صدر أمرنا كذلك إلى أمير رودس بفعل الشيء نفسه .

– دفتر الأمور المهمة رقم 3 ، ص258 ، رقم الأمر 747

(1) المصدر المعتمد: دفتر الأمور المهمة رقم 03، ص258، رقم الأمر 747، نقلا عن: نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص38.

الملحق رقم:12

ترجمة الوثيقة السادسة التي أرسلها الديوان العثماني إلى حاكم مدينة الإحساء حيث وافق فيها على بنائه قلعة في ميناء عقاقير، نظرا لما سوف توفره هذه القلعة من استقرار وأمن وحماية لسفن التجار المسلمين ولما سوف تدره من مال عام لخزينة الدولة العثمانية[1].

أمرنا إلى المشار إليه : أمير الأحساء .

فقد وصلنا دفتراً موثقاً من قبلك ذكرت فيه أن بناء قلعة في ميناء عقاير الواقعة بقـــرب الأحساء أصبح من الأهمية والضرورة بمكان .

وذلك لقيام العرب الخارجين والمنشقين بالفساد في الأرض والإغارة علـــى المـــوانئ وسفن التجار القادمين إليها مما ترتب عليه إلحاق الضرر بالمال العام .

وبناء قلعة في المكان المذكور سيكون له أعظم الأثر في الحفاظ على المال العام ونشر الأمن وعمارة الأرض وبعد الإطلاع عليه أمرنا بما هو آت :

إن كان بناء قلعة في المذكور له من الفوائد ما ينفع ويعود بالصالح العـــام ولا يترتـــب عليه أي ضرر فقم بالبناء ، واحذر من أي وضع يخالف العهد والأمان .

- دفتر الأمور المهمة رقم 3 ، ص381 ، رقم الأمر 1129

---

(1) المصدر المعتمد: دفتر الأمور المهمة رقم 03، ص381، رقم الأمر 1129، نقلا عن: نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص40.

ثانيا/ الخرائط والصور:

الملحق رقم:13

خريطة تبين كيفية فتح العثمانيين لبلاد الشام ومصر ضد المماليك في معركتي مرج دابق و الريدانية[1].



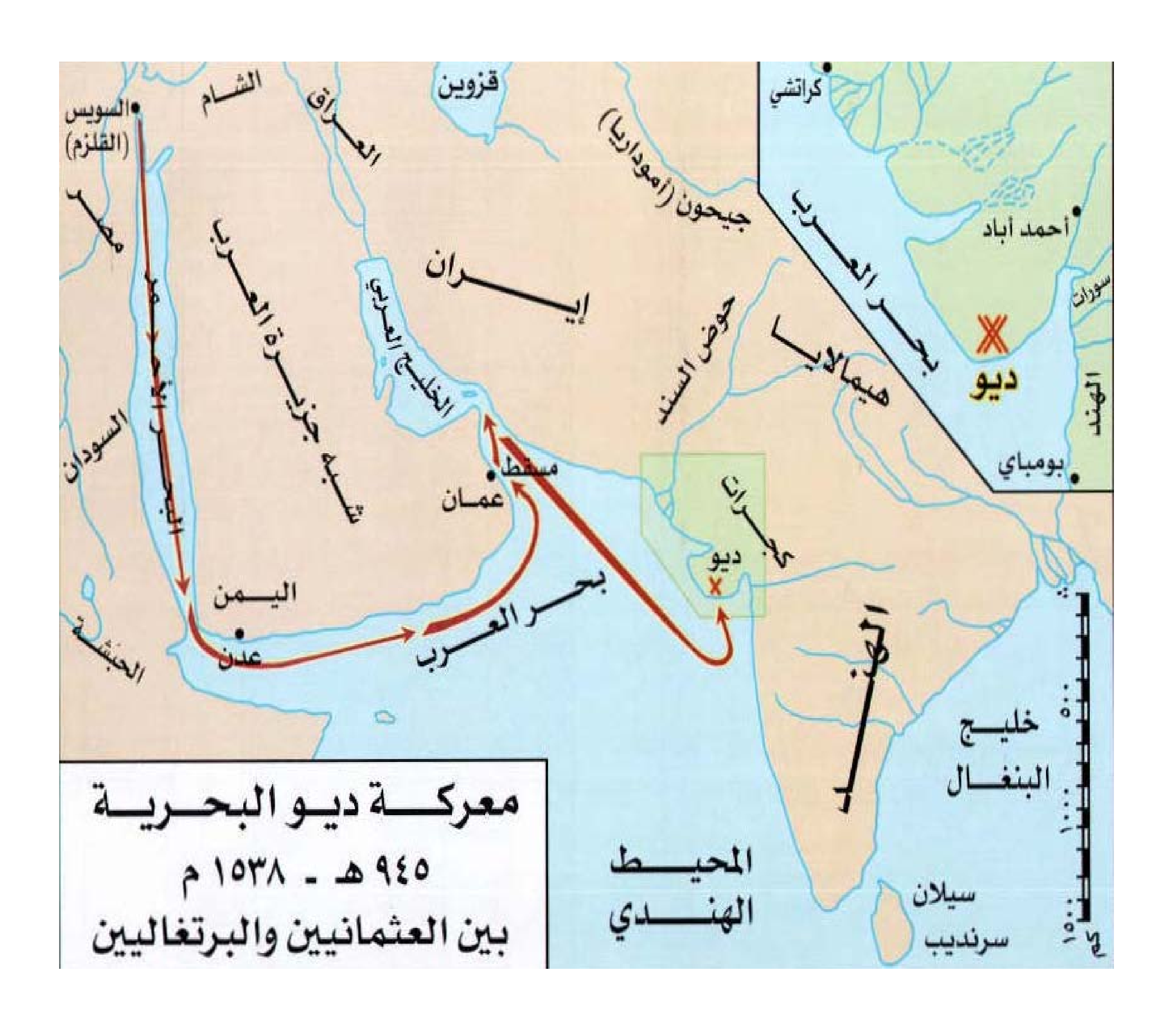
-مفتاح الخريطة:(•)=عواصم دول ومدن كبرى/(←)=سير حركة الفتوح العثمانية/(ــــ)= مجرى النهر.

-مقياس الخريطة:1سم ←1000,000كلم.

(1) المصدر المعتمد: شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط 5، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002، ص105.

الملحق رقم:14

خريطة توضح معركة ديو بين البحرية العثمانية بقيادة سليمان باشا الخادم والبحرية البرتغالية بقيادة أنطونيو دا سيلفيريا في عام 1538م[1]



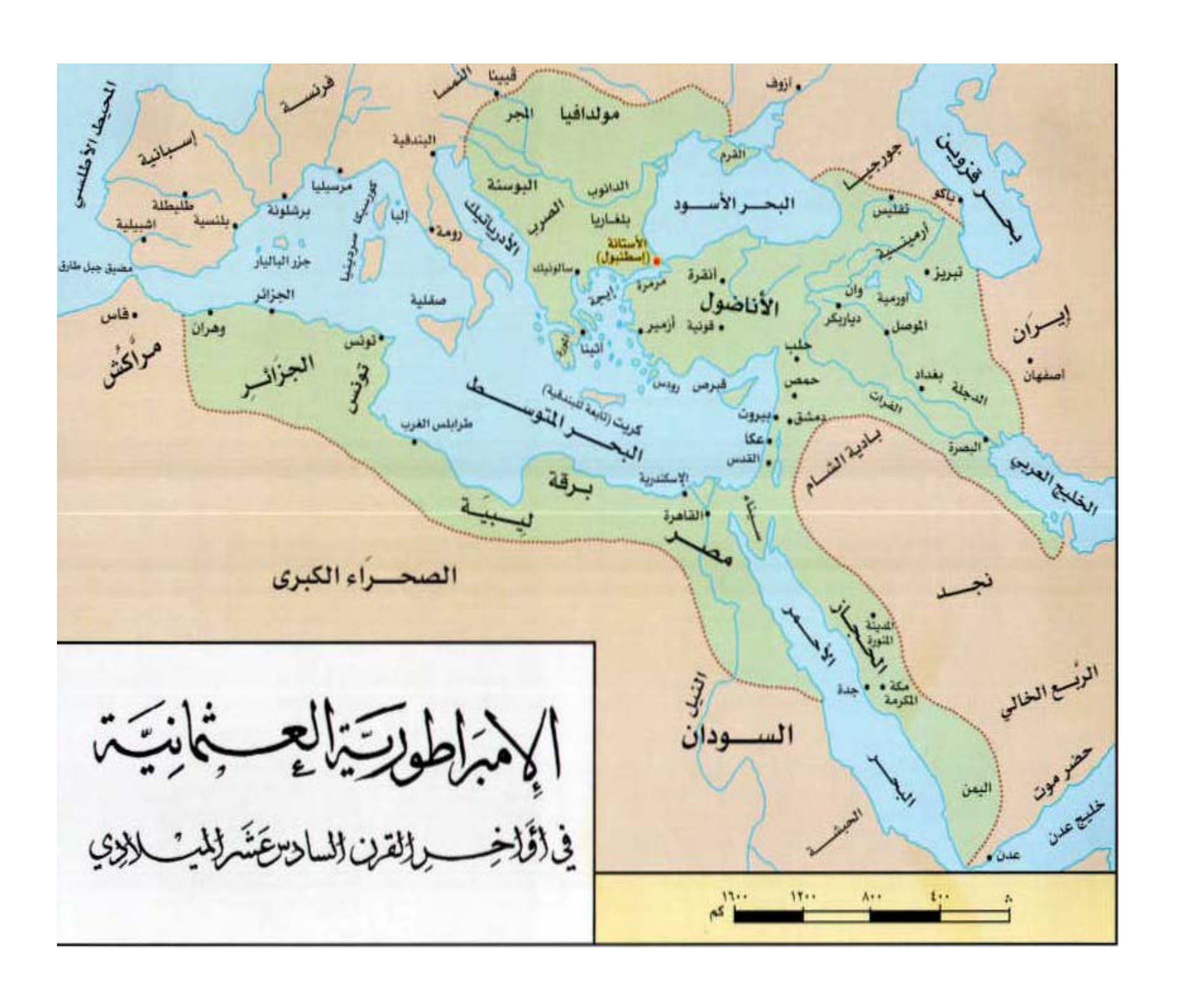
-مفتاح الخريطة:(•)=عواصم دول ومدن كبرى/(←)= خط سير الأسطول العثماني/(ـــ)=مجرى النهر/x=ميناء ديو بالهند.

-مقياس الخريطة: 1سم←1000,000كلم.

(1) المصدر المعتمد: شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص106.

الملحق رقم:15

خريطة توضح الإمبراطورية العثمانية في أقصى اتساعها في أواخر القرن السادس عشر للميلاد[1].



-مفتاح الخريطة:(•)=عواصم دول ومدن كبرى/(....)=حدود الإمبراطورية العثمانية/(ـــ)=مجرى النهر.

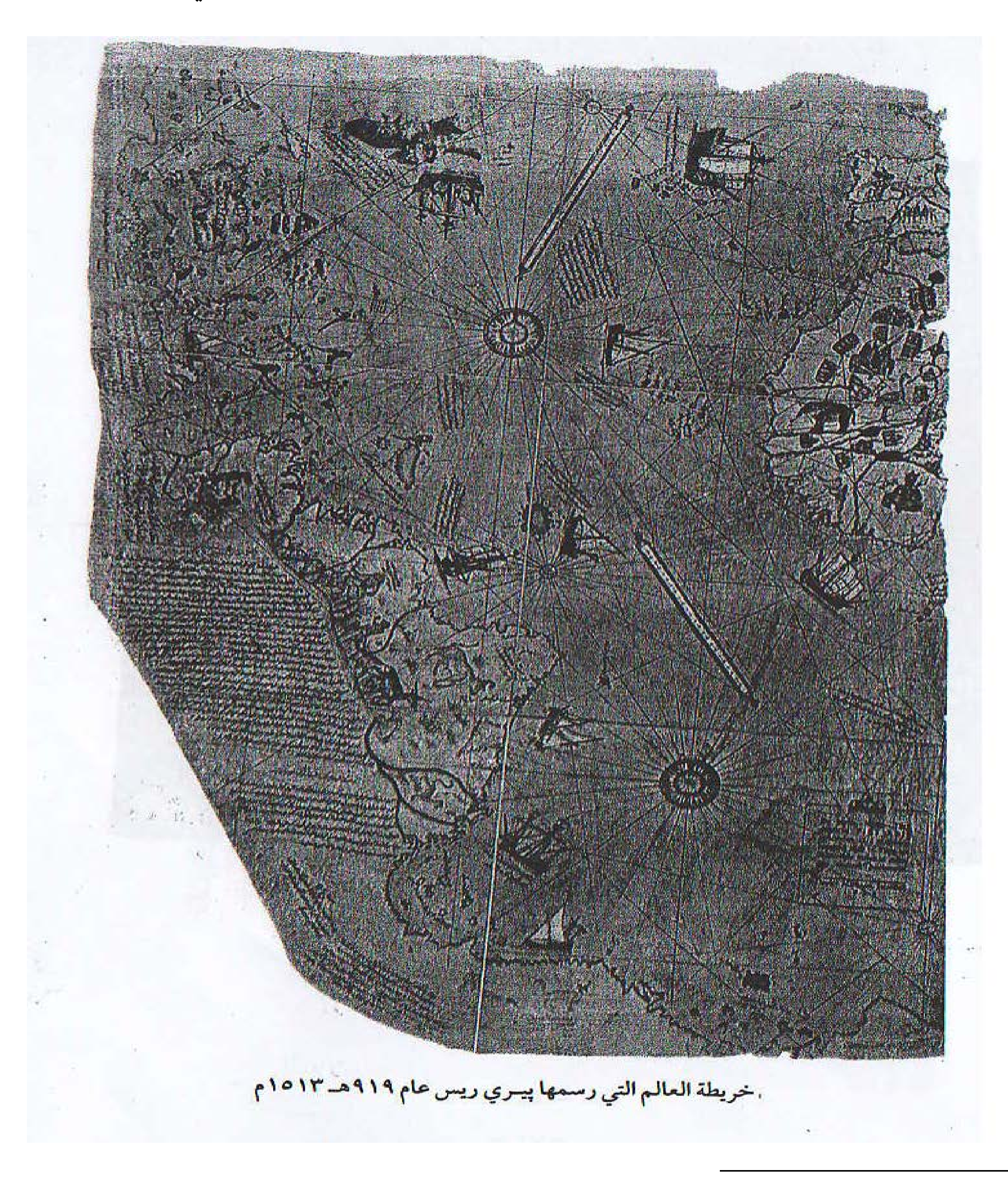
-مقياس الرسم: 1سم ←1000,000كلم.

---

(1) المصدر المعتمد: شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص110.

الملحق رقم:16

خريطة العالم الأولى التي رسمها العالم الجغرافي بيري ريس في عام 1513م والتي لم يتبقى منها إلا سواحل أمريكا الشرقية والجنوبية وجزء من القطب المتجمد الجنوبي[1].

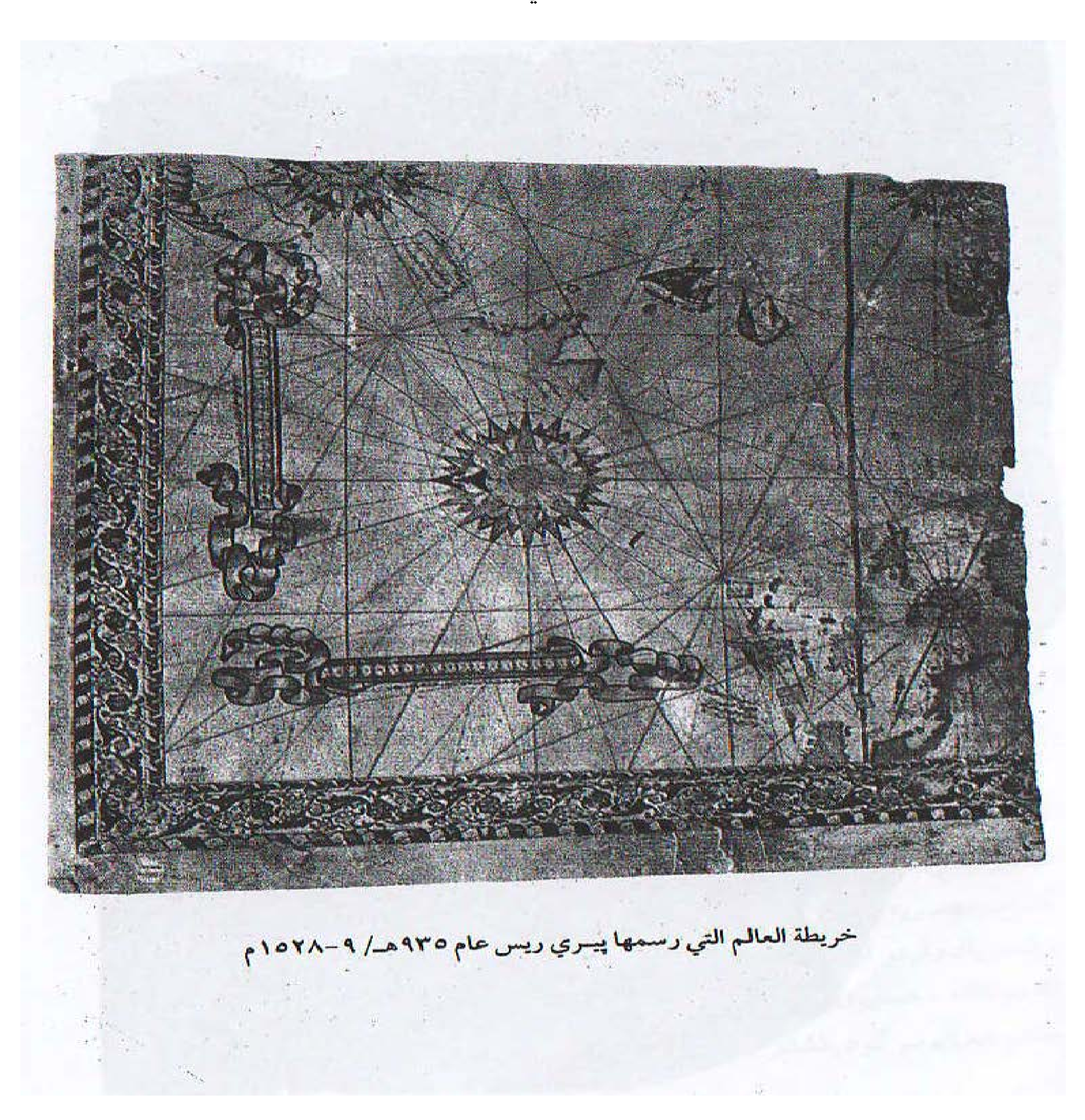


خريطة العالم التي رسمها پيـري ريس عام ٩١٩هـ ١٥١٣م

(1) المصدر المعتمد: عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص63.

الملحق رقم:17

خريطة العالم الثانية التي رسمها العالم الجغرافي بيري ريس في عام 1528م ولم يتبقى منها إلا شمال المحيط الأطلسي وجزيرة غريلاند[1].



خريطة العالم التي رسمها پيري ريس عام ٩٣٥هـ/ ٩-١٥٢٨م

(1) المصدر المعتمد: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص64.

الملحق رقم:18

خريطة رسمها بيري ريس يبين فيها مجرى نهر النيل في بلاد مصر[1].

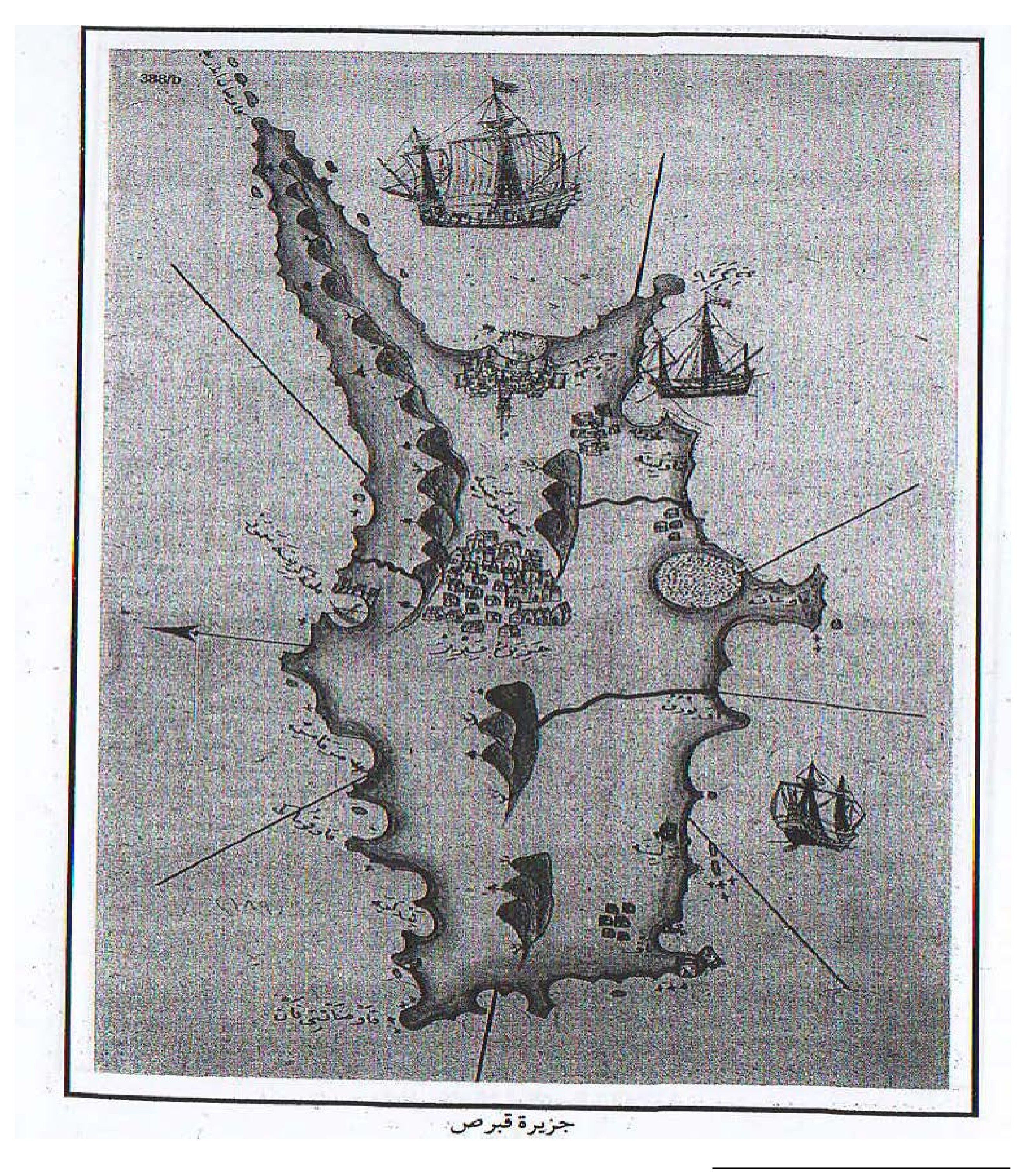


نهر النيل

(1) المصدر المعتمد: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص70.

الملحق رقم:19

خريطة رسمها بيري ريس يبين فيها جزيرة قبرص الواقعة في أقصى شرق حوض البحر الأبيض المتوسط.[1]

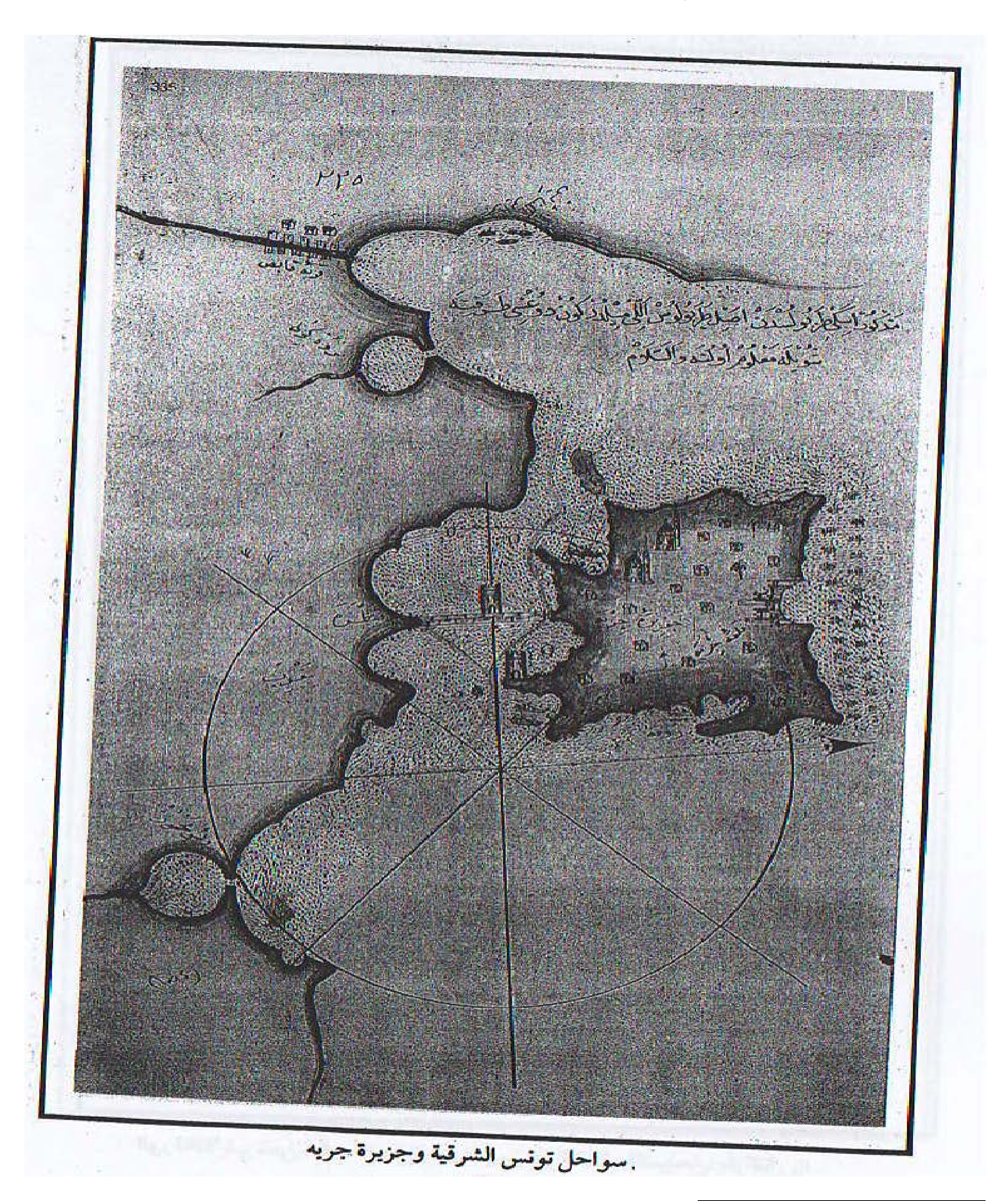


جزيرة قبرص

(1) المصدر المعتمد: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص71.

الملحق رقم:20

خريطة رسمها بيري ريس يبين فيها سواحل تونس الشرقية وجزيرة جربة[1].

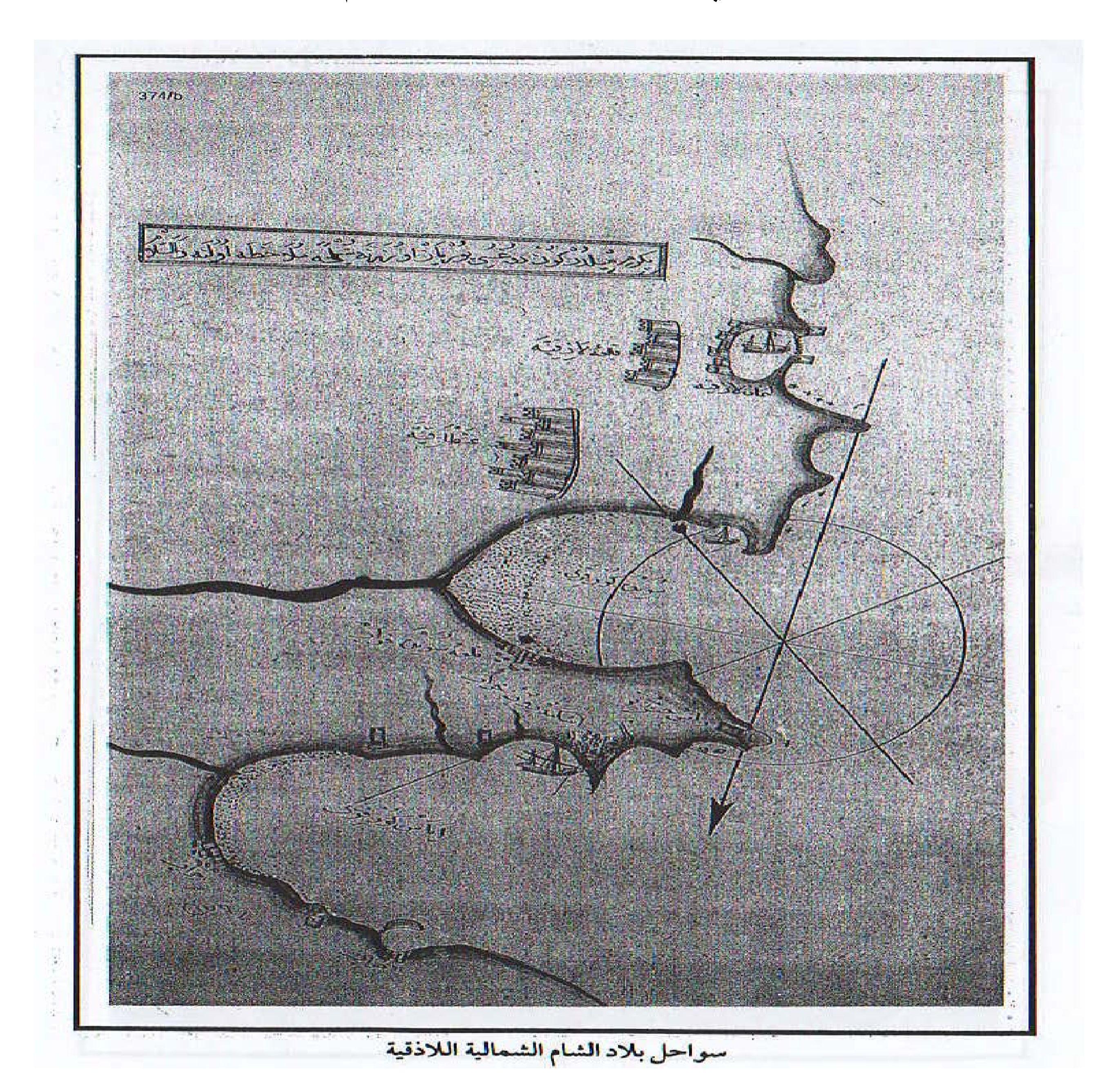


سواحل تونس الشرقية وجزيرة جربه.

(1) المصدر المعتمد: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص72.

الملحق رقم:21

خريطة رسمها بيري ريس يبين فيها سواحل بلاد الشام واللاذقية[1].

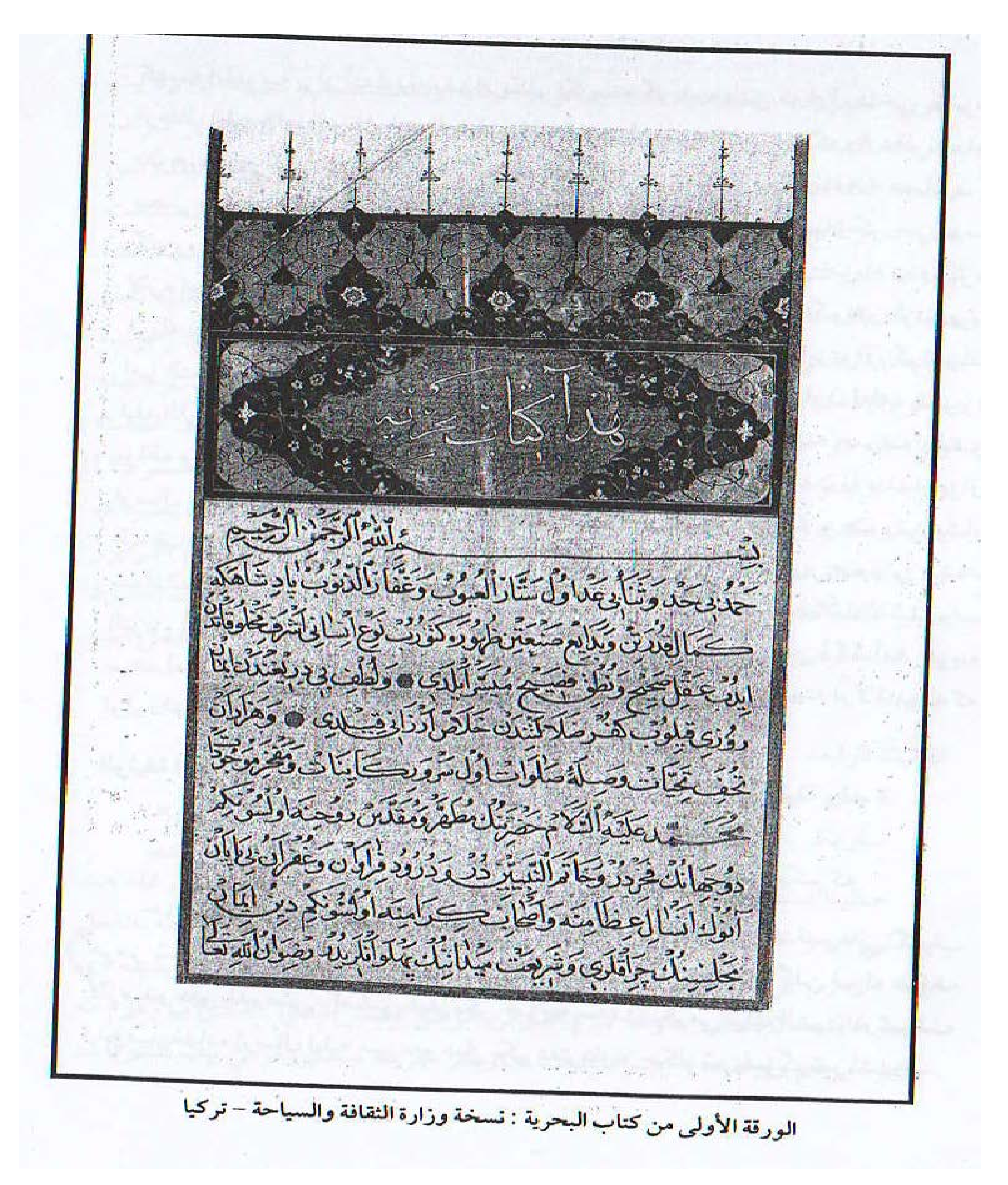


سواحل بلاد الشام الشمالية اللاذقية

(1) المصدر المعتمد: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص72.

الملحق رقم:22

الورقة الأولى من كتاب البحرية الذي ألفه العالم الجغرافي بيري ريس في عام1517م(1)



الورقة الأولى من كتاب البحرية : نسخة وزارة الثقافة والسياحة – تركيا

(1) المصدر المعتمد: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص65.

الملحق رقم:23

الورقة الأخيرة من كتاب البحرية لبيري ريس[1].

428/a

بحمد لله بحمد لله عدد سوز
بو دردن داخي بولندي دوايي
بو يوزدن اوشبو قطع ايدلك كلام

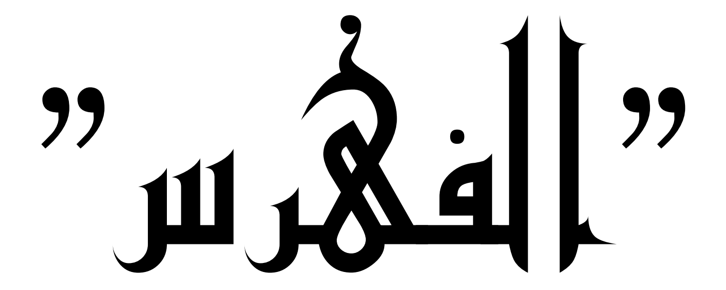
كه يوردردر اولميه اولا مدد سوز
بو نثر حكمة بلندي انتهايي
ارشدن ختمنه بولدق مرامي

تمام ايتدك سوزي بولوب مرادي
ديدك تاريخي اكا فيض هادي

الورقة الأخيرة من كتاب البحرية : نسخة وزارة الثقافة والسياحة – تركيا

(1) المصدر المعتمد: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص66.

Index



"فهرس الأعلام"

-أ-

-هـ-

-و-

-ح-

-ط-

-ك-

-ل-

-م-

"فهرس البلدان والأماكن"

-أ-

-غزة: 83.

Bibliographie



1/ المصادر العربية:

-أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840.

-ابن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، مطبعة السعادة، القاهرة، 1953.

-ابن أبي السرور البكري الصديقي شمس الدين محمد بن أحمد ، الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية ، القاهرة، 1932.

-ابن إياس محمد ابن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق وتقديم محمد مصطفى زيادة، ج4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1961.

-ابن بطوطة محمد ابن إبراهيم اللواتي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991.

-ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار بيروت للنشر والتوزيع، بيروت، 1959.

-ابن الدبيع وجيه الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء، دار العودة، بيروت، 1983.

-الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، م 1، دار عالم الكتب، بيروت، 1989.

-الوزان الحسن بن محمد، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 1، ط2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1983.

-الحموي ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، م 3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

-النهروالي قطب الدين محمد بن أحمد المكي، البرق اليماني في الفتح العثماني، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1967.

-خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة وتعليق محمد دراج، نقلا عن يلماز أوزتونا، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

2/ المراجع العربية والمعربة:

-أباظة فاروق عثمان، آثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر الأبيض المتوسط أثناء القرن السادس عشر الميلادي، دار المعارف، الإسكندرية، 1984.

-أباظة فاروق عثمان، دراسات في تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة، 2003.

-أباظة فاروق عثمان، الحكم العثماني في اليمن(1872م-1918م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979.

-أباظة فاروق عثمان، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر (1839م-1918)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.

-إبراهيم محمد كريم، عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية، جامعة البصرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1985.

-أوزتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري، م1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، 1988.

-أحمد ليلى عبد اللطيف، الإدارة في مصر في العصر العثماني، مطبعة جامعة شمس، القاهرة، 1978.

-ايفا نوف نيقولا، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516م-1574م)، ط1، دار الفرابي للنشر والتوزيع، بيروت، 2004.

-أنيس محمد، الدولة العثمانية والمشرق العربي(1514م-1914م)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993.

-أرنولد ويلسون، الخليج العربي، ترجمة عبد القادر يوسف، مكتبة الأمل، الكويت، د ت.

-أرسلان شكيب، تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983.

-بوشرب أحمد، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة أخلاء أسفي وأزمور، مطبعة الدار البيضاء، المغرب، 1984.

-بن خروف عمار، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ميلة، 2008.

-برجر جوزيف، مكتشفو العالم الجديد، ترجمة يوسف، نصر الله، د ن، الإسكندرية، 1991.

-جبرائيل جبور فيليب حتي، تاريخ العرب، ط4، دار الكشاف للنشر والتوزيع، بيروت، 1965.

-جمعة بديع و الخولي أحمد، تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد، ج1، القاهرة، 1976.

-ديل شارل، البندقية جمهورية أرستقراطية، ترجمت وتحقيق أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر، دار المعارف، القاهرة، 1948.

-دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الأخوة بربروس(1512م-1543م)، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

-هنتس فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1970.

-هريدي محمد عبد اللطيف، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها على انحسار المد الإسلامي عن أوروبا، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987.

-ول ديورانت وايريل، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران ، ج 4، مج4، دار الجيل، بيروت، 1988.

-زيادة مصطفى محمد، مصر والحروب الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986.

-حوراني جورج فاضلوا، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1958.

-حنظل فالح، العرب والبرتغال في التاريخ، منشورات المجمع الثقافي بإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، 1997.

-حراز رجب، العالم العربي الحديث، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980.

-طرخان إبراهيم علي، مصر في عصر المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960.

-كوندز أحمد آق و أوزتورك سعيد، الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، مكتبة عمرو توران، المملكة العربية السعودية، 2008.

-كلو أندري، سليمان القانوني، ترجمة البشير بن سلامة، دار الجيل، بيروت، 1991.

-كلوزيه رينيه، تطور الفكر الجغرافي، ترجمة عبد الرحمان حميدة، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1982.

-كراتشكوفسكي أغناطيوس يوليا نوفيتش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم، دن، بيروت، 1987.

-لوريمر جون جورج، دليل الخليج العربي، القسم التاريخي، ج5، مطابع علي بن علي، الدوحة، د ت.

-لقمان حمزة، تاريخ الجزر اليمنية، مطبعة يوسف وفيليب الجميل، بيروت، 1972.

-البحراوي محمد عبد اللطيف، فتح العثمانيين لعدن، دار التراث للنشر والتوزيع، القاهرة، 1979.

-البرجاوي سعيد أحمد، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، دار الأهلية للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، 1993.

-الجوهري يسرى، الكشوف الجغرافية دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984.

-الجمل شوقي عطا الله و إبراهيم عبد الله، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار الثقافة، الدوحة، 1987م.

-الجمل شوقي، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971.

-الجمل شوقي، تاريخ السودان و وادي النيل، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1969.

-الداود محمود علي، محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان، معهد الدراسات العربية العالية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1964.

-الدرورة علي بن إبراهيم، الاحتلال البرتغالي للقطيف(1521م-1572م)، ط1، المجمع الثقافي لإمارة أبو طبي، الإمارات العربية المتحدة، د ت.

-الزركلي خير الدين، الأعلام، ج1، ط9، دار العلم للملايين، بيروت، 1990.

-الزغبي موسى، البداية والنهاية نشأة القوى العظمى وانحطاطها، دار النهضة العربية، بيروت، 1991.

-الحبشي محمد عمر، اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، 1986.

-الحويري محمود محمد، ساحل شرق إفريقية من شرق الإسلام حتى الغزو البرتغالي، مطبعة القاهرة الجديدة، القاهرة، 1986.

-المطوي محمد العروسي، السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

-المسري حسين، تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي، دن، بيروت، 1982.

-النشار محمود محمود، تأسيس مملكة البرتغال، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1995.

-السلمان محمد حميد، الغزو البرتغالي للخليج العربي وجنوبه 1507م-1525م، مركز الشيخ زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2000.

-العدوي إبراهيم أحمد، نهر التاريخ الإسلامي ومنابعه العليا وفروعه العظمى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1989.

-العسكري سليمان إبراهيم، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، ط 1، مطبعة المدني، القاهرة، 1972.

-العقاد صلاح قاسم و زكرياء جمال، زنجبار، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1959.

-العقاد صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965.

-الصباغ ليلى، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر والعاشر والحادي عشر الهجريين، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989.

-الصباغ عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية والإيرانية، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1999.

-الصيرفي نوال حمزة، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرنين العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1983.

-القادري لطف الله، الانجازات العالمية للعرب والمسلمين في القرون المتأخرة، دار الفيصل الثقافية، السعودية، 2006.

-الشامي أحمد عبد الحميد، العلاقات التجارية بين إقليم الخليج العربي والسواحل الغربية للهند في العصور الوسطى، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1996.

-الشناوي عبد العزيز محمد، أوروبا مع مطلع العصور الحديثة، ج 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1969.

-الشناوي عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج 2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980.

-الشناوي عبد العزيز محمد، المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، ج 2، بحوث مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية، الدوحة، 1976.

-التميمي عبد الجليل، الخلفية الدينية للصراع الاسباني العثماني على الايالات المغربية في القرن 16م، بحث ألقي في المؤتمر العالمي الثالث للدراسات العثمانية، زغوان، تونس، 1990.

-الغزاوي عباس، تاريخ العراق بين الاحتلالين(العهد العثماني الأول)، ج 4، مطبعة شركة التجارة للطباعة المحدودة، بغداد، 1949.

-الغنيمي عبد الفتاح مقلد، الإسلام والثقافة العربية في أوروبا، عالم الكتب، القاهرة، 1979.

-يوسف جوزيف نسيم، في تاريخ الحركة الصليبية، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 1989.

-يحي جلال، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، المكتبة الجامعية الحديثة، الإسكندرية، 1982.

-ياغي إسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997.

-مهنا محمد نصر، الخليج العربي التطور الحديث والمعاصر، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1996.

-موسينيه رولان، تاريخ الحضارات العام القرنان 16م و 17م، ترجمة يوسف أسعد داغر وفريد محمد داغر، ج4، ط2، منشورات عويدات، لبنان، 1987.

-مصطفى النجار وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جامعة البصرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1984.

-متولي محمد، حوض الخليج العربي، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1974.

-نوار عبد العزيز سليمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973.

-نوفل سيد، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، ط 2، معهد الدراسات العربية العالية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1961.

-سالم سيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن(1538م-1635م)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1992.

-سالم سيد عبد العزيز، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ط 1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1933.

-سعيد الأحمدي سامي، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1985.

-سرهنك إسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج2، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002.

-عاشور سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990.

-عاشور سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام، ط 3، دار النهضة العربية، القاهرة، 1994.

-عاشور سعيد عبد الفتاح، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، دار الأحدب البحيري للنشر والتوزيع، بيروت، 1977.

-عاشور سعيد عبد الفتاح، بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته، عالم الكتب، القاهرة، 1987.

-عاشور سعيد عبد الفتاح، مصر في عهد دولة سلاطين المماليك البحرية، دن، القاهرة، 1962.

-عودة عبد الملك، السياسة والحكم في إفريقيا، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1959.

-عوض عبد العزيز محمد، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ج 1، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992.

-عمر عمر عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب الحديث، المشرق العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980.

-عمر عمر عبد العزيز، تاريخ المشرق العربي(1516م-1922م)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996.

-فهمي نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.

-فريد بك محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981.

-قاسم جمال زكرياء، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996.

-قاسم جمال زكريا، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول(1507م-1840م)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985.

-قلعجي قدري، الخليج العربي بحر الأساطير، دار الكتاب العربي، بيروت، 1960.

-رافق عبد الكريم، العرب والعثمانيون(1516م-1916م)، مكتبة دمشق، سوريا، 1974.

-رمال غسان علي، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر، جامعة أم القرى، جدة، 1988.

-رمضان مصطفى محمد، العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر، ج 1، ط 1، دن، القاهرة، 1985.

-رضوان نبيل عبد الحي، جهود العثمانيين في الحد من التهديد البرتغالي للنشاط التجاري في الخليج العربي من خلال الوثائق العثمانية(1538م-1559م)، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، د ت.

-شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره(1800م-1830م)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2010.

-شحاتة إبراهيم، أطوار العلاقات المغربية العثمانية، منشأة المعارف للطباعة بإسكندرية، مصر، 1981.

-ضومط أنطوان خليل، الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، دار الحداثة، بيروت، 1982.

-غرايبية عبد الكريم، مقدمة في تاريخ العرب الحديث، دار الأهلية للنشر والتوزيع، دمشق، 1970.

-غربي الغالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288م-1916م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

3/ المجلات والمقالات العربية:

-أبا حسين علي عبد الله، <<الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق>>، الوثيقة، السنة 1984، العدد3، السلسلة01.

-اينالجيك خليل، <<العثمانيون النشأة والازدهار>>، مقال منشور في كتاب دراسات في التاريخ العثماني، محمد سيد، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996.

- أندرادي روي فيريرا، <<يوم سقطت هرمز>>، مذكرات القائد البحري روي فيريرا، الموسوعة البرتغالية، ترجمة الدكتور عيسى أمين، إصدارات مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، المنامة، البحرين، 1970، د .ع/1996.

-بوشرب أحمد، <<مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي>>، الوثيقة، السنة1984، العدد4، السلسلة2.

-بطي أحمد محمد عبيد، <<الصراع العثماني البرتغالي في القرن السادس عشر الميلادي>>، ط1، ندوة الثقافة والعلوم الرابعة، دبي، السنة1991.

-الجمل شوقي، <<المراكز العربية على ساحل إفريقيا الشرقي والجزر القريبة منه >>، الوثيقة، السنة1996، العدد29، سلسلة 15.

-الحميدان عبد اللطيف ناصر، <<التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية(1417م-1521م)>>، مجلة كلية الآداب بجامعة البصرة، السنة 1980، العدد 16، السلسلة14.

-الكندري فيصل عبد الله، <<الملاح والجغرافي بيري ريس 1554م>>، رسائل جغرافية، السنة1999، العدد 234، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، طباعة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

-الكندري فيصل عبد الله، <<قانون نامة لواء القطيف 1552م>>، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، السنة1997، العدد15و16، زغوان، تونس.

-محمود كامل، <<الرحلات التاريخية في البحر الأحمر >>، مجلة العربي، السنة 1982، العدد288.

-عبد الرحيم العباسي، <<منح رب البرية في فتح رودس الأبية>>، تحقيق فيصل عبد الله الكندري، مجلة الرسالة ، السنة1997، د ع ، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت.

-رضوان نبيل عبد الحي، <<تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر الأبيض المتوسط>>، المؤرخ المصري، العدد20، د ن، د ت.

3/ دوائر المعارف:

-فؤاد أوزكو، بيري ريس، دائرة المعارف الإسلامية لوزارة التعليم التركية، ج9.

4/ المصادر الغربية:

-Marmol de caravaj (L), Description générale de L'Afrique, trad, Perrot d'Albancourt, Tome3, Paris, 1667.

5/ المراجع الغربية:

-A. H. De. Oliveira Marques, History Of Portugal, vol3, U.S.A, 1972.

-Anderw Hess, The Evolution of Ottoman Empire in The 18Age of The Oceanic Discoveries(1453-1525), American Historical Review, vol Ixxv, America, 1970.

-A. Toynbee, a study of history , oxford University, vol3, London, 1945.

-FERNAND BRAUDEL, La méditerranée et le monde méditerranéen à l'Epoque de Phillip2, Tome1, vol2, Paris, 1966.

-François Charles Roux, Au Tour d'une route L'Angleterre L'isthme et Le canal de suez, T1, Paris, 1901.

-J. Hammer, Histoire de l'empire ottoman depuis son origine jusqu' à nos jours, trad J.J.Hellert, Tome5, Paris, 1836.

-Piri Reis, Kitabi Bahriye, Ministry of Culture and Tourisme, Ankara, 1988.

-Ricard .R, Les Portugais et le Sahara Atlantique, Tome10, Paris, 1930.

-Serjeant R.B, The Portugese Off The South Arabian Coast, London, 1963.

-Stephenes Mores, The History of Portogal, London, 1908.

-Wilson. A, The Presain Gulf, London, 1959.

6/ المجلات الغربية:

-FERNAND BRAUDEL, <<Les Espagnols et L'Afrique du nord de 1492 à 1577 in revue Africaine>>, Paris, 1928.

-Paul Kahle, <<Piri Reis The Turkish Sailor and Geographer>>, The Magazine of Pakistan Historical Society, Pakistan , vol1, 1965.

"فهرس المذكرة"